عاتق بن غيث البلادي

في قلب جزيرة العرب

(رحلات ومشاهدات)

دار مكة

للنشر والتوزيع

في قلب جزيرة العرب

(رحلات ومشاهدات)

بسم اللہ الرحمن الرحیم

عاتق بن غيث البلادي

في قلب جزيرة العرب

(رحلات ومشاهدات)

دار مكة
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

رقم الايداع : ١٤/٠٢٨٨
الرقم الدولي : ٦ ــ ٠١ ــ ٦٨٤ ــ ٩٩٦٠

دار مكة
للنشر والتوزيع
مكة المكرمة - ساحة إسلام
هاتف : ٥٤٤٧٤٩٤
ص.ب : ٢٩٩٢

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد ولد آدم، ومعلم البشرية المبعوث رحمة للعباد وقامع أهل الشرك والإلحاد، وعلى آله وأصحابه، ومن سار سيرهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾[١] و **﴿سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾**[٢].

أما بعد: قارئي العزيز، يا من تعودتُ منك تتبع ما أكتب وتناقشني فيه، مستفهماً أو مصحِّحاً. فإن لكتابك هذا قصة. فبعد أن صرحت لكثيرين أنني قد طلقت الترحال على مضض، وتوقفت عنه (مكره أخاك لا بطل) عندما داهمتني جيوش الستين، و (قد أعذر الله من رجل أبلغه الستين)[٣] والحمد لله على هذا أولاً وآخراً.

أقول بعد هذا فقد تلقيت مهاتفة من الرياض بأن حفيداً لي قد ولد هناك، وسمي ـ بناء على رغبتي ـ (علياً)؛ وإن الأسرة هناك تدعوني لحضور سابعه[٤]، كعادة أهل الحجاز في إشهار سابع المولود، وقد

---

(١) الأعراف: ٤٣.

(٢) الزخرف ١٣.

(٣) روى أحمد في مسنده جملة من الأحاديث باختلاف في اللفظ: ٣/ ٤٠٥، ٢٧٥ وغيرها.

(٤) يذبح المسلمون عقائق المولود في اليوم السابع.

رأيت أنه من اللؤم الاعتذار، وخاصة أن الابن سمي بناء على رغبتي، لذا فلا بد مما ليس منه بد (لابد من صنعاء ولو طال السفر)[١]، فعزمت أن أطير على الأثير! ولكني فوجئت بأم العيال ومن هم تحت ولايتها يتظاهرون مصرين على الرفقة، وهذا ـ في السفر ـ يعني الكثير.

إذاً هي الرحلة! وهكذا تقرر، وما أن استقر القرار حتى ظهر هدفان كانا في جعبة الاحتياط:

أولهما: أنني قد سرت على الطريق بين مكة والرياض مراراً وكتبت عنه[٢]، ولكن الطريق عدِّل في مطلع القرن الخامس عشر أي ما يقرب من عشر سنين، فأخذ مساراً جديداً في حيز من جزيرة العرب كما سترى في أثناء سير الرحلة، وصارت الرغبة ملحة في الاطلاع عليه.

وثانيهما: أن هناك أقاليم من جزيرة العرب لم تتح لي رؤيتها، منها في جنوب نجد: الخرج والأفلاج ووادي الدواسر، ثم من عسير: ما بين وادي الدواسر وأبها وما بين خميس مشيط وبيشة، ثم أودية: رنية والخرمة وتربة، كل هذه لم أرها أو كثيراً منها.

وهذه سيارة التايوتا المصندقة (صالون) تقف عند الباب، إذاً فقد تهيأت بمشيئة الله الأسباب. وهكذا من دعوة لحفل سابع إلى رحلة قطعنا فيها (٣٤٥٣) كيلًا، لاقينا فيها من الأهوال ما لم نلاق في رحلة قبلها، كما سترى في سير الرحلة، وبالله التوفيق.

المؤلف

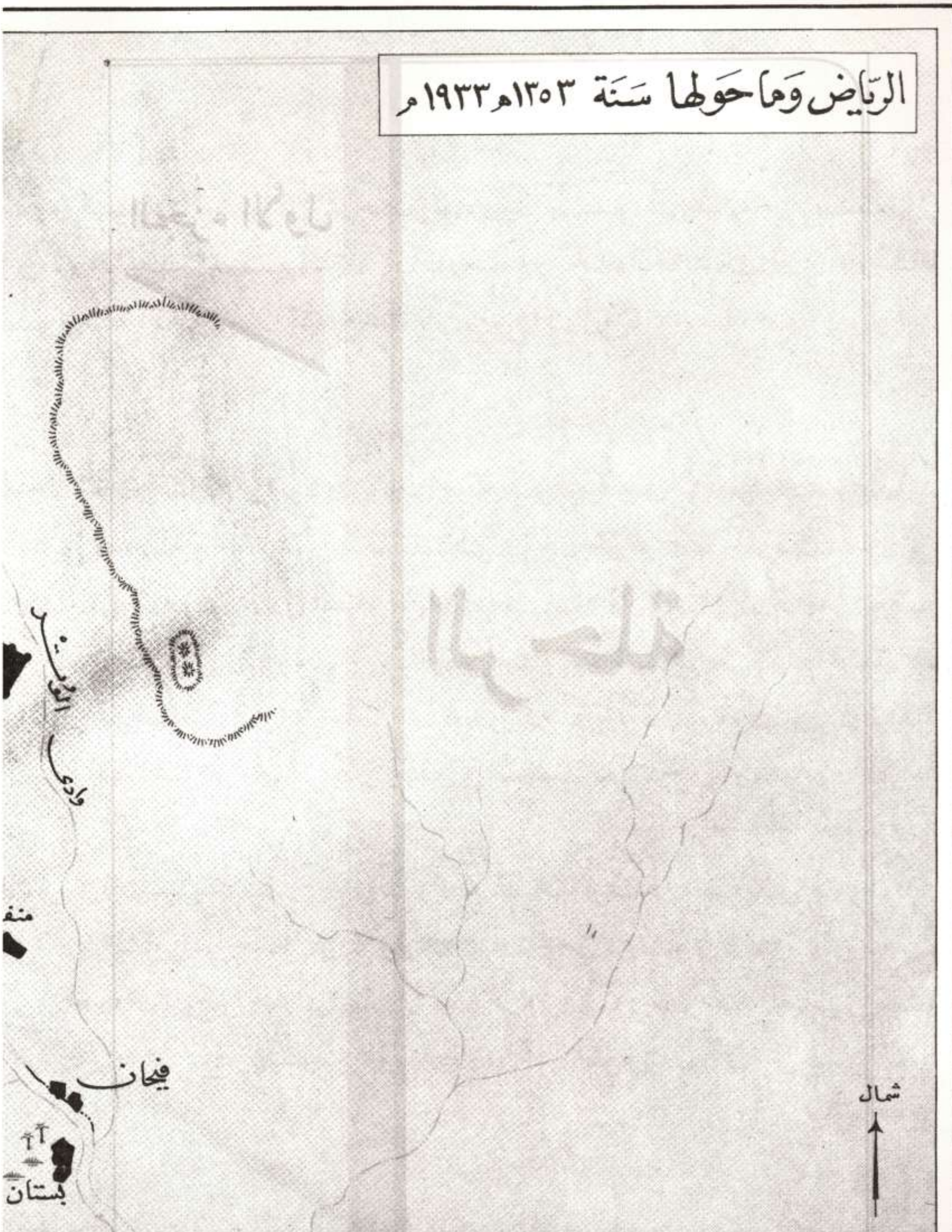
---

(١) مثل عربي مشهور.

(٢) الرحلة النجدية.

الجزء الأول

الرحلة



(ـ) الخريطة عن الأطلس التاريخي للدولة السعودية، والتعليقات للمؤلف.



١) عرقة: بالقاف.

الفصل الأول

بين مكة والرياض

بدء الرحلة

في مساء يوم الإثنين الموافق ٥ صفر سنة ١٤١٣ هـ، ١٢ ـ الأسد ١٣٧٠ هـ ش، ٣ آب ١٩٩٢ م، خرجنا من بيتنا في ساحة إسلام بمكة المكرمة، بعد صلاة العشاء، وكانت الرغبة أن يكون الخروج في الصباح الباكر لدعوة الرسول ﷺ، للمبكرين[١]، ولكن وجود الأسرة كان يخشى معه تأخير الخروج الصباحي، وهكذا تقرر أن نخرج إلى السيل فنبيت هناك.

خرجنا على طريق نخلة اليمانية، أي: من منزلنا فريع الكحل، فريع الحجون (كداء قديماً) فالأبطح فبين حراء وثبير (جبل الرخم) فخل فالصفاح فالشرائع، فيدعان إلى السيل الكبير[٢].

وفي السيل الكبير اخترنا فضاء ذا حصباء نقية وهواء عليل، وفي السيل تبرد رياح الصيف، وتعذب أرواحها ويطيب النوم للمسافر لولا لسعات من البعوضة إذا خف نسيم الرياح.

وعلى صوت مؤذن السيل استيقظنا، فصلَّينا الصبح جماعة، وبدأنا تحميل المتاع الذي أُنزل لغرض المبيت.

---

(١) (بورك لأمتي في بكورها) رواه في مجمع الزوائد، وضعَّفه. وسواء صح الحديث أم لم يصح، فإن التبكير في السفر مبارك وله فوائد كثيرة.

(٢) هذه المعالم أشبعناها بحثاً في كتب سبق طبعها ونشرها، منها معجم معالم الحجاز، ومعجم معالم مكة التأريخية والأثرية، وأودية مكة، وغيرها.

فريق عمل:

كنت في رحلاتي السابقة، أتوقف عند كتابة كل معلومة، وكان هذا يستلزم تجنيب السيارة عن الطريق ووقتاً للكتابة، ونحو ذلك، وكان هذا يزيد في زمن الرحلة، ويضيعُ وقت ليس بالقليل، ومع وجود هذه المجموعة قررت أن أستفيد لاختصار الوقت، فكوَّنا فريق عمل، يكون فيه: صاحب الرحلة: سائق فقط، أم محمد: رئيس جماعة التموين والفراشين والخيامين! أروى بنت عاتق: كاتب المشاهدات بإملاء صاحب الرحلة وإرشاده، وهي طالبة جامعية تستطيع القيام بهذا العمل، وقد قامت بل قام الجميع بأعمالهم بجدارة، عائشة وهاجر وهند: ثانوية ومتوسط وابتدائي، مساعدو رئيس التموين! ونورة ومحمد ٧ سنوات عليهما الجباية، وما أدراك ما الجباية؟! جلب الأغراض من الدكاكين والمحطات.

وهكذا صار لكل فرد عمل محدد يؤديه ويلتزم به، ثم تحركنا في الساعة السادسة على طريق الرياض.

مشاهدات من السيل الكبير:

هذا هو وادي قرن، الذي عُرف في مناسك الحج بقرن المنازل، إنما سُمِّي السيل لأنه كان نهراً يجري طول أيام السنة، وأذكر أنني عندما التحقت بالجيش سنة ١٣٧٢ هـ مررنا به في زمن الصيف، فخاضت فيه السيارة وخاف السائق من تعطلها فيه، ولكن عندما انتشرت الآلة جُعل في أعلاه آلات ضخ للمزارعين فامتصت الرواة فتوقف السيل، ومُيِّز بالكبير، لأن وادياً آخر هو الآن قدامنا يسمى السيل أيضاً، فَكُبِّر الأول وصُغِّر الثاني، فسُمِّي السيل الصغير.

والسيل الذي نصفه الآن: بلدة تقع على جانبي الوادي، يمر بها طريق مكة الطائف، ومكة الرياض على بعد (٩٤) كيلاً من مكة، و (٥٣) كيلاً من الطائف، وتتربع موقعاً على قمة حَزْم البوباة، ذلك أن

سهل البوباة (البهيتة فيما بعد) سهل ذو صعود حاد من نخلة اليمانية حتى يشرف على مجرى السيل الكبير مكوناً حزماً صلب التربة، مرتفعاً عما حوله، فلا هي بالشفا ولا هي بالغور، فلا برد السراة ولا حر تهامة، تشرف عليها من الشرق سلسلة جبلية ممتدة بامتداد الوادي، الذي هو رأس نخلة الشامية، تسمى جبال الريعان، ومن الشمال الشرقي جبال السراة المتصلة بالهدأة، أما الشمال فامتداد واديها بين هضاب متراكمة أهمها جبلة الثُّبَتة. وفي الغرب: وادي نخلة اليمانية الذي منه سهل البهيتة، والذي يذهب إليه بعض سيل البلدة الغربي. ومن أهم معالم السيل (جبل دمة) وهو قرن بارز حائز في أرض البوباة، يشرف على البلدة من الشمال الغربي، وفيها عدد من المساجد، أهمها مسجد الميقات على عدوة الوادي اليمني، حديث البناء يتسع لمئات المصلين، مزود بالحمامات والمياه والكهرباء، ولا يجد الحاج مشقة في الإحرام منه، حتى الحُرُم (لباس الإحرام) يبيعها بياعون كثيرون على جانبي الطريق ومدخل الجامع.

اليوم الثاني للرحلة

تحركنا من مبيتنا في الساعة السادسة صباحاً ميممين الشرق الجنوبي على طريق سريع لا زال مشتركاً بين الطائف والرياض، وعلى (١١٧) كيلاً من مكة جزعنا وادي السيل الصغير (مُليح قديماً) على جسر، وكان نخله يتراءى لنا هنا وهناك، ولكنه أقل من نخل السيل الكبير كثرة وجودة.

وهذه بين السيلين تسمى (الريعان) جمع ريع، وكانت تدعى المناقب[١].

(١) الأعلام التي ترد في المشاهدة ليس بالإمكان إيفائها شرحاً، لأني أردت أن تستمتع بالرحلة كما هي، ولذا فسوف نفرد لها معجماً في أخر الكتاب لمن يريد المرجعية.

وبعد عشرة أكيال من السيل الصغير فرق إلى اليمين طريق الطائف، وأقصد هنا بالسيل (البلدة) لأن السيل: بلدة وواد.

ثم سرنا على طريق الرياض مثل ذلك فجاءنا طريق الطائف الرياض ـ من اليمين ـ، فالتقى الطريقان في وسط الحوية، بين الحوية البلدة والحوية المطار وما حوله من قرى، حيث كل هذه المنطقة تدعى الحوية. وبعد ستة أكيال خرجنا من الحوية، وعلى يميننا وادي شَرِب وغاباته من الطلح إلَّا أنه قد طرأ عليه طارىء الزمن، فهذه الغابات الجميلة بدأ الناس يستبدلونها بمزارع.

وبعد خمسة أكيال من ذلك مررنا في العرفاء، وهنا منطقة سوق عكاظ، وتلك الحُريرة لا زالت ترقب الذاهبين والآيبين على هذا الطريق!

ثم خرجنا في سهل أفيح لا يكاد النظر يحد فيه، ولا شك أن قاصدي سوق عكاظ كانوا يستفيدون من هذا الجلد الذي يشبه الجماد، فلا دأث ولا حثر[1]، فهو صالح لمنازل ثقلهم، وتسريح سوائمهم.

وعلى بعد ١٥٠ كيلًا من مكة فرق إلى اليسار فوق جسر طريق المحاني وعُشيرة، وعلى نفس الجسر إلى اليمين طريق حضن، ولا زلنا في ذلك الجرد الأجرد، بينما كان يسايرنا من اليمين وادي شَرِب، ويسمى هنا (وادي المبعوث)، وبعد خمسة أكيال، أو نحوها، من ذلك الجسر كان إلى يميننا قرية (قريش الأعاضيد).

وبعد ٥٥ كيلًا من ذلك الجسر فرق طريق كتب عليه (طريق العطين) على جسر عرضي، فذهب إلى اليسار، ولم أتبينه، فلعله إلى جهة مرَّان أو نحوه.

---

(١) الدأث: الأرض الرخوة كالرمل، والحثر ما غلظ من الأرض كالحزوم ونحوها.

حضن وما حوله:

قبل رضوان بخمسة عشر كيلاً ظهر إلى اليمين، بعيداً، جبل (حَضَن)، الذي يُسمى أيضاً جبل (البقوم)، وظهرت الحرار والجبال السود المتصلة به متقاودة باتجاه الشرق، وسيأتي حضن هذا في العودة حيث نحن الآن شماله، وسنعود من جنوبه، إن شاء الله، فتضرب هذه الرحلة حوله عنق زجاجة.

رَضْوَان:

وعلى (٢٣٢) كيلاً من مكة، وصلنا إلى رضوان، أول بلدة بعد الحوية على هذا الطريق. ورضوان هذه كانت مقاهي[١] لعابري هذا السبيل يستريحون فيها، ثم ما زالت تتطور حتى صارت اليوم قرية عامرة، نوعاً ما، بها مسجد ومحطات للوقود، وتشرف عليها من الشمال حُرَيرة برقاء، تدعى أبرق رضوان، ولها وادٍ يأتي من جهات حضن يسمى بهذا الاسم أيضاً[٢].

وبعد رضوان بما يقرب من ٢٦ كيلاً فرق إلى اليمين طريق الخرمة وتربة، وما إليهما، وسنمر بهما في العودة، إن شاء الله.

والملاحظ أن هذا الطريق، منذ أن خرجنا من حياة منطقة الطائف ـ وآخرها قرية قريش الأعاضيد ـ، قد خلا من سكان البادية ومن النعم، فلا ترى إلَّا خبتاً بلقعاً، أو سيارات تسابق الريح، ولا غرابة فالفصل فصل صيف، والناس في هذا الفصل، والأرض يابسة حارة، والبادية قد تضعضعت، فأقاموا القرى في الفلوات، وناقلات المياه تجلب الماء إليهم أينما حلوا، والآلات الكهربائية تضيء لهم الليل وتبرِّد لهم النهار، والجيل الجديد يذهب كله إلى المدارس، فلم يعد لهذه النعم

(١) لها ذكر في كتابي الرحلة النجدية، وفي معجم معالم الحجاز.

(٢) انظر: معجم معالم الحجاز.

راع إلاّ من يستقدم من بر السودان ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوها﴾[1].

المويه الجديد:

وعلى مسافة (٦٤) كيلاً من رضوان وصلنا إلى بلدة المويه الجديد[2]، بلدة عامرة فيها قرابة أربعة مساجد، ومحطات وقود، وعمرانها حسن، حيث ترى هنا وهناك مباني جميلة مزخرفة، ولها إمارة وبها مدارس وشرطة مرور ومحكمة شرعية، ونحو ذلك، وإلى اليسار بعيداً تتراءى لنا حرة كشب.

تجاوزنا المويه بسبعة وعشرين كيلاً، فوجدنا جسراً حديثاً، أعتقد أنه سينفذ منه طريق إلى المويه القديم ونواحيه، وتحت هذا الجسر توقفنا فقام فريق التموين بإعداد الفطور والقهوة، وكانت الساعة (٨ ١/٢).

وترى أن الرحلة قد استفادت كثيراً من وجود كاتب للرحلة غير السائق، ولو كانا واحداً لما وصلنا إلى هذا المكان في ساعتين فقط، وهي مسافة تزيد على مائتي كيل، ورغم أننا في ساعة مبكرة نسبياً إلاَّ أن الصحراء أخذت تحترُّ، وبدأت الزوابع تَحثو التراب، ولم تكن هناك بصيرة تحول بين هذا الرمل السافي وتسربه إلى الطعام والشاي، وكنت قد عرضت على القوم أن نتخذ مكاناً ذريّاً في المويه إلاَّ أنهم أصروا على التمتع بالهواء الطلق، وهكذا كان.

ظَلم:

وفي العاشرة والنصف من ضحى يوم الثلاثاء، سادس صفر، تحركنا من مستراحنا، في طريق سريع تحت التصليح بحيث وجهت

---

(١) إبراهيم: ٣٤.

(٢) سيكون في آخر الرحلة معجم، بإذن الله، يفصل ما أُجمل هنا، وإن شئتَ راجع معجم معالم الحجاز.

السيارات الذاهبة والآيبة في مسار واحد، وكنا نسير على درجة (٦٠°) تقريباً، يتغير بتغير الطريق، وهذا هو الاتجاه العام تقريباً حتى تصل إلى الرياض.

وعلى (٥٣) كيلاً من المويه وصلنا إلى (ظلم): بلدة متقدمة على ما سبق، فيها مساجد تتناوح مناراتها وإمارة ومحكمة شرعية، ومدارس وفلل جميلة، وكل ما يلزم الإنسان، ومررنا بجانب مستوصف حوله أناس كثيرون.

ومن ظلم يفترق الطريق: فالسريع يأخذ باتجاه عمد إلى حلبان فالرياض، والطريق القديم(١) يأخذ يساراً إلى عفيف والدوادمي فإلى الرياض أيضاً، ولا يلتقي الطريقان مرة أخرى بل يتقاطعان بين الرياض والمزاحمية، والطريق القديم طريق ذو مسار واحد ولكنه بحالة جيدة.

وكأن الحياة ظهرت أكثر بعد تجاوزنا ظلماً، فقد ظهرت الأغنام والإبل، وقليل من نزل البادية في خيام متناثرة حول الطريق، ولكن ببعد.

وعلى قرابة (٣١) كيلاً من ظلم انتهت حدود إمارة ظلم الإدارية، وبانتهائها انتهت حدود إمارة مكة المكرمة.

وهنا خرجنا في أرض حثرة ذات حزوم سود وتلاع، يبعد أولها من جهة الحجاز عن الرياض (٥٠٠) كيل.

قال (الشيخ جزَى): هذه الحزوم تسمى (الحِمَار)، حجارتها تشبه الحرة في السواد، ولكن لا تشبهها في التكوين. وهذا اللون يسمى عند العرب غربان، أو أظالم، أو أساود، ويظهر أن سبب حدوثها براكين سبقت براكين الحرار بملايين السنين، فتغير لونها وتكوينها مع الزمن،

---

(١) انظر عن هذا الطريق كتابي (الرحلة النجدية).

وأعتقد أن الحرة كان اسمها (حارَّة) عندما كانت تتقد، ثم سهل إلى حرَّة، ودليلنا أن الحرار، ذات الشكل المزبور كالخيام، يسميها أهل الحجاز مجامر واحدها (مجمر)، أي الكوم من الجمر، فبقي على اسمه.

كانت حزوم الحمار ممتدة من يمين الطريق إلى يساره، وقطعها الطريق فيما يقرب من كيلين إلى ثلاثة، ثم أفضى الطريق إلى سهل بأوله (قُريَّة) تدعى (الحُفَيِّرة) لآل ابن درعان من النفعة فهذه ديار النفعة من بني سعد من عتيبة، وفيها مسجد ومحطتا بنزين ومبانٍ متناثرة، وكان الطريق بعدها تحت التصليح في أجزاء كثيرة منه.

وبعد الحُفيِّرة، غير بعيد، مررنا بجبل أسمر فزره الطريق، وهو مستطيل نوعاً كالعرفاء، وهم يسمونه أم المقارب، لأنهم إذا رأوها قربت عليهم بئر البقرة، والعرب لهم لمحات في معاني التأنيث والتذكير، فإذا قلت لهم: لم أنثتم هذا الجبل؟! قالوا: لأنها سمراء أو حمراء أو عرفاء... إلخ.

وإلى يميننا ظهر جبل البقرة، وهي بئر مشهورة في هذا المكان، ومورد للبادية.

وبعد (٤٤) كيلاً من الحفيِّرة كان على يميننا سلسلة المظهور: جبيلات حمر كالخيام متقاطرة مبعدة عن الطريق، وسمُّوها المظهور تشبيهاً، والمظهور عدد من الجمال يحمل القوم عليها متاعهم إذا انتقلوا من منزل إلى منزل، ولا يقال للتي تحمل التجارة مظهور، بل يقال لها (قافلة)، ولا يقال للتي تحمل الروايا ولا المعاري[1]، إنما المظهور وقف على حاملات زهاب القوم وأثاثهم.

وفرز الطريق جبيلاً أعرف وجلُّه إلى يميننا، وهي سلسلة تسمى

(١) المعارى: لا شيء على ظهورها، واحدها (مُعرًّى).

(القُهْبان) (جمع أقهب)، تتصل بسلسلة المظهور فكأنها سلسلة واحدة لكل منهما اسم منفصل.

الحَوْمِيَّات:

وعلى (٨٢) كيلاً من ظلم وصلنا إلى الحوميات: قرية حديثة كبيرة تشرف عليها هضاب ذات حجارة مناصيب، وهي صغار متناثرة ومتلاصقة تطيف بالقرية، هذه الهضيبات تسمى (الحوميات)، وأصل الاسم بئر تدعى (الحومية) فأعطت اسمها للهضاب، ومن ثم شمل القرية عند قيامها، والبئر المذكورة ليست على طريقنا إنما هي إلى يميننا غائبة عن الطريق.

وفي قرية الحوميات وجدت رجالاً يروحون ويجيئون بين ورش وسيارات متنوعة، وأهلها بأعمار متنوعة، وكأني انتقيت من بينهم الشيخ (جِزَى بن مشعان الروقي الثبيتي) فانتحيت به جانباً، وشرحت له مهمتي فتجاوب معي مشكوراً، والمعلومات عن الحوميات وبعض المعالم بعدها من إملائه، وجزى هذا الشيخ سمح يبدو أنه قد تجاوز السبعين من العمر، ومع هذا يمشي مشي القوي الجَلِد، وهو من آل ربيعان أمراء الروقة، وهم قوم فيهم فَهْمٌ ومرونة، يتفهمون ما تقول ولا يرتابون كما يفعل غيرهم، كما سترى في هذه الرحلة، ففي كتابي «على ربى نجد» كان أفضل من أخذت عنه الشيخ (عَسَل) من هذه العشيرة، لقيته في نفي، وجزى هذا من أفضل من أخذت عنهم في هذه الرحلة على قلتهم.

واصلنا سيرنا من قرية الحَوْمِيات، فمررنا بين هضيبات أمهات مُلَيس، وهي آخر سلسلة الحوميات، وإلى جنوبها تقع (بئر الحوميات) التي أعطت اسمها لكل هذه المعالم.

وبعد أمهات مُلَيس خرجنا في سهل فضاء أفيح لا يَجِد البصر فيه إلَّا أجبل بعيدة بعضها إلى اليسار قرب عفيف، ومنها جبال الأطولة ـ على الظن القوي ـ ولعل تلك القلة الشامخة التي دونها العسام هي قلة

(جبل المَرْدَمة)، وبعض هذه الأعلام أمامنا بعيداً، وسوف نمر بها بعد قليل، وهذا الفضاء الواسع كتب عليه في بعض الخرائط (الشفا)[1] وفي الأحرف اللاتينية ما يفيد أنه بكسر الشين المعجمة، أي ضد المرض، والمتوقع إذا صحَّت التسمية أن يكون بفتحها، لأن هذه الأماكن، وما سامتها، تكثر فيها تسميات (الشَّفا) و(الشرف) و(الشُّريف)[2] وكلها تفيد الارتفاع، وهذه المنطقة، وما سامتها، هي مرتفع نجد حيث تصل فيها الارتفاعات إلى (١٢٧٠) و (١١٢٥) متراً، مما يجعل تسمية الشَّفا مقبولة.

رَغْباء:

وعلى (٣٧) كيلًا من قرية الحوميات دخلنا بين جبال سود، وهي سلسلة تعترض الطريق، وتمتد شمالاً وجنوباً مبتعدة عن الطريق، والطريق يخترقها في مكان نحت نحتاً، وهي بداية المنطقة الجبلية من نجد، التي تستمر حتى تصل إلى الرياض أو تشرف عليها، على ما يقطعها من نفود هنا وهناك، كنفود السر ونفود قنيفذة، هذه المنطقة الجبلية كانت تدعى العروض، تمييزاً لها عن اليمامة والحجاز.

ومن رغباء هبطنا وادياً لم أعرف اسمه، ثم فزر بنا الطريق (نفود السرَّة) وتسمى هنا (المخيتيم)، وهي ضيقة العرض، طويلة من الجنوب إلى الشمال، حيث تذهب شمالاً، وتذهب جنوباً إلى نفود الدحِي، وفي مجملها تسمى نفود السرة، وقد كتبت في بعض الخرائط: السخا، وفي تفصيلها لها أسماء متعددة في أماكن متفرقة.

ومن نفود المخيتيم هبطنا في وادي (نَدْيان) من ديار الشيابين، وهو واد يعترض الطريق، ترى أرضه ندية، إما من الرطوبة أو السبخ، ثم

---

(١) دليل المملكة ص ٨٢ من خرائط الفارسي.

(٢) انظر كتابي (على ربى نجد).

مررنا بعده بوادي السرة: وادٍ يعترض الطريق، ثم (جبل الخاصرة): جبل أشم مستطيل من الشمال إلى الجنوب.

الخَاصِرة:

وعلى (١٢٠) كيلًا من الحوميات مررنا بقرية الخاصرة الجديدة: قرية كبيرة بين ضعاضع جبال سود، فيها مخفر تفتيش ومسجد ومحطات، وهي غير الخاصرة البلدة المشهورة، فتلك شمالًا وراء جبل الخاصرة المشار إليه، ولم يمر بها الطريق السريع، فانتقل بعض أهل الخاصرة إلى هنا للانتفاع من هذا الطريق، تماماً كما فعل أهل المويه[١] القديم!

وقبل وصولنا إلى الخاصرة الجديدة كان إلى يسارنا، بعيداً، جبال عالية تشرف على بلدة الخاصرة القديمة من الشمال، هذه تسمى (العَلم) ويشمل الاسم ما يتصل به من جبال.

خرجنا من الخاصرة في فضاء واسع بين جبل الخاصرة غرباً وجبل (دمخ) شرقاً، تجري فيه وديان أحدها أعلى وادي (السرة)، ويدعى (وادي السرحي)[٢] ووادي (قحقح) ووادي (الصُّقيع)، وفيه هجرة صغيرة بهذا الاسم، وهذه الأخيرة من روافد متعددة تصب في وادي (حلبان).

دمخ وما حوله:

وبعدما يقرب من (٢١) كيلًا من الخاصرة الجديدة دخلنا بين جبال مناصيب شوامخ، وهي عبارة عن سلسلة ممتدة من الشمال إلى الجنوب، لونها قريب من الحمرة، ومر الطريق في مضعف منها، وكان الشمالي منها أضخم وأعلى، هذا هو (جبل دمخ)، من جبال (العرب) الشهيرة، أما الجنوبي منها على يمين مَنْ أَمَّ الرياض فهو (جبل الفريدة)، سمي كذلك لانفراده عن المجموعة.

---

(١) انظر كتابي (الرحلة النجدية).

(٢) ظهر في بعض الخرائط باسم (الصراحي) وهو خطأ.

وقبل (حلبان) بسبعة أكيال وجدنا (قُرَيَّة) فيها محطة ومسجد وبيوت متفرقة، هذه (أم سُليم) هجرة مشاري بن نقا الشيباني.

ومنذ أن تجاوزنا رغباء أو حولها ونحن في ديار الشيابين.

حَلْبَان وتوابعه:

وبعد (٤٢) كيلاً تقريباً من الخاصرة مررنا بقرية متسعة، قبل حلبان بثلاثة أكيال، فيها مساجد ومحطة كبيرة وبقالات ولوازم السيارات، هذه تدعى الخرائق.

الخرائق:

فمررنا بالخرائق، فسألت عامل المحطة عن اسمها فقال: (خرج)، ولكن أخانا الشيباني، الذي سنذكره في حلبان، أكد أن اسمها الخرائق، بعد صعوبة أيضاً، فجلُّ عرب الجزيرة اليوم ينطقون القاف كالجيم، فهم يظهرون القاف من بين الأضراس مما يشتبه على غير الخبير فيكتبه جيماً[١].

وهذه الخرائق تقع على ضفة وادي حلبان اليمنى وعلى يسار الطريق، وعلى ندوة منها، وعلى يمين الطريق، (قرية حلبان القديمة): قُريّة من بضعة بيوت لبن على طراز بناء نجد القديم، فيها مسجد، وهي على يمين الطريق، وعلى الضفة اليسرى لوادي حلبان، ليس بينها وبين بلدة حلبان الجديدة الكبيرة سوى الأكمة.

وعندما تجاوزنا تلك القُريَّة فإذا ببلدة حلبان المتسعة، مما جعلنا نقول: (إن وراء الأكمة ما وراءها).

وحلبان في الأصل وادٍ فحل كثير الروافد الكبار، كثير الأشجار من أثل وأشجار أخرى برية، وفيه زراعات ونخل، ويظهر عليه أن مرور

---

(١) في المعجم الملحق سنشرح الخرائق والخرائج والفرق بينهما إن شاء الله.

الطريق السريع أثر فيه بسرعة، فكل ما هنا يكاد يكون حديثاً، ويدعى أعلاه وادي (عُصيل) وأسفله حلبان.

وبلدة حلبان الرئيسة تقع على ضفة الوادي اليسرى ويشقها الطريق، وهي مستطيلة باستطالة الوادي في براح حسن مرتفع عن درب السيل، والبلدة واسعة منتشرة فيها مساجد وفنادق، وجميع مرافق المجتمع كالإمارة والمحكمة والتعليم والشرطة، ونحو ذلك.

تبعد عن الرياض (٣٠٠) كيل في الجنوب الغربي، وعن ظلم (٢٤٧) كيلاً في الشرق إلى الشمال، والقرية، أو البلدة، في متسع يعطيها مجالاً للنمو، من الشمال يمر بها وادي حلبان، ومن الجنوب والشرق فياح واسع، ومن الغرب تشرف عليها (سمراء حلبان)، جبل بارز يشرف على كل من حلبان الجديدة والقديمة والخرائق[١] ـ التأنيث هنا للقرية ـ وهم يقولون (حِلبان)، وهي لهجة عتيبة في مثله، مما جعل أهل الخرائط يرسمونه بالحروف اللاتينية بما يفيد أنه مكسور الأول، وليس صحيحاً، فحلبان فَعْلان من الحليب، وهم يعرفون ذلك، كما سترى بعده.

وصلنا إلى حَلْبان بعد أن خرج الناس من صلاة الظهر، وأثناء مرورنا في البلدة لاحظنا وجود مبانٍ كثيرة مهجورة، فيظهر أن القوم حمَّلوا الطريق من الآمال ما لا يحتمل، فذهبوا يبنون ويتخاصمون، حتى إذا طلعت الشمس ووضح النهار لم يحمد كثير منهم السُّرى، فتركوا هذه المنشآت للزمن، هذا الوضع أغرانا أن نتخيَّر غرفاً قريبة من الشارع العام تفتح إلى الشمال، ولم يكن الطقس سيئاً، فاتخذنا منها مقيلاً داعين لصاحبها بالعوض في الدنيا، والأجر في الآخرة.

---

(١) وقال أحد الشيابين، الذي وجدته في الرياض: إن هذه الخرائق القديمة، وإن التي قبلها، الخرائق الجديدة، نقلت إلى متسع من الأرض.

ثم جاء دور التموين، وطُلب مني أن أبحث عن طعام جاهز، أغرانا بذلك كثرة لوحات المطاعم، التي كتب بعضها باللغة الأردية، وطفقت أطوف على هذه المطاعم فهالني ما رأيت: أكثر الطعام لا نعرفه، وهذا يقول: (هذا أبوي أندونيسي) وعنده عدد من الزبائن من شرق آسيا، وهذا يقول: هذا أبوي طبخ هندي، وعنده زبائن من جنسه! وهناك مطبوخات من خليط عجيب، وقام الطباخ ليضع لي بعض الدجاج والأرز، فصار يأخذ قطع الدجاج بيديه، وعندما اعترضت على ذلك تصامّ وأظهر أنه لا يعرف ما أقول، فتساءلت: (هل أنا في شعب بَوَّان، أم في حَلْبان)[1]؟!

خرجت وتركت هذا إلى ذلك، فطلبت أرزاً أبيضَ ظهر لي أنه نظيف، ولكن الطباخ غرف بالمغرفة وأسندها بيده ليريني أنه يوفي الكيل! تركته وذهبت لآخر فاشترطت عليه أن أغرف أنا وهو يقدر الثمن، فكان. ولما عدت إلى رفاق الرحلة امتعض بعضهم، فقلت لهم: لو رأيتم ما رأيت ما أكلتم هذا، فظهرت منهم علامة التصديق، وعلى كل حال فهذا يوم أفضل من يوم البديع، وما أدراك ما البديع؟ (كفاك الإلّه نهار البديع) فإذا علمته فيما يتبع لعلك تدعو لنا.

أُذِّن للعصر في مسجد حَلْبان الكبير، وعند خروج الناس من الصلاة وقع اختياري على رجل لم يفارقه الشباب فسألته: مِمَّن الرجل؟ قال: شيباني، وبنو شيبان هم أهل حلبان، فطلبت منه العودة بنا إلى المسجد وهناك شرحت له مهمتي، فقمص، فحاولت بشتى الطرق طمأنته، وأن هذه معلومات لعامة الناس، وليس فيها ما يضر أحداً أو يغيِّر حقيقة، بل إن الحقائق المجردة هي المطلوبة، فبدأ

---

(١) شعب بوان شعب في بلاد فارس جميل، دخله المتنبي وأعجب به فمدحه في شعر بديع، ولكنه استدرك قائلاً:

بلاد ترى الفتى العربي فيها ... غريب الوجه واليد واللسان

يعطيني بعض المعلومات وإن كانت غير كافية، ولكني أكملتها من شيباني آخر في الرياض.

وطلبت من أخي هذا أن أذكر اسمه للأمانة العلمية، ورفعاً لذكره هو، ولكنه أصر على عدم ذكر اسمه.

طُحَيٌّ والرُّوَيْضَة:

خرجنا من حلبان بعد الساعة الرابعة عصراً، وبعد قرابة (٢٥) كيلًا وصلنا إلى أعلى وادي (عُصَيل)، ثم مررنا بهضيبات أم سريحة، ثم أم سريحة: قرية تتخللها مزارع النخيل، فيها مسجد ومحطة محروقات.

وعلى (٤٨) كيلًا من حلبان وصلنا إلى قرية (طُحَيّ) بالتصغير، وقد ظهرت في بعض الخرائط (تحي)[١] وهو تحريف ناجم عن كتابة المعلومات أولًا بالأحرف اللاتينية، ثم نقل هكذا، وهذا في خرائطنا بحيث يصعب حصره.

وهي قرية من ديار العصمة، وهي أول ديارهم في نجد مما يلي الغرب، كذا قاله الشيباني.

ومن طُحَيّ فرق إلى اليمين طريق (سنام)، وهي قُرَيَّات بعيدة عن الطريق جنوباً شرقياً تقريباً.

ومن طُحَيّ دخلنا القصورية المجاورة لها، قرية تشرف عليها من الجنوب هضاب، وكان قد فرق إلى يسارنا طريق (صبحاء) قرية على أحد فروع وادي الصرداح، فيها زراعة.

وعلى قرابة سبعة أكيال من القصورية، و(٥٧) كيلًا من حلبان، دخلنا قرية (الرُّوَيْضة): قرية عامرة فيها مساجد ومحطات ومبانٍ جميلة، تشرف عليها من الشمال هضبة بيضاء كالخيمة شكلًا تسمى (زَغَّابة)

---

(١) دليل المملكة من خرائط الفارسي: ص ٨٠.

جميلة الشكل والمنظر، ومن الجنوب هضبة بيضاء بيضاء أخرى، وأسود منقاد في الأرض اسمه (مَدَقَّة)، وبجوارها من الشرق إلى يمين الطريق قرية الرياضة، أقل منها عمراناً، والرويضة هذه يمكن أن تميز عن سمياتها الكثيرات في نجد باسم (رويضة العرض).

ثم فرق إلى اليسار طريق مويسل: قرية شمال الرويضة، على أحد فروع وادي الصرداح، في غربيها قرية عروة على فرع من وادي (غنيغاء) - بغينين معجمتين - كذا ظهر في الخرائط، ولم يذكره ابن جنيدل في معجمه، ولعل في الاسم تحريفاً، وهو وادٍ كبير كثير الروافد يمتد من جنوب العرض فيغيب في نفود السر، وعلى يمينه مع انحداره: مويسل ونخيلان، ومحيرقة، وجُزيل، ومزعل، وكلها قرى عامرة.

لَقْعَة:

وعلى (٧٢) كيلاً من حلبان وصلنا قرية تدعى (لَقْعَة) كتبت في لوحات الطريق (لجعة)، وهذا مفرق طريقها، وهي يمين الطريق، قال الشيباني: إنها تبعد قرابة (٦٠) كيلاً جنوباً بشرق.

وسألت الشيباني، الذي سنرى خبره بعد حين، عن صحة اسمها فقال: (لِجْعة)، ونطق القاف من بين الأضراس، وهي لهجتهم في القاف، كما تقدم، أما كسر اللام فهي أيضاً لهجتهم في الاسم المسكن ثانيه، مثل حلبان، كما تقدم، وبمناقشته تبين أنها بالقاف (لقعة) واللقعة من أسماء الحزن والغبن.

الجفارة:

وبعد مفرق لَقْعَة، بما يقرب من (١٣) كيلاً، وصلنا إلى الصرداح، ثم الجفارة: قرية كبيرة تتفرق منها طرق برية إلى: القويع، وهو خلفنا إلى جنوب الطريق، بل إلى شرقه أقرب، لأن الطريق أخذ الآن اتجاهاً أكثر انحرافاً إلى الشمال (٦٠°)، وطريق مزعل: قرية يسار الطريق قرب الجفارة، وآخر إلى مُحيرقة فجُزَيل: قريتان يسار الطريق إلى الغرب من

الجفارة، والجفارة تقع على نفس الوادي الذي تقع عليه بلدة القُوَيعِيَّة، وقال الشيباني: إن الصرداح هو اسم الوادي.

القُوَيْعِيَّةُ:

وعلى (١١٠) أكيال من حلبان دخلنا بلدة القويعية: بلدة متقدمة عمرانياً، مستطيلة باستطالة واديها والطريق معاً، ذلك أن آكاماً تحف بها من الشرق والغرب، وتمتد القرية حتى يُظنُّ أنها بلدتان، وتخرج منها مخططات بنيت فيها الدارات الجميلة، لون مباني البلدة الأبيض مما زاد في رونقها وجمالها، ومنذ أن خرجنا من عمران الطائف لم نر أجمل ولا أحسن تنسيقاً منها، وغني عن القول إن هذه البلدة فيها كل مرافق الدولة، من إمارة ومحكمة وبلدية وإدارة تعليم وشرطة، وغير ذلك مما يحتاج إليه المجتمع، مبانيها تكثر فيها ذات الثلاثة أدوار، ومساجدها شامخة المنارات أنيقة، وواديها خصيب وزراعتها حسنة، فإذا تجاوزتها أخذ الوادي يميناً، فيفيض في نفود السر شرق البلدة، وهذه النفود وأمثالها تمتص سيول الأودية المنقضة عليها من الغرب من العرض فتخزن تلك المياه، مما جعل مياه الخرج والأفلاج تظهر على الأرض عيوناً ساهرة بلا مؤونة، والأفلاج تقع الآن شرقنا على مصاب هذه الأودية.

نفود السر:

ما أن خرجنا من بلدة القويعية حتى صادفتنا نفود السر، وهي نفود تعترض الطريق، مستطيلة من الشمال إلى الجنوب، ففي الشمال تمتد في إقليم اليمامة، فتمر غرب شقراء حتى تتصل بنفود الثويرات غرب الزلفى، ثم عرق المظهور شرق القصيم، وفي الجنوب تمتد حتى تتصل بنفود الدحي التي تباري جبل طويق من الغرب حتى تقرب من وادي الدواسر، ونفود السر ذات طول بلا عرض يناسب طولها.

وأثناء مرورنا في هذه النفود فرقت عنا طرق، منها: طريق إلى اليمين إلى (حُجيلة)، قرية شرق القويعية وتابعة لها، وكذلك طريق إلى

(الخروعية) في نفود يسمى (عُريق الدُّغَيبِيس) فرق هذا الطريق على بعد (٥٠) كيلًا أو نحوها من القويعية، وبعده بخمسة أكيال فرق إلى اليسار طريق (لَبْخَة) قال الشيباني: (لبخة صُويتة).

الجِلْهُ:

وعلى (٧٣) كيلًا من القويعية دخلنا منطقة الجِلْه، الاسم لصحراء ممتدة منا إلى الشمال أكثرها، والذي دخلنا مع الطريق بلد متناثر العمران يمتد بامتداد الطريق، ومنه ما يذهب بعيداً عن الطريق، ولو ضم عمرانه بعضه إلى بعض ما زاد عن حجم قرية عادية، ومع هذا فقد عددنا فيه أحدى عشرة منارة. دخلناه في الساعة السادسة مساء مع قرب أذان المغرب، فمررنا بمدارس ومحطات ومطاعم، ومنه اتخذنا مكاناً في براح من الأرض، وكان الجو حاراً إلَّا أنه أخذ يفتر حتى برد في الليل فصار لطيفاً، وهذا هو جو نجد في مثل هذا الفصل. ويبدو أن مياه الجِلْه غزيرة لوقوعه بين سلاسل الرمال التي تختزن المياه، فجنبات هذا البنيان الذي بلغ طوله عشرة أكيال كلها مخضرَّة، وإلى بعيد منا وعلى طريقنا.

وفي الصباح شاهدنا في الجنوب إلى الشرق (جبل عُبيد) بارزاً بين الرمال.

اليوم الثالث للرحلة

بكرنا من الجله في الساعة السادسة صباحاً، أي قبيل طلوع الشمس، وما أن تحركنا حتى قابلتنا ذكاء كأنها (عَسْجد يتضرَّم)، فكانت من وراء حبال رمال (قنيفذة)، فكان سطوعها على بياض الرمل جمالاً على جمال ومنظراً خلاباً، ولوحة أبدعها مبدع كل شيء.

ولم نلبث أن وصلنا إلى قُريَّة صغيرة تدعى (هجرة الرَّيَّان) إلى يمين الطريق.

نفود قُنَيفِذَة:

ثم هبطنا نهياً بين حِبال من الرمل يدعى (خب الريم) ـ والخب عند أهل نجد المكان المستوي بين حِبال الرمل ـ وفي خب الريم مزارع كثيرة، منها مزرعة كبيرة على جانب الطريق تدعى (الخالدية).

ثم صعدنا نفود قنيفذة، وهي نفود قصيرة المدى تمتد شمالاً حتى تشرف على سهل قرقرى، وجنوباً إلى نواشغ وادي نساح والأوسط.

وعلى (٢٤) كيلاً من الجله فرق إلى اليسار طريق (السالمية)، لعلها مزرعة، ثم لم نلبث أن فرق إلى اليسار أيضاً طريق (خشم ذويبان)، وهو جبل أسمر مستطيل في الأرض نراه من هنا، يكتنفه رمل (الغُزَيز) الذي يتصل بجو شمالاً.

وبعده بأكيال فرق، إلى اليسار أيضاً، طريق المشاعلة.

ثم فرق بعده بقليل طريق (الغطغط)[١]، وهي مدينة في وادي قرقرىٰ، لها ذكر طيب.

ثم فرق إلى اليسار أيضاً طريق (جَوّ)، وهي ناحية من طرف قرقرى الجنوبي ذات مزارع ونزل.

ومن هنا ظهرت لنا نعوف جبل اليمامة مشمخرّة، فقلنا مع عمرو ابن كلثوم.

وأعرضت اليمامة واشمخرَّت   كأسياف بأيدِي مصلّتينا

المزاحمية والغطغط:

وعلى يسارنا كانت المزاحمية والغطغط وضرمة: مدن جميلة تنتظم في قرقرى.

---

(١) انظر كتابي الرحلة النجدية.

ثم جزعنا ذلك النهي الواسع، الذي يتكون منه سهل قرقرى ووادي لحاء، فكان (قرقرى) على يسارنا و(وادي لحاء)[1] إلى يميننا، وفيه تقاطع الطريقان: القديم الذي تركناه في (ظلم)، والجديد الذي نسير عليه. فأما القديم فقد واصل مساره القديم إلى (أديراب) و (الشَّفَا)، فيأتي الرياض من الغرب، أما الجديد فقد سار ندباً مقاطعاً الأول، فصعد جبل طُويق الشمالي في عقبة كأْداء تدعى (القَدِيَّة)، شقت بين شخانيب من قمم هذا الجبل العملاق، تخرج منها نصوب مرازيز كأنها عسكر بأيديهم السيوف، كلفوا بحراسة هذه البقعة ومراقبتها، وصعدنا والسيارات تدب دبيباً، حتى إذا علونا ظهرها استوى بنا الطريق في وسقة مستريحة، فإذا بأوائل عمران الرياض يعارضنا، وكانت قبل بضع عشر سنة بعيدة من هنا.

الوصول إلى الرياض:

وعلى (١٠٧) أكيال من الجله عبرنا فوق جسر على وادي حنيفة قد تناوشه عمران هذه العاصمة المشرقة، وكانت الساعة السابعة صباحاً، وظهرت الطرق مزدحمة بالسيارات.

وبعد أن قطعنا (٩٤٦) كيلًا من مكة، توقفنا عند منزل أبي خلف في حي الروضة، وعانقنا الأهل والأحبة وقلنا: الحمد لله رب العالمين.

أيام في الرياض

إن الذي يدخل مدينة كالرياض اليوم ولم يكن من أهلها يضل الطريق، مهما وصف له ورسم من شوارع، وهذا ما حدث لنا. فقد درنا عدة دورات، ثم توقفنا أمام مكتبة الملك عبد العزيز، واتصلنا بالهاتف، فجاءنا الرد من مصلت بن عاتق الذي ـ فيما يبدو ـ كان في انتظارنا، فلم نلبث أن جاءنا فاصطحبنا.

---

(١) انظر كتابي الرحلة النجدية.

اليوم الخامس للرحلة، الجمعة ٩/ ٢/ ١٤١٣ هـ الموافق ٧/ ٨/ ١٩٩٢م

كان اليوم الرابع يوم راحة وفراغ للأهل، وهذا يوم الجمعة، وهو عيد مفضل عند المسلمين، وقد بكَّر بنا أبو خلف إلى مسجد كبير واسع حديث البناء كحداثة هذه الأحياء، وهناك خطب فينا إمام شاب، فوعظ وأجاد لمن يتعظ، غير أنني لاحظت عليه، غفر الله لنا وله، ترك عادة طيبة يسير عليها الخطباء، وهي إتيانهم، في آخر الخطبة، بالصلاة على النبي ﷺ، والترضِّي عن الخلفاء الراشدين، وهي سنة سنها عمر بن عبد العزيز، فقد كانت بني أمية تلعن علياً ـ رضي الله عنه ـ على المنابر، فلما استخلف عمر غيَّر تلك السنة السيئة فرتب الخلفاء، بعد الرسول، حسب ترتيبهم الزمني، ووضع مكان اللعن الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ والإِحْسانِ وإِيتَاءِ ذِي القُرْبىٰ ويَنْهىٰ عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ والبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون﴾[1]، فأخذت الأمة هذه السنة بالقبول، ولم يشذ عنها إلّا مذاهب معروفة.

وفي المساء زارنا الأخ عويضة المخلفي من حرب، وكان نقاش ومذاكرة مفيدة.

اليوم السادس للرحلة، السبت ١٠/ ٢/ ١٤١٣ هـ

كان سابع عَلِيّ بن حسن بن خلف، حفيدي الرابع في هذا البيت، كان المفروض أن يكون الجمعة التي دورها جمعة أمس، ولكنهم أخروه لحضورنا، ثم صار من المفروض أن يكون يوم أمس الجمعة، وهو رأس الأسبوع الثاني، ولكن ظروفاً أخرته إلى مساء هذا اليوم، وتكرم أبو المولود فدعا أناساً ما دعاهم إلَّا لما يربطني بهم من علاقات وصداقات، فحرص على من نأنس به ويفيدنا علمياً ومعنوياً، ولم يستطع

---

(١) سورة النحل: ٩٠.



(ـ) الخريطة عن الأطلس التأريخي للدولة السعودية، والتعليقات لصاحب الرحلة.

(١) المه



الفرشة. (٣) وادي الخرمة. (٤) الغريف: بالفاء. (٥) انظر النواصف في المعجم، آخر الكتاب.

العثور على عناوين بعض المرغوب في حضورهم، ومع هذا حضر عدد غير قليل من المحبين وزملاء السلاح فيما مضى، فكان من الحضور: الشيخ عبد الله بن محمد بن رداس: المؤلف المعروف، وأمير بلدة عرجاء اليوم، من بني علي جماعة الفرم، ومن قبيلة حرب[1]، والعميد الركن: سعد بن مصلح الفريدي، والشيخ: معزّي بن بطحي المخلفي، أخو أمير العَيْثَمَة، والعميد: سليمان بن علي المحيميد[2]، والشاب: عبد الله بن سليمان العيسى المنصور من أهل الغاط (لغاط قديماً)، وجملة من الشباب الذين تربطهم علاقة بمضيّفنا والد المسبع له.

وكان الحفل، على صغره، بهيجاً، تبودلت فيه مناقشات شتى، وجرت فيه حوارات وآراء قيمة، ليس هذا الكتاب مكاناً لكثير منها.

اليوم السابع للرحلة: الأحد ١١ صفر سنة ١٤١٣هـ

خرجنا من صلاة المغرب، في مسجد هذا الحي الذي نقيم فيه ـ وكنت منذ وصلت وأنا أبحث عن رجل ممن يعرف الطريق الذي أتينا عليه ـ وعند خروجنا أشار بعض الناس إلى رجل من الشيابين، فأسرع إليه أبو خلف[3]، وهو يقول: يا أخ! فتوقف الرجل، فتقدمت إليه وطلبت منه، قائلاً: نريد من وقتك خمس دقائق! فكنكن باديء ذي بدء ـ والناس هنا حذرون، وليس لهذا سبب معين ـ وما كاد يوافق، فدخلنا البيت مع تحيات وترحيب صاحب البيت، وشرحت له المطلوب، فروى لنا بعض ما سألناه عنه، ومنها بعض قرى حلبان وما حوله، وسألته: لماذا تقولون (حِلِبان)؟ قال: هذا كلامنا. قلت: وهل تعرف معنى حلبان؟ قال: (نعم، إذا ربَّع ورعته البل (الإبل) كثر حلِيبها)! وفي النهاية

(١) ترجمت له في (نسب حرب).

(٢) أهل نجد عندما يسمون (محيميد) يظنونه تصغير محمد، وليس كذلك، لأن محمداً لا يصغر أبداً، إنما محيميد تصغير محمود.

(٣) هو حسن بن خلف البلادي، ابن أخت المؤلف وزوج ابنته، وجده عم المؤلف.

أردت أن أثبت اسمه فلم يوافق، وشدد على عدم ذكره، فكان له ما أراد.

ظاهرة حسنة:

لفت نظري، خلال حفل سابع علي بن حسن، أن الموجودين لم يدخن منهم أحد، ولم يدخن أحد من زوارنا طيلة هذه المدة، فلا أدري أهي مجاملة أم أن ظاهرة التدخين أخذت في التلاشي؟ والأخير أرجو.

الزملاء القدامى:

منذ أن خرجت من الجيش انشغلت بالأعمال الأدبية والفكرية، وشغلتني الرحلات المتواصلة والطبع والنشر، فانقطعت صلتي، أو كادت، بالعسكريين، وفي هذه الرحلة وجدتني أقول مع عمر بن أبي ربيعة:

وذو الشوق القديم وإن تعزَّى ... مشوق حين يلقى العاشقينا

فمن ضمن من اتصل بهم مضيّفنا:

١ ـ اللواء عبد الرحمن بن ناصر الوهيبي: كان زميلاً في إحدى الدورات، وكان مثال الأخلاق الحسنة، وظل يتصل بين هاتفياً، وفي هذه الليلة، أي مساء الأحد، زارنا بعد العشاء، فكان لقاء مودة وإخاء.

٢ ـ اللواء قاعد بن صنهات الحربي، من قبيلة الشعب من بني عمرو، كان زميلاً في العمل، ولعلي كنت قائده مدة من الزمن، وكانت بيننا مودة أكيدة، وطالت الجلسة مع قاعد، وكانت مذاكرات لما قبل ٢٥ سنة لم نر بعضنا فيها.

سبحان الله! كيف تمر السنون بسرعة، ونحن نركض فيها، ولكننا نركض واقفين، هي تمر ونحن نشير إليها أن أسرعي! وأول ما تسرع به نحن، ولكننا عن هذا غافلون، أو شبه غافلين!

كان أول ما ذكرته عندما اجتمعنا صورة ذلك الشباب الذي كنا نركض به على الأرض، ولا يحلو لنا إلَّا أن نركض ونركِّض من حولنا (وزناً هرول)! هكذا كان يعجبنا هذا الإيعاز! فلما اجتمعنا، بعد نيف وعشرين سنة، فإذا الزمن قد وضع على رأس كل منا مثل ما على قمة جبل الشيخ!

وحان توديع الرياض وأهل الرياض:

نعم، لكل عمل بداية ونهاية، وهذه الضيافة قد استمرت خمسة أيام، أي بزيادة يومين على الضيافة العربية القديمة، ولكن هنا شيء أسمعه، بل كأني أسمعه، وهو: إنك حدثتنا عن نفسك ومن نزلت عليهم وأصحابك القدامى! فأين الحديث عن الرياض؟! الحديث عن الرياض؟! وما عسى أن أحدثك عن الرياض؟ لن أقول لك كما قال البردوني: (ماذا أقوله عن صنعاء يا أبتي)؟!

ولكني أقول لك:

(ماذا عسى يبلغ التعبير من بلد ركب السحابَ وعيناه إلى القمر)!

لقد دخلت الرياض لأول مرة في ٢٠/ ٤/ ١٣٨٤ هـ، أتيتها على سيارة جيب من تبوك، وما كانت الطرق بحالتها اليوم، أو تقرب من هذه الحالة، وكان عندنا الطريق المزفَّت أعجوبة من الأعاجيب، فطريق الرياض ـ الحجاز وجدناه عند البجادية (بين عفيف والدوادمي)، وهناك طريق من الرياض إلى الخرج، أما البلدة فكانت مدينة متواضعة غالبية بيوتها، وخاصة الطوارف، من (اللِبِّن المجصص) إلَّا أن بوادر نهضتها قد بدأت، قضيت فيها سنة في معهد اللغات، فخبرت شوارعها وأحياءها وضواحيها، مثل: هيت وبنبان والعرمة، وحائر سُبَيع والخرج، وغيرها، ثم عدت إليها في رحلة سنة ١٣٩٦هـ[1]، فإذا البون قد شسع، وإذا البلد

---

(١) انظر كتابي الرحلة النجدية، وستعود معنا بأوسع من هذا في المعجم المرفق.

قد اتسع، والثروة طفرت، والخير عام، ولله الحمد والشكر.

أما ما رأيته اليوم فقد كتبه أخوة فضلاء فيما هو أضعاف كتابي، ولم أجد وصفاً أصف هذه المدينة به إلّا البيت المتقدم على ما فيه من مبالغة، ولكن الذي لا مراء فيه إنك لو بعثت رجلاً مات قبل عشرين سنة! ثم قلت له: ما هذا البلد ـ وهو من أهلها ـ ما قال لك هذه الرياض! وقد مازحت أحد أخوتنا الرياضيين قائلاً: لا تنسوا إذا علوتم القمر أن تدلُّوا لنا حبالاً لنلحق بكم!

هذه رياض الخير، هذه المدينة التي لا تجد فيها مسجداً ـ على كثرة مساجدها ـ إلّا مزدحماً بالمصلين، وهذا عندنا أعز من ركوب السحاب، وهو عندنا أولى من الصعود إلى القمر، فمن فاخرَنا بصناعاته وتقانته فاخرناه(بلا إلَه إلّا الله)، وأي شيء يعدل هذا؟ وأي شيء يعدل هذه الصفوف المتجهة إلى الله؟ والله أكبر.

الفصل الثاني

بين الرياض وعَسِير

اليوم الثامن للرحلة الاثنين ١٢/ ٢/ ١٤١٣ هـ

خرجنا من حي الروضة بالرياض بعد صلاة العصر، وخرج معنا الابنان، حسن بن خلف ومصلت بن عاتق، يؤماننا في الطريق، حتى استقام بنا طريق الخرج، فعادا.

وبخروجنا من الرياض كان على يسارنا، عن بعد، سلسلة جبلية مغراء تمتد بامتداد الطريق، وهذه السلسلة تدعى (جبل الجبيل): شمالها عند (خشم العان)، وجنوبها يشرف على مدينة الخرج، وفي قسمها الجنوبي يقع خسف (هِيت) الشهير، قضينا يوماً بجانبه سنة ١٣٨٤هـ، ثم فرق إلى اليسار طريق مزفت يذهب إلى (هِيت)، ثم عبر الطريق فوق وادي الحائر (حائر سُبَيع)، وهذا الوادي يأخذ مياه ثلاثة أودية: وادي حنيفة[1]، ووادي لحاء، ووادي البعيجاء (بعيجاء الحائر) ثم تجتمع كلها في الحائر، ثم تدخل إقليم الخرج، ثم تذهب إلى وادي السهباء شرقاً، ثم إلى الدهناء. ثم كانت إلى يسارنا: البدع، وحلة أبي حزام، وكلها مزارع ونزل غير منتظم، ثم جاءنا من اليسار، ولا يلائم الطريق، (وادي الحَنِيَّة) وهو وادٍ يأتي من الشمال، ويلب سلسلة الجبيل من الشرق فيصب في البدع وما حوله، وقد توقفت تلك السلسلة إلى يسارنا، ثم افترق الطريق السريع إلى فرقتين: إحداهما استمرت قدماً إلى الخرج، والأخرى أخذت يميناً إلى الدلم، فأخذنا

---

(١) انظر كتابي: الرحلة النجدية.

في طريق الخرج، فتوقفنا عند محطة الرفائع، ولعلها (جمع رُفَيِّعة) وهي منطقة زراعية جميلة.

وعندما كان أذان المغرب يتعالى من مساجد الخرج، كنا قد أخذنا جولة في شوارعها الفسيحة الجميلة النظيفة، وعدنا أدراجنا إلى جانبها الشمالي على نفس الطريق. كان في محطة الرفائع فندق أغراني بحجز مكان للمبيت فيه، غير أن أصوات المجموعة غلبتني، فهم يريدون الهواء الطلق، وقالوا: كم مللنا المكيفات والأنوار، نريد أن نكون بدواً ننام في الخلاء! قلت: إن نجداً تكثر فيه الذئاب، قالوا: نحن نأكل الذئاب! ولكن الذين قالوا هذا سألوني بعد قليل: أين مسدسك؟! قلت: تحت رأسي! ولِمَ هذا السؤال؟! قالوا: سبحان الله، البلاوي تبلي! أُفّاً، ألم تقولوا آنفاً إنكم تأكلون الذئاب!.

إتخذنا مكاناً بارحاً نظيفاً من حدود البناء، فبتنا فيه إلى الصباح، وكان الجو غير حسن، ولكننا نمنا بهدوء.

الخرج:

الخرج، في الأصل، إقليم يمتد غرباً حتى جبل العارض، وشرقاً إلى الدهناء، وشمالاً مدينة الرياض، بل دونها، ثم يمتد جنوباً حتى يحاد إقليم الأفلاج الذي سيمر معنا. ومع أن الخرج إقليم إلّا أن عامة الناس تطلق الاسم على المدينة الرئيسية فيه، واسمها (السَّيْح)، إلّا أن السيح لا يعرف اليوم إلّا عند أهل البلاد المحيطة بها.

ومع أنَّا سنستوفي الخرج ـ إن شاء الله ـ في المعجم الملحق، إلّا أن بعض الوصف يجب أن يساير الرحلة ليرشد قارئها، فنقول: إن هذا أدنى الخرج، ثم يستمر الخرج على طول طريق الجنوب إلى قرب حوطة بني تميم.

اليوم التاسع للرحلة، الثلاثاء ١٣/ ٢/ ١٤١٣هـ

بتنا ليلتنا في أرض مستوية تجاورها من الشرق حدائق ذات نخل وخُضَر، ولكن الرياح لم تجر بما يشتهي المسافر البائت في البر، فحرارة الهواء كانت مرتفعة، ولا غرابة فهذا فصل الأسد، قلب الصيف تماماً، وسرعان ما تراكمت السحب ثم انحازت إلى الغرب، فتوقف الهواء، والسحب والهواء قلّما يتآلفان، فظل البرق يكشح في الجنوب الغربي، ودام معظم الليل، ولو لم نكن في هذا البراح المكشوف ما عايناه، وربما لم ندر عنه، وهذا هو الذي أكسب البدوي خبرة التخييل (الشَّيْم)، فجعله يعرف هذا البرق على أي من البلاد، وما قوة مطره. . . الخ، إلَّا أن ليل الصحراء ما عتم أن فتر حره، ولطف جوه، ولكنه لم يصر مقبولاً إلَّا بعدما اضمحلت تلك السحب بعد منتصف الليل.

تحركنا من مبيتنا في الساعة (الخامسة وعشر دقائق) عائدين على طريق: الخرج ـ الرياض.

وعلى ستة أكيال فرق طريق الجنوب يساراً جنوباً شرقياً، وكان طريقاً ممتازاً، فسرنا عليه، فدخل بين سلسلة أجبل صغار حمر تعترض الطريق على ستة أكيال من مفرق طريق الجنوب.

الهَيَاتِم:

كان على يميننا البدع القديم، ثم فرق إلى اليمين واليسار في نفس الوقت طريقان: أحدهما إلى اليسار، وهو طريق الهياتم: قرية كبيرة ومزارع، وإلى اليمين طريق وادي نساح، ثم ألممنا بالرفيعة: مزارع ومنازل متناثرة، على يمين الطريق ويساره، ذات تنظيم حسن وحركة شاحنات وعمال، وعلى (٣١) كيلاً تقريباً من مفرق الخرج والجنوب: فرق إلى اليمين طريق نعجان.

الدُّلَم:

ثم على أكيال من مفرق نعجان وصلنا إلى (الدُّلَم) على (٣٣) كيلاً

من مفرق طريق الجنوب، وهي بلدة زراعية كبيرة، تحيط بها المزارع من كل جانب ومزارعها خَضِرة نَضِرة، وعمران البلدة وحركة الداخل والخارج تدل على نهضة ونشاط، وتدل مبانيها وتخطيطها على أن هذا التقدم جاء بعد ركود طويل، ولكن أهل الدلم، فيما يبدو، أخذوا يستغلون إمكاناتهم بطرق مرضية.

وفي الدلم مساجد ومدارس وفروع للبنوك، علاوة على الأمور والمرافق الإدارية المسلم بها، والتي لا تخلو منها بلدة اليوم، وإن كانت أصغر من الدلم.

وتقع الدلم البلدة والمزارع في سهل واسع يكاد يكون كله أخضر، وهو امتداد لإقليم الخرج، يحف به من الشرق (البياض)، ومن الغرب جبال العارض، ثم يمتد إلى حوطة بني تميم.

وبخروجنا من مدينة الدلم انتهى الطريق السريع، وصار ذا مسار واحد للذاهب والآيب، وعلى (١٥) كيلاً فرق إلى اليمين طريق الرغيب، قرية إلى يمين الطريق ليست بعيدة، أما (العذار) و (زميقة)، القريتان الزراعيتان، فقد تركناهما إلى يسارنا. وعلى بعد عشرين كيلاً تقريباً خرجنا في صحراء بيضاء كثيرة النفود والآكام الطينية التي تشبه الخيام، ثم جاءنا من اليمين، أي من الغرب، لأن الطريق الآن صار يسير جنوباً شبه عدل، جاءنا شعيب أثيلان، وهو وادٍ يأتي من (عُلَيَّة) من طويق.

حَوْطَةُ بني تميم:

وعلى (٦٢) كيلاً من بلدة الدلم وصلنا إلى (حَوْطَة بني تميم)، وهي منطقة ذات مزارع عديدة وقرى، جلُّ سكانها من قبيلة بني تميم، وأول ما دخلنا الحوطة افترق عنا إلى اليمين طريق الحريق، ثم ظهرنا في بلدة حديثة على ظهرة من الأرض، وليست هذه قاعدة الحوطة القديمة، إنما هي أرض نزهة طيبة الهواء خططت حديثاً، والحوطة، كما قلنا، منطقة زراعية آهلة بالسكان، قاعدتها (الحِلّة) وهي إلى يمين

الطريق، ولها من الأحياء والقرى المجاورة: الباطن، والفرعة، والعطيان، والقويع، والحلوة: من أكبر أحياء الحوطة، ويجتمع في الحوطة واديان فحلان، هما: وادي نعام، ووادي بُريك، فإذا تجاوزا الحوطة مجتمعين سمي الوادي (وادي المجازة) به زراعة ومياه، وخصوبة الحوطة بسبب اجتماع الواديين، وكثرة سيولهما لكونهما يسيلان من قمم طُوَيق العالية، وكل إلتقاء لواديين أو أكثر يكون غزير المياه.

كان الحي الجديد من الحوطة قد سارعت إليه الشركات والبنوك، فهذا بنك كذا نرى لوحته، وهذه الخطوط السعودية، وغيرها مما يدل على أن المنطقة ذات حركة وتقدم.

المطر:

المطر جلاء العين وبهجة النفس، وأثر رحمة الله، ولما خرجنا من الحوطة باتجاه الجنوب، فإذا بآثار تلك السحب التي بتنا نشيمها الليلة البارحة من الخرج، فإذا بنقع المطر يمين الطريق ويساره، ولكن مثل هذا المطر، في مثل هذا الفصل الصيفي الحار، قليل الفائدة للزراعة، وزاد الطين بلَّة أنه جاء والنخيل قد أينعت، وعادته إفساد صيفها، إلَّا أن الناس اليوم عرفوا ما لمخزون الماء من فائدة، فهم يقولون: إن لم ينفع على ظهرها فسيزيد في ماء جوفها!

وعلى كل حال فإن الله لا يدبر أمراً على وجه الأرض إلَّا فيه خير للناس، فإن لم يكن لكل الناس فلبعضهم.

وعلى سبعة عشر كيلاً من الحوطة جاء طريق من اليمين، هذا الطريق يفترق من طريق الحريق بعد افتراقه من الخط العام، فيذهب طريق الحريق غرباً شمالياً ويعود هذا إلى الجنوب فينتظم ـ على التوالي ـ الحلة فالعطيان، فالقويع فالحلوة، ثم يعود إلى طريق الجنوب متجهاً جنوباً.

ثم فرق إلى اليمين طريق إلى المثعب، وهو بجانب الطريق، وإلى عين البكرة بعيداً إلى الغرب.

وجاءنا من اليمين وادي (برك) وهو وادٍ كبير يذهب سيله إلى البياض.

هُجْرَة آل شدّاد:

وعلى قريب من (٤٠) كيلاً من الحوطة مررنا بهجرة ومزيرعات لآل شدَّاد، ولا حياة بينها وبين الحوطة ومنها بدأت علائم حياة زراعية، بل محاولات، وهناك منشآت وبيوت هنا وهناك، وتوجد سوارح من الأغنام المجلوبة من خارج البلاد.

ثم جاءنا من اليمين وادي (أبرقية) وبه سيل من مطر البارحة، وهو وادٍ يأتي من جهات طويق، ثم يجتاز الطريق مشرقاً فيدفع في وادي (العقيمي)، وهو وادٍ فحل سيأتي معنا - إن شاء الله - في المعجم المرفق.

الأَفْلَاجُ:

تجاوزنا وادي الأبرقية، ولا زال البياض عن يسارنا، وطويق عن يميننا، والطريق باتجاه الجنوب، والأودية تأتي من الغرب، فإذا توسطت هذا البطن غيرت مسارها إلى الشمال، إلى الخرج والسهباء. وهناك وبعد هجرة آل شداد بما يقرب من (٤٠) كيلاً، خرجنا من الحياة الزراعية وسرنا في صحراء جرداء، وتغير وجه الأرض فصار يحف بنا من اليمين حزوم سود متقاودة، ومن اليسار لا يزال البياض، ثم إن الأودية الآتية من طويق غيرت مسارها فصارت تتجمع، ثم تتجه جنوباً لا شمالاً كما كان إقليم الخرج، وظهر أن الصحراء الواقعة بين اتجاهي الأودية هي الحد بين إقليمي الخرج والأفلاج، وهذه الأودية، التي أدارت أعناقها الآن إلى الجنوب، هي متجهة إلى إقليم الأفلاج. وقبل ليلى بـ (٤٣) كيلاً مررنا فوق جسر على وادٍ كبير يأتي من اليمين.

ثم دخلنا إقليم الأفلاج، وقابلتنا مزارعه على بعد (٢٢٧) كيلاً من حوطة بني تميم، فوجدنا مزارع واسعة ونخيل باسقات، والرطب فيها قد أينع، ولم يصبها المطر المذكور آنفاً.

لَيْلَى:

تقع مدينة لَيْلَى في فضاء من الأرض واسع، يحف به من الغرب سلسلة جبال طويق، وكل خيرات هذا السهل تعود - بعد الله - إلى هذا الجبل الممتد من قرب الزلفى شمالاً إلى ما وراء السليل جنوباً، فكل ماء أو خضرة في هذه الأقاليم مردها سيول هذا الجبل الضخم الذي تسيل منه مئات الأودية، ويحف بسهل ليلى من الشرق (البياض)[١]، أما الشمال والجنوب فصحراوان قاحلتان، وكذلك الشرق.

وليلى: قاعدة إقليم الأفلاج، تتوسط مدنه ومزارعه، ولم أجد لها ذكراً، فيما بين يدي من قديم المراجع، فيظهر أن التسمية متأخرة، وفي كتب المتقدمين أن القاعدة هي (الفَلَج) بلفظ فلج العين، ثم مرت عصور على جزيرة العرب لم يطرقها ذو علم، فتغيرت معالم واندثرت معالم، فلما انجلى الغبار فإذا نحن بين معالم جغرافية وقبائل عربية لا نكاد نحق عنها شيئاً، وبقرب (ليلى) جبل التوباد، على ما فهمت في الآونة الأخيرة، ويقولون إنه الذي قال فيه المجنون:

وأجهشتُ للتوبادِ لما رأيتُهُ   وكبَّر للرحمٰنِ حينَ رآني

قالوا: التوباد قرب ليلى، ولم أر من أصحاب المعاجم الحديثة من ذكر ذلك. فلعلَّ من قال هذه ديار ليلى، ثم أطلق على قرية من قرى الأفلاج اسم (ليلى)، ثم كبرت هذه القرية فترأست الإقليم، والذي أظنه أنها بلدة (فَلَج)[٢] القديمة، أو أحد أحيائها، فكبر فاشتهر، ومهما

---

(١) في آخر الكتاب ألحقت معجماً يوضح هذه المسميات المختصرة هنا.

(٢) ستذكر - إن شاء الله - في المعجم الملحق.

يكن فالمدينة في موقع جغرافي يؤهلها لتكون قاعدة، وهي مدينة متقدمة نوعاً، تجارتها رائجة لانقطاعها في عمق البادية، وفيها كل مرافق الدولة، والمرافق التجارية، ولها أحياء منتشرة، وطرق جيدة، واتساع أكنافها من أسباب تقدم عمرانها.

ويحف بليلى من القرى على جانبي الطريق، ومن الشمال إلى الجنوب: وسيلة: يسار الطريق، الفرشة يمين الطريق. الخالدية والفيصلية والقطين والعَمَار والسَّيْح الجنوبي والقاسم والصَّخو، كلها على يسار الطريق بعد أن يتجاوز القاعدة، بين قريب منه وبعيد نسبياً، والجبالة والروضة، على يمين الطريق. وتركنا طرقاً قبيل ليلى تذهب يميناً وشمالاً، إلى: وسيلة، وإلى النايفية، وإلى سمحان، وغيرها وكان قبل وصولنا إلى ليلى فرق إلى اليمين طريق الغَيْل.

بين لَيْلَى وعُيُون الأفلاج:

خرجنا من ليلى بعد أن تجولنا فيها، وعلى (٩) أكيال منها كنا نسير بين مزارع العمار والروضة، وفي الساعة الثامنة والربع توقفنا عند بستان نخل تهدلت قنيه لرجل من قحطان، كان الرطب لذيذاً، ولكن الماء كان هامجاً، وفسح لنا الشيخ على كل ما في المزرعة، غير أن غرضنا كان الظل والهواء، فالذي يهدي التمر في هذه الديار (كمستبضع تمراً إلى أهل خيبرا)[١]، أما الظل فقد وجدناه، وأما الهواء فكان ساكناً، مما أزعجنا، فرحلنا، وعرفنا من هذا الشيخ[٢] أننا إذا تجاوزنا البديع فليس أمامنا إلَّا الصحراء القاحلة، ولأن معنا كما قال (رُهْمَان) فإنه ينصحنا بألَّا نخاطر مع هذا الحر، فلربما (بنشرت) السيارة أو تعطلت، فلا يحتمل الرُّهْمَان قسوة القائلة في هذه المنطقة.

(١) حسان بن ثابت.

(٢) كنت أريد أن أسجل اسم الشيخ، ولكنه ذهب فأبطأ علينا. الرهمان: النساء والأطفال، بنشرت: نسمت العجلة.

عُيُون الأَفْلاج:

إذا ذكرت الأفلاج في نجد فإن أول ذكر وأهمه يكون لعيون الأفلاج، ويروون حولها أساطير، ويصفونها بأوصاف تستهوي الباحث، وكنت أظنها عيوناً تجري فتسقي كالعيون في الحجاز.

وهكذا كانت عيون الأفلاج، سألت الشيخ القحطاني عنها، فأرشدنا إلى مفرق طريقها. خرجنا من مكان استراحتنا، وعلى (١٦) كيلاً من مدينة ليلى فرق إلى اليسار طريق (العيون) عيون الأفلاج، فأخذ في الرمل مزفتاً ثم تقطَّع الزفت.

وعلى خمسة أكيال من ذلكم المفرق وصلنا إلى أول عين من عيون الأفلاج، وكانت المفاجأة! فإذا نحن أمام خسف يشبه البئر، وقد أحيط بأسلاك شائكة حماية للناس من التردي فيه، ثم تجاوزنا إلى خسف أكبر منه كثيراً، وهو الذي قيل - في الرياض - عين سعة فوهتها ثلاثة أكيال، فما تصورت أن ماءها أقل من ماء دجلة، ولما وقفنا عليها فإذا بخسف في الأرض طويل، أما عرضه فأقل، ولم نر الماء لأن الأسلاك الشائكة تحيط به، وهو عمل خير، فلولا هذه الأسلاك لراح به كثيرون. وتتكون منطقة العيون من نشفة صلبة نوعاً من الحجارة الكثانية، ويبدو أن المياه أكلت هذه النشفة من أسفل فانخسفت الأرض على ذلك الماء.

وأهل الديار هنا يحوكون حولها حكايات بعضها قابل للتصديق، من ذلك قولهم: إن هذه العيون تمشي تحت الأرض فتنبع في الأحساء، وأن عين أم سبعة، الشهيرة في الأحساء، تنبع من امتداد هذه العيون من تحت الأرض، وهذا غير مستبعد، لأن رواة عيون الأحساء لا يمكن أن تأتيها إلَّا من هذه السيول التي تنقضُّ من جبل العارض وسراة الحجاز، ثم تبتلعها نفود الدهناء والربع الخالي، بل وقد تذهب هذه الرواة من تحت الرمال إلى قطر والإمارات وعُمان.

وسمعت أن جامعة البترول أصدرت دراسة عن هذه المنطقة ـ بين الرياض ووادي الدواسر، وما حول ذلك ـ فاكتشفت مخزوناً من المياه لا يكاد يصدقه العقل، فقالوا: «يعدل ماء النيل لمدة (٥٠٠ سنة)»! وهو أمر لا يأتي به الخيال، ولكن من يتأمل المنطقة يعلم أنها ترسل (بلايين) الأطنان من الماء كل عام، وهي:

١ ـ منطقة جبل طويق أو عارض اليمامة وطوله يزيد على (٨٠٠) كيل، تنحدر سيوله إلى الشرق فتذهب في الرمال في الغالب الأعم.

٢ ـ مياه سراة الحجاز الشرقية، من الطائف إلى ما وراء خميس مشيط، وهي ذات أودية جارفة كلها تتحول إلى وادي الدواسر أو قربه، ووادي الدواسر تصب مياهه في البياض ثم الدهناء عند التقائها بالربع الخالي، ووجه السراة المذكور هنا يبلغ طوله (٦٠٠) كيل، يسيل على مدار السنة.

ومهما يكن فإن هذه المنطقة ترقد على بحر من المياه، ولكن الغالب عليه عدم العذوبة إلَّا في الأودية التي في أكناف الجبال، فمياه الجبال نادراً ما تهمج.

وأخيراً فعيون الأفلاج (تسمع بالمعيدي خيراً من أن تراه) إلَّا أن موقعها وشكلها يبقيها أعجوبة من الأعاجيب.

ديار عاد(١):

ويستقرأ من التاريخ، ومن التفاسير القرآنية، والدراسة الجغرافية، أن هذه الديار الممتدة من جنوب إقليم اليمامة إلى البحر العربي ـ وراء حضرموت ـ كانت ديار عاد، وأن هذا التصحر الهائل الذي يشمل

---

(١) عن عاد وأخبارها، انظر كتابي (الأمم المبادة في القرآن).

المنطقة، مثل البياض والربع الخالي، والصياهد المحيطة بهذه المدن القليلة، هي من آثار تلك الريح الصرصر التي أهلك الله بها قوم عاد، كما أخبرنا جل جلاله في القرآن.

البَدِيع :

وما أدراك ما البديع (جهنَّمُ الصَّيفِ زمهرير الشتاء).

درنا في ما حول عيون الأفلاج، وكانت في فري من الأرض بين نبوتين، وكانت تلك الأرض الصلدة مغطاة بالرمال، والرمال مشبعة بأكسيد الحديد، فما أن تحترَّ حتى تصير سائبة دمثة، فتوغلنا، وكانت الساعة العاشرة، وقد التهب الرمل، وكان خوفنا أن تغرز السيارة لعمق الرمل، فماذا يحدث؟! إن المنطقة لا توجد فيها شجرة واحدة، ما عدا شجيرات الرِّمث، ولا نرى حولنا عريباً أو مجيباً، ومع أن السيارة الجيب مزودة بغيار إضافي (دبل)[١] إلَّا أنها كثيراً ما تخور عزيمتها في الرمال الغزيرة إذا لم نباشرها قبل التغريز، ولأن السيارة جديدة كنا نحنُّ عليها من هذا العمل، وحدث ما نحذر منه، وانغرزت العجلات وغاصت في الرمل، وليس في طاقة إنسان النزول والحفر في هذه المليلة، وشغَّلنا الدبل، ولكن السيارة ثقلت وصارت تحنُّ وتئن مكانها، وبدأ الكل يقرأ ما استحضر من القرآن، فجاء الفرج، وخرجت السيارة وهي تزمجر بصوت يشبه الوعيد، وكانت ورطة، ولكن الله سلَّم، وقلنا الحمد لله رب العالمين.

عدنا إلى الطريق العام، ثم واصلنا سيرنا جنوباً بغرب، فقد أخذ، منذ أن أقبلنا على ليلى، اتجاه الجنوب الغربي، وعلى بعد

---

(١) الدبل باللغة الإنجليزية: الضعف، أي زيادة الشيء بما يساويه، وهو في السيارات أن تسير السيارة بتحريك العجلتين الخلفيتين آلياً، فإذا أردت مضاعفة الحركة شغَّلت غيار آخر يحرك الأماميتين فتصير الحركة بأربع عجلات، وشاع هذا بين الناس باسم (الدبل).

(٣٠) كيلاً فرق إلى اليسار طريق مروان وسويدان والرزيقية، وكلها قرى ومزارع، وعلى (٤٩) كيلاً من ليلى أيضاً وصلنا إلى البديع، وهما بديعان: جنوبي وشمالي، وهذا هو البديع الجنوبي، وبلدة البديع ألمَّ بها التقدم الذي هب على هذه الصحراء، فمبانيها حديثة ونظيفة، ومساجدها على غالبها الجدة، وكذلك المدرسة التي رأيناها، وفيها ورش تنشأ، ومحطات وقود، وفيها وجدنا ورشة منشأة حديثاً ولم يعمل فيها بعد، فملنا إليها لقضاء القائلة هنا، ومع أن الورشة ذات سقف عال، ربما (٥) أمتار أو أكثر، وقد فتح جانباها الغربي والشرقي مما يعطيها تهوية جيدة فأطمعنا ذلك فيها، ولكن ما أن تقدم النهار وتوسطت الشمس من كبد السماء حتى تحول كل ما حولنا إلى نار تتلظى، فهذه الصندقة تنزل منها حرارة لا تطاق، وهذه الجوانب المفتحة تهب منها سموم تشوي الوجوه، لقد تذكرنا هنا عذاب قوم عاد (أعاذنا الله وإياكم منه) وليست ديارهم منا ببعيدة، وأسرع بعض أفراد الأسرة يضع رأسه تحت ظل (الصالون) الذي لو كان له لسان لاشتكى هو الآخر، وكنا قد أدخلناه في ظل هذه الصندقة الواسعة، أما كاتب هذه السطور ـ عفا الله عنه ـ فقد اتخذ شرشفاً يبله بالماء ويتلحف به، فإذا هبت عليه الرياح برد فنام، وإذا جف الشرشف عادت الحرارة وهكذا دواليك، ولم يكن لنا غذاء هذا اليوم إلَّا الماء البارد نشربه من بقالة مجاورة، كنت أنظر بين حين وآخر إلى الساعة، لأن هذه الصحراء يبدأ فتورها بعد صلاة العصر، وجاء الفرج، وأذن لصلاة العصر، وهو إيذان بتصرم النهار، فأخذت النسائم تميل إلى الاعتدال، ولكن ليست كما نشتهي، وخرجنا، بل أخرجنا الله بلطفه وكرمه من هذه القرية.

وبعد عودتنا عاتبني بعض الأهل قائلاً: (ما أخذتمونا في هذه الرحلة الممتعة)!

فوجدتني أقول، ارتجالاً:

كـفـاكَ الإلـّـهُ نـهـارَ الـبـديـعِ   ولَـفْـحَ الـسـمـومِ وحـرَّ الـلَّـهـبْ
تَـهـبُّ الـريـاحُ فـتـسـفـو الـتـرابَ   وظـل (كـظـلٍّ ثـلاثِ شُـعَـب)

السُّلَيِّل:

تحركنا من مقيلنا في الساعة الرابعة عصراً ميممين صوب السُّليِّل، وبعد قليل فرق إلى اليمين طريق الهَدَّار، ثم خرجنا من منطقة البديعين (الشمالي والجنوبي) فخرجنا في صَيْهد من الأرض، يساره البياض ويمينه سلسلة طويق، والاتجاه جنوباً غربياً.

وقبل أن نصل إلى مدينة السليل بمائة كيل عبرنا فوق وادي الضبعيَّة وهو يسيل، وهذا أول الغيث الذي سترى، فيما بعد، بأنه أشغلنا طيلة أيام الرحلة حتى أضرَّ بنا فمللناه، وأنه قد عم من هنا إلى المدينة المنورة، وإلى نجران فما وراءه بلا انقطاع يذكر، وما زلنا نرى الغدران يميناً وشمالاً وكل وادٍ وشعب يسيل، فلعله هطل تواً.

وعلى بعد (٢٤١) كيلاً من ليلى دخلنا مدينة السليل في فم وادي الدواسر، ويسمى الوادي هنا وادي (السُّليِّل)، مدينة متقدمة مبانيها وشوارعها نظيفة، وبها مطار السليل الذي به اشتهرت، وواديها متسع، وهي أصغر من مدينة ليلى مساحة، ولكنها أحكم وأعمر، وزراعتها حسنة، وفيها ـ بطبيعة الحال ـ كل مرافق المجتمع، ولها سوق ليس بالكبير ولكنه منظَّم، وكان واديها يسيل، وهذا الوادي هو مدفع سيول سراة الحجاز، حيث يحتلبها وادي الدواسر وفروعه العديدة، ثم تدفع كلها في هذا المكان فيتسع لسيولها كلها، ويحف بالبلدة والوادي آكام مغر وحداب جرد، هي امتداد جبل طويق الذي يفزره هذا الوادي فيقطعه إلى الشمال والجنوب، ولكن طويقاً، بعد أن يقطعه هذا الوادي، تستمر قطعته الجنوبية غير عابئة بما وراءها فتمعن جنوباً حتى يستولي عليها رمل الربع الخالي فيدفنها.

كانت الشمس تتأهب لتوديع نجد ونهارها اللافح لتذهب إلى حيث يعلم الله، وعندما عبرنا جسر وادي السليل، ورأينا عِظَمَ سيله الذي ملأ جنبات الوادي، أيقنا أنه حصيلة أمطار غزيرة أمامنا، وأنه لا بد من التفكير في المبيت، وهكذا ما مررنا بشعب إلَّا وهو سايل.

خَيْران وتَمْرَة:

وعلى (٢٢) كيلًا من بلدة السليل مررنا بقرية (خيران)، ثم بقرية (تمرة): قرية كبيرة ذات مبانٍ حسنة، وهي على يسار الطريق، ولها وادٍ يحمل اسمها يأتيها من (خشم كمَدَة)، وهو أحد رؤوس جبل طويق إذا تجاوز السليل جنوباً، ويفرغ واديها في وادي السليل عند هذه القرية، وكانت السليل، كما قلنا، قاصمة سلسلة طويق، موقفة الشمالية إلى الشمال فاسحة المجال للجنوبية، ولذا كان موقعها في أضيق مكان من وادي الدواسر، وبعد أن تجاوزنا قرية تمرة اتسع الوادي وانداحت عنه الجبال، وبدأنا نرى المزارع الواسعة، ومعظمها يسمى باسم أهله، وهي بطون من قبائل الدواسر، سكان هذا الوادي من عصور قديمة، فهذه (آل خُليف) وهذه (آل غُبيش) وتلك القرنين، والحيازين، وكلها على يمين الطريق، والمصارير وكَمَدَة، على يسار الطريق، وقبل هذه القرى، عند أول اتساع الوادي، فرق إلى اليسار طريق يذهب إلى (الفاو) ثم إلى نجران وشروري.

الخَمَاسِين:

وعلى (٨١) كيلًا من السليل دخلنا أول مدينة الخماسين، أو الضاحية المجاورة لها، وتدعى النُّوَيْعِمة، ثم دخلنا مدينة (الخماسين) قاعدة وادي الدواسر، وهي مدينة كبيرة لا يريد الإنسان شيئاً إلَّا واجده فيها، وكان المغرب يؤذن له، ودارت سيارة هيئة الأمر بالمعروف على الناس تنبه إلى الصلاة، وهي هيئة تُذكر فتُشكر، فقد رأينا في طريقنا كثيراً من العمالة تسمع الأذان ولا تجيب. وفي النويعمة كانت ورش للسيارات لا حصر لها، مما عرفنا منه حجم المدينة، وفي الخماسين

أسواق ومساجد واسعة وأعمال خير كثيرة، وجدنا برادات المياه في الشوارع سبيل، وهناك فنادق وبنوك وشركات كثيرة، وكان طول الخماسين وحده خمسة أكيال.

دخلت أحد المطاعم لشراء عشاء للأسرة، فإذا شاب دوسري يتكلم بالهاتف مع جدة، وظهر أن له أعمالاً منها هذا المطعم، فرأيت فيه حدة وحذقاً، فجلست أنتظر أن يكمل، فلما فرغ أشرت إليه، فجاء وعليه علائم العجلة، فسألته: وادي الدواسر من أين يأخذ مياهه؟! فأجاب إجابة من تظهر عليه الثقة بجوابه، فقال: وادي الدواسر تلتقي فيه ثلاثة أودية فحول. هي: بيشة ورنية وتثليث، أي أنه يأخذ كل وجه السراة الشرقي من شمال بلاد غامد (شمال الباحة) إلى مسافات شرق خميس مشيط. ثم انصرف الرجل مستعجلاً دون أن آخذ اسمه.

وكان سبب سؤالي ما يشيع عند أهل رنية ـ ولعلي كتبت في مكان آخر[١] ـ أن الخرمة ورنية وبيشة تجتمع كلها في مكان يدعى (الفرشة)، ثم يمتص مياهها عرق سُبَيع، وقد ظهر لي خطل هذا القول في هذه الرحلة، وستراه مفصلاً.

كان المطعم يغص بالعمال المستقدمين، وكذلك الشوارع حتى أنه ليعز عليك أن تجد شخصاً من أهل البلاد لتسأله، وحركة المرور والمتاجر والمطاعم في مدينة الخماسين تشعرك بأنك في مدينة لا تقل حركة عن الطائف وأمثالها.

خرجت من المطعم وكان التفكير في مكان المبيت، فالأرض ثريانة لم تجف بعد من مطر البارحة، والليل قد أظلم، فكيف يحسن اختيار المكان، ولكن الرفقة أبَوْا إلَّا ما عزموا عليه عند خروجهم، وهو أخذ إجازة عن السقوف والمكيفات وضجيج الشوارع، وبجانب الطريق

---

(١) انظر كتابي بين مكة وحضرموت.

الخارج من مدينة الخماسين كانت منشآت أمنية، وكان مخفر للتفتيش، وبقربه قويزات رملية، فملنا إليها لنظافتها وتسكناً بهذا المرفق الأمني، فبتنا هناك.

اليوم العاشر للرحلة/ الأربعاء ١٤/ ٢/ ١٤١٣ هـ

بين وادي الدواسر وتثليث:

تحركنا من ظاهر مدينة الخماسين في الخامسة صباحاً، ميممين الجنوب الغربي على طريق عادي مزفت جيد، وما أن اعتدل بنا الطريق حتى برزت أمامنا لوحة، تقول: تثليث = ١٨٠ كيلاً، خميس مشيط = ٣٦٠ كيلاً، فخرجنا في صيهد منَ الأرض برحرح لا شية فيه يسمى (جبجب)، وقد مطرت مطراً جعل ثراها ظاهراً، والغدران هنا وهناك، مما خفف من منظر الصحراء القاحلة، وليس في (جبجب) نبات ولا شجر، ولكن قيل لنا إنها تنبت المرعى إذا ربَّعت، وفيها نزل كأنه قرية، وليس كذلك في باحة هذا الخبت، قيل لنا إن اسم هذا النزل أو القرية القَيْرة، أو الجبجب.

وعلى قرابة (٥٣) كيلاً من الخماسين كان إلى يسارنا مجموعة أجبل هي ما يلينا من سلسلة جبلية تسمى (القَهَر) التي ظلت تسايرنا، تبعد وتقرب إلى أن دخلنا منطقة تثليث، ويسمى أولها بني سنامة.

وعلى (١٠٠) كيل مررنا بمنطقة (القَيْرة) التي تقدَّم ذكرها، وقيل إن فيها إمارة، والسكن حديث وقد تتطور، فكل شيء هنا يتطور بسرعة، وأي مكان خالٍ قد تجده بعد أعوام قرية، وأية قرية قد تجدها مدينة، والحمد لله رب العالمين.

وما زلنا نسير في ذلك الصيهد، وجبال القَهَر تسايرنا عن يسارنا، ولا زال وقع الأمطار والسيول كذلك.

وعلى (١٣٢) كيلاً من الخماسين ـ أيضاً ـ دخلنا منطقة (رَبَّة)

الجبلية، ذات جبال ضعاضع تمتد شرقاً جنوبياً من الطريق، وظهر في آخرها، إلى يسارنا، جبل (مُرَيْغان) بارزاً، وتسيل من هذه الجبال أودية إلى ذلك الخبت المتقدم (جبجب)، ثم تذهب إلى وادي الدواسر من ضفته اليمنى، من هذه الأودية: وادي (حَرَمان)، وتشرف إلى يسارنا بعيداً قمم جبال (الكِلاب) من قمم جبال القهر، ويسيل من تلك القمم واديا (نعام) و(حليمة) اللذان يجتمعان فيكوِّنان وادي (سَمَارة)، ثم مررنا بقرية صغيرة تسمى (حجرة ربَّة) على (١٤٠) كيلاً من الخماسين، وحجرة ربَّة مضافة إلى هذه الجبال التي لا زلنا نسير فيها. وقبل بلدة تثليث توقفنا عند غدير من وقع المطر فشربنا منه على نية البركة لأنه (حديث عهد بربه)[1]، ثم بدت لنا شعوف السراة مُقْنَيِّفَة كأنه يرفعها الآل.

وعلى (١٩٥) كيلاً من مبيتنا وصلنا إلى بلدة تثليث، والفرق بين لوحة الطرق، المار ذكرها، وعدَّاد سيارتنا بلغ (١٥) كيلاً، ولوحات الطريق، التي سرنا عليها، غير دقيقة، ففي طريق (مكة الرياض) لاحظنا فرقاً كبيراً لم نستطع تفسيره.

تَثْلِيث:

بلدة عامرة ولكنها صغيرة، تحيط بها الجبال من جميع جهاتها، وتقع على ضفة وادي تَثْلِيث اليمنى وعند التقاء روافده الكبار، فيها متاجر حسنة وإمارة ومحكمة ومدارس، ومنها طريق إلى بيشة تحت الإنشاء، من غير ما أتينا عليه، وما سنخرج عليه إلى خميس مشيط، وفي البلدة وجدت الشيخ: عبد العزيز بن هذال بن حويزي، شيخ آل سويدان من آل جَمَل من قحطان، فأخذت منه: إن تثليث وبيشة يجتمعان في وادي الدواسر، وإن أودية تثليث تجتمع بعد أن تتجاوز البلدة (بلدة تثليث) في مكان اسمه (خبية) من ديار (آل جِمل)، وإن

---

(١) القول إن المطر حديث عهد بربه (حديث شريف).

السلسلة الجبلية الحمراء الجميلة، التي تشرف على بلدة تثليث من الغرب، تسمى (الحُمرة)، ومن القرى المحيطة بتثليث: آل سويدان، آل سعد، الغزالة، المدينة بنادق وهي منتشرة من الشمال الغربي إلى الجنوب الغربي، بالإضافة إلى ما سنمر به مستقبلاً.

جَاشٌ:

ودعت الشيخ عبد العزيز، ثم خرجنا من بلدة تثليث على طريق الخميس (خميس مشيط)[١] فقابلتنا لوحة تقول: خميس مشيط (١٩٣)، بعدما يقرب من (٤) أكيال مررنا بقرية (آل جَمَل)، ورأينا عن يسارنا عن بعد قرية: الزُّرق، لآل (شايب من قحطان)، وبعد (٨) أكيال من تثليث وصلنا إلى بلدة (جَاش)، قرية مستطيلة الشكل، فيها مدينة تعليمية: ثانوية ومتوسطة وابتدائية، ومدرسة بنات ابتدائية.

وتقع جاش على جانبي وادي طَريب أحد أكبر روافد وادي تثليث، يشرف عليها من الغرب جبل عال منقاد من الشمال إلى الجنوب، يدعى (طَبَب) ومن الشرق جبل (الربوض)، يقارب الآخر انقياداً وارتفاعاً، وجبال جاش كميتية اللون، وترتفع منطقة تثليث قرابة (١٠٠٠) متر عن سطح البحر.

وفي آخر قرية جاش كان جسر على وادي طَريب، فاتخذنا منه مكاناً للاستراحة والإفطار والقهوة، كانت الساعة الثامنة والنصف صباحاً، وكان الجو لطيفاً والأرض ممطورة إلَّا أن الوادي لم يسل، وكانت السحب تتكاثف مما ينذر بقرب هطول المطر، وفي العاشرة والنصف تحركنا لنرتفع على الجسر، فإذا، قريب منا، دارة (فلَّة) يركب لها باب كبير معتنى به، فوقفت سيارتي وسألت عن صاحب الدار فأُشير إلى الداخل، وهناك وجدت صاحب الدار حسين بن هادي الوهابي، وعنده

---

(١) كما نوهنا سابقاً سيكون ـ إن شاء الله ـ هناك معجم مرفق بالرحلة، يوضح ما أُبهم منها.

جمع منهم: عويد بن هذال، وهادي بن علي بن عجيم، وسعود بن سعد الوهابي، وحبيب بن حباب المسردي، وغيرهم، ومن الجميع أخذت ما لم أره بعيني، ومنه: (زيد): سلسلة جبلية شرق الطريق بعد قرية المضَّة، وشرقنا الآن إلى الجنوب جبال (المويقرة) وجبال (الكِلاب)، وكلها تتصل بأودية تثليث، ومنها وادي (رخيمان) ووادي (جلا) وإلى يسارنا بعيداً قرية (البغبغ).

ودخل علينا صبية، كلما دخل علينا واحد قال (أرحبوا)، وكلمة أرحبوا، عند أهل الجنوب، تعني (حيَّاكم الله).

خرجنا من جاش فأخذ الطريق الوادي قبلاً، وهو وادٍ كثير الأراك خَضِر نَضِر. وبعد (٣٧) كيلاً مررنا بكُتْنَة آل مهدي، فيها مدرسة، وكان المطر قد هطل منذ خروجنا من جاش وسالت الأودية، وكانت الشلالات تسقط من الجبال بالماء الأبيض.

الصُّبَيْخَة:

وعلى بعد: (٥١) كيلاً مررنا بقرية الصُّبَيخة، والمطر لا زال يهطل، وفي القرية محطات وقود وورش ومباني جميلة، وعلى (٧٦) كيلاً. كل هذه المسافات من تثليث مررنا بقرية الحفائر: قُرِيَّة صغيرة فيها مدرسةً.

المَضَّة:

وعلى (٨٤) كيلاً وصلنا إلى قرية المَضَّة: قرية في فضاء من الأرض متسع، وفيها بيوت متناثرة، على عادة سكنى القرى، وفيها ورش، ودكاكين على جانبي الطريق، وجدت في إحدى الورش (فلاح ابن علي بن سيف الحرقان، من عبيدة من قحطان)، وكان لفت نظري جبل أحمر بارز شرق القرية، فسألت فلاحاً فقال: هذا (ضَوْر الخَضِر) وهو أبيض بحمرة كأنه صفاة، وكلمة ضور، في هذه الديار، تُطلق على مثل هذا الجبل، ووراء ضور الخضر سلسلة جبلية ممتدة من الشمال إلى

الجنوب تسمى الجبال السود، يمر وادي تثليث شرقها، بينها وبين جبال القهر، ترتفع (١٨١١) متراً عن سطح البحر. وعند خروجنا من المضة كان على يسارنا جبال تسمى (زَيْد)، وهي سلسلة جبلية منها زيد الأسود وزيد الأبيض، ثم جبل أحمر ذو رأسين: يدعى أحدهما (غُطَيط) والآخر (المطوى)، وهذه هي التي ذكرناها ونحن نتحدث عن جاش.

الغَضَاة:

ثم وصلنا إلى قرية الغضاة على نفس الطريق، وتبعد عن تثليث (٩٠) كيلًا، فيها حركة عمرانية نشطة، وزراعة قليلة، ومدرسة، وأشياء مما في صغار القرى، وبعدها، بثلاثة أكيال، افترق الطريقان: أحدهما أخذ يساراً على وادي طَريب، والآخر أخذ يميناً إلى وادي ابن هَشْبَل، فأخذنا الأيمن، وهذان الطريقان يجتمعان مرة أخرى في خَميس مُشَيْط، الأيمن يأتيه من الشمال، والأيسر يأتيه من الشرق، وسترى أننا عدنا على الأيسر، بعد أن دخلنا الخميس على الأيمن.

طَرِيب:

هو الوادي الذي ما زلنا نسير فيه منذ أن خرجنا من تثليث، وهو من أعظم روافد تثليث. بلدٌ كثير القرى، إلّا أنَّ زراعته دون حجمه، وأعظم قراه قرية تحمل اسمه (طَريب): قرية متوسطة فيها ما في أمثالها من القرى، ذات جو لطيف صالح للاصطياف، وليس طريقنا اليوم عليها، ولعلها تبعد عنا مسافة تقرب من عشرين كيلًا.

اليَعْرَى:

سرنا على الطريق الأيمن بين زخات من المطر والغدر البيضاء، فمنذ الصباح لم نر الشمس، وما فارقنا صوت الرعد. وعلى (١١٨) كيلًا مررنا بقرية (اليَعْرَى) بالقصر، وهي قرية في وهدة من الأرض بين ضعاضع جبال، فيها مبانٍ حديثة، وعمرانها نشط، لعل هذا نتيجة قربها من خميس مشيط المدينة الرئيسية بعد أبها في هذا الإقليم. ورأينا في

اليعرى مركز إمارة، ومدارس، وزراعة متواضعة.

وهي على رأس وادٍ يسمى بها (وادي يَعْرَى) وهو رأس وادي الثِفِن، أحد روافد تثليث الكبار.

رَغْوة:

وعلى (١٢٧) كيلًا من تثليث وصلنا إلى قرية كبيرة في وادٍ عميق من روافد وادي الثِّفِن، فيها زراعة حسنة، ومساكن طيبة، ومبانٍ حكومية بارزة، هذه تسمَّى (رَغْوَة)، والطريق يمر في واديها على جسر، وكان سيله يجري، وتشرف على القرية آكام بوارز، وجوُّها يدخل في أجواء المصايف، وترتفع عن سطح البحر (١٥٠٠) متر.

الجَوْهَرة في وادي ابن هَشْبَل:

ثم وصلنا إلى بلدة (الجوهرة) في وادي ابن هشبل، الذي يبعد عن خميس مشيط (٦٨) كيلًا، وهي بلدة كبيرة متقدمة، فيها مساجد كثيرة وورش لإصلاح السيارات، وفيها إمارة، ومدارس، وكل فروع مؤسسات المجتمع، من بريد وزراعة، ظهر فيها جامع كبير ذو قبة جميلة، وهي في بلاد شهران. وابن هشبل، الذي يضاف الوادي إليه، رجل قديم من شهران، وهذا الوادي هو رأس وادي بيشة، التي ستمر معنا فيما بعد، والجوهرة كانت بئراً في هذا المكان، فلما قامت القرية أخذت اسمها منها.

ويشرف على البلدة من الغرب جبلان بارزان: أحدهما يسمى (المسلَّة) والآخر يسمى (ضَوْر ابن عيسى)، وهو أنهرهما، وهو الجنوبي منهما، والآخر شمالي، وقد تقدم معنا الضَّوْر عند أهل هذه البلاد.

وفي الجوهرة (وجدت شيخاً من شهران أعطاني هذه المعلومات) وكان على عجل بحيث ركب في سيارة أجرة، وهو يقول: ضَوْر ابن عيسى، ضور ابن عيسى! ويشير إلى الجبل.

ومما يدعو للتفكير بعمق أن الناس أصبحوا كلهم مستعجلين، لم أقابل في رحلتي هذه متريضاً إلّا عدداً قليلاً زرتهم في بيوتهم، وكان من الطبيعي ألَّا يظهر العربي العجلة أمام ضيفه، أو أن الوقت ليس بوقت عمل، كالليل مثلاً.

المقْطَاع:

ودعنا ذلك الشيخ المستعجل، والذي كان قد تجاوز الثمانين - خرصاً - وهو يسعى عجلاً، ومع هذا كان حريصاً أن نعرف عن قريته ما أمكنه ذكره. وبعد (١٨) كيلاً من بلدة الجوهرة وصلنا إلى (المقطاع) قرية متوسطة حسنة البناء والتنظيم، فيها مبانٍ كبيرة، تدل على ثراء أهلها، وهي على وادٍ من فروع وادي ابن هشبل، ويشرف عليها من الغرب جبل أزلج يدعى (ضَوْر أحمد).

خَمِيس مُشَيْط:

وعلى (١٠١٧) كيلاً من مدينة الرياض وصلنا أول مدينة (خَميس مُشَيْط)، ولك أن تحذف من هذه المسافة بعض التعرجات، مثل: ما بين الروضة في شمال الرياض إلى وسط الرياض، ومثل مرورنا بمدينة الخرج والعودة على نفس الطريق إلى مفرق الجنوب، وكل هذه الخرجات لا تزيد على (٥٠) كيلاً.

تقع مدينة خميس مشيط في الشرق من أبها على (٣٠) كيلاً فقط، وهذه المسافة بين مركزي المدينتين. أما أطرافها فقد اتصلت، فأنت تسير في الخميس فتجد نفسك في أبها! لم يعد بينهما فاصل يذكر.

كانت خميس مشيط سوقاً يوم الخميس، وكان يقيمها آل مشيط من شيوخ شهران، ولأن الأسواق تُسمَّى بأهلها سُمِّيَت (خميس ابن مشيط)، وابن مشيط عَلَمٌ على كل من يشيخ من هذا البيت، مثل قولنا: ابن عائض، وابن عسم، وابن طامي، ونحوه، ولا زالت الأسواق في السراة

تحمل أسماء أهلها، فمثلاً: أحد بني زيد، خميس مطير، اثنين بللسمر... الخ.

ماذا يقول مشاهد خميس مشيط اليوم؟!

هبطتُ في مطار خميس مشيط سنة (١٣٨٦ هـ)، وكانت قرية إلَّا أنها قرية كبيرة، وكانت تُعَدُّ من ضواحي أبها[١]، ثم زرتها سنة (١٤٠١ هـ) زيارة الباحث، فإذا هي قد تحولت إلى مدينة آهلة بالسكان، ذات شوارع، ذات محال تجارية غنية، وقد دونت تلك المشاهدات، وذكرت الأرض والقبائل المحيطة بها وأنسابها وأحوالها في يومنا الحاضر[٢]، مما أغنى عن إعادة ذلك في هذه الرحلة، إلا أن ما شاهدناه اليوم يستأهل (لَجَّ الغطاريف)! فقد لحقت الخميس بمدن الدرجة الأولى، وتقدمت ضواحيها فكبرت قراها، وفاض الخير على أهلها، فلا ترى إلا نعمة ظاهرة، نسأل الله أن يتمها ويحفظها من الزوال.

دخلنا خميس مشيط في الساعة الواحدة، والناس في صلاة الظهر، والمطر يهطل، والشوارع مكتظة بالمياه، ولم يكن لنا من غرض فيها، فالهدف (القرعَاء)، فعبرنا شوارعها الجميلة بل الأنيقة المشجرة المنظمة، مما يوحي بوجود بلدية نشيطة، وأهل مدركون لأهمية مدينتهم، ثم اتجهنا صوب أبها. وكانت الطرق تفترق هنا وهناك: فهذا طريق رئيسي يتجه جنوباً ماراً بطيب اسم، وآل مشيط، الذين لهم الخميس، وصفوان، ثم أحد رفيدة[٣]، مدينة تأتي بعد خميس مشيط، ثم إلى نجران.

---

(١) قال بعض الباحثين: إن الأَوْلى أن تكتب هكذا (أبهى) أي الأكثر بهاء، وأراه أقرب إلى الصواب.

(٢) كتابي (بين مكة وحضرموت).

(٣) انظر هذا الطريق في (بين مكة وحضرموت).

وعلى هذا الطريق تقع آثار جُرَش: المدينة التأريخية، بظاهر أحد رفيدة من الشمال.

أَبْها:

أبها عروس السراة، بلد الأناقة والجمال، بلد الجبال الخضر والأودية الخصبة، بلد الغمام والرذاذ والجو الغائم. أبها، أَبْهَى من البهاء نفسه، تختلط فيها نسائم الشيح برقاب المزن، البيوت البيضاء الجميلة على الجبال السندسية الخضر، إن أبها تذكِّر بالجنة، وتصبي الحليم، وتشعر البليد، فعجباً كيف لا يكون كل أهل أبها بل كل عسير شعراء؟!

وأهل أبها يدللونها فيقولون (أبها البهية) وإنها لكذلك.

إتجهنا إلى أبها، وكنت أعرف الطريق جيداً بينها وبين الخميس، فبالإضافة إلى رحلاتي فقد أمَّيتها مصطافاً مراراً، ولكني اليوم لا أعرفه، فقد طفرت المدينتان فاتصلتا، وطفرت أبها طفرة جامحة، وكثرت شوارعها الكبيرة، واتسعت أحياؤها الجميلة، وضاقت الشوارع بالمصطافين، فكادت الطرق تنسد.

كانت المسافة بين المدينتين (٣٠) كيلاً، أو نحوها، أما اليوم فلا مسافة، فنحن نسير في خميس مشيط، أي في مدينة واحدة، حتى وجدنا أنفسنا في مركز مدينة أبها!

كانت الساعة الثانية بعد الظهر، ولأياً اهتدينا إلى سوق المؤن (الطعام والفواكه والخضار)، فأخذنا ما نحتاج إليه من سوقها، فحط المطر غزيراً مما أوقف سيرنا، كان عداد الارتفاعات يشير إلى (١٩٠٠م) ونحن بين المدينتين.

وأبها: مدينة بأعلى السراة تقع بين جبال تحيط بها، وهي في وادٍ عميق، وقد سد الوادي في طرف المدينة من الغرب، ومياهها تأتي من

جبل السُّوْدة وما اتصل به ثم تنحدر إلى الشمال الشرقي مكونة أول حوالب وادي بيشة من هذه الناحية، وجبل السُّوْدة أعلى مرتفع هنا، ويبلغ ارتفاعه قريباً من (٢٧٠٠) متر، وفيه يحس الإنسان بالبرد في مثل هذا الفصل، وفيه متنزهات منظمة للاصطياف، ويعتبر جبل السودة مقسم مياه، فمياهه الشرقية إلى أبها ثم إلى بيشة، والغربية إلى وادي حلي ثم في البحر الأحمر.

ومن أبها تفترق الطرق كالشرايين شمالاً وجنوباً: إلى آل مَخَد، والحَوْزة، والسُّودَة، والشِّعبين وباحة ربيعة، والدهماء، وزَبنة، والغال، وحَجْلاء، وأخيراً إلى (القَرْعاء) ونواحيها.

وهي (أبها) قاعدة إقليم عسير عموماً ومقر إمارته، وتتبعها إمارات لمدن وقرى كثيرة وكبيرة، منها: خميس مشيط، وتثليث، وبيشة، والنماص، ومحايل في تهامة، وما دون ذلك، وتصل جنوباً إلى ظهران الجنوب.

القَرْعاء:

فرعة واسعة طولاً وعرضاً، تقع في الجنوب الشرقي من مدينة أبها، وجنوباً عدلاً من مدينة خميس مشيط، وتبعد عن أبها (٤٠) كيلاً، هواؤها عليل، وشجرها ظليل، وموقعها جميل، وأرضها نظيفة، وهي آخر الأرض الخضراء من منطقتها من ناحية الغرب، إذ تشرف على تهامة مباشرة، فإذا وقفت على طرفها الغربي رأيت المنحدرات السحيقة والأودية التي تنصب مياهها في تهامة، فهي في عسير تشبه (الشفا) في الحجاز. وقد قامت دائرة السياحة بتخطيط قسم كبير من القرعاء مما يشرف على الغور، فجعلته على شكل مربعات كبيرة، وفي كل مربع دورة مياه: وجه للرجال ووجه للنساء، ورتبت له منظفين يدورون على تلك المربعات آخذين ما يقذف به المتنزهون في حاويات أعدت لهذا الغرض، وتجد تحت كل شجرة طاولات من الخشب القوي ومقاعد من

نفس النوع، ومكان للشوي وآخر للطبخ، إلّا أن مثل هذه الأماكن في كل مكان يتجمع فيها أناس لا يقدرون خدمات المصالح المعنية براحتهم، ولا يحافظون على شعور جيرانهم من نزلاء هذا المنتزه، مما اضطرنا لتغيير منزلنا، فهم يحضرون طبولاً وأشرطة غنائية تصم الآذان، وبألفاظ وقحة، ويظلون ـ بعضهم ـ يغنون ويرقصون إلى قبيل الفجر، ثم ينامون إلى ما بعد الظهر، ولمثل هذا أتى كثير من زوار هذه المنتزهات.

خرجنا من أبها ميممين القرعاء، فوصلنا إليها مع أذان العصر مخططين أن نقضي فيها أسبوعاً، نزور خلاله السودة، وتمنية، وآثار (جُرش) ومعالم ذات طرافة مثل القرهاء، والشدقاء، ومقطف، التي تقع على رأس وادي بيش التهامي، هذه الأماكن تقع تقريباً من أحد رفيدة جنوباً، وهنا، أو قريب منه، تنقسم المياه إلى شمال وجنوب، شمال في بيشة النخل، وهي بيشة المعروفة المشهورة، وإلى الجنوب في وادٍ آخر مشهور يسمى بَيْشاً يقاسم بيشة المياه من هناك ذو زراعة وأهل، فوادي بيش من أودية تهامة الخصبة الشهيرة[1].

وإن تنظيم القرعاء يذكر فيشكر، فإذا أضفته إلى جوها البديع (٢٧°) في فصل الأسد، عرفت أي مصيف هذا. وكنا حريصين على زيارة تمنية، المنطقة الجميلة، وهي على (١٠) أكيال تقريباً جنوب شرق القرعاء، فيها منتزه الجَرَّة الجميل، أي أن تمنية تقع على (٥٠) كيلاً جنوب شرقي أبها، وتمنية مشهورة بعقبتها التي توصلها بتهامة.

المطر يطاردنا:

إنتقلنا من مكاننا، الذي نزلنا فيه أولاً، إلى مكان أهدأ وأبعد عن الصخب، فبنينا خيمتنا في (ركيب) مما كان يعد للزراعة المطرية، إلّا أن

(١) انظر عنه: كتابي (بين مكة واليمن).

مثل هذه الركبان قد هجر أكثرها لارتزاق الناس في غيرها، وكان الجو مظلماً منذ الصباح من تكاثف السحب السوداء، وكان المطر مستمراً بين زخات وهتان، ولا يخلو وقت من لمعان البرق أو زمجرة الرعد.

اليوم الحادي عشر للرحلة ١٥/ ٢/ ١٤١٣ هـ

لقد نمنا ليلنا البارحة نوماً هادئاً، نوم المسافر مسافة (١١٠٠) كيل أو تزيد، وفي هذا الصباح قررنا أن يكون يوم راحة، وهكذا كان ما عدا مشوار إلى سوق (خميس بني زيد)، حيث رأينا أمس، في مرورنا بين أبها والقرعاء، بضائع معروضة، كأنه استعداد لعرضها هذا اليوم، فذهبنا إلى هناك لشرائها، وعند عودتنا رأيت أُناساً قد تجمهروا ينظرون إلى مغيب الشمس، وأولاداً يحذفون بالحجارة، وكأنهم أولاد الفلسطينيين يحذفون اليهود!، فاقتربت من القوم مستوضحاً، فقال رجل ظهراني (من ظهران الجنوب): رِبْحان رِبْحان! فإذا بجيوش من القرود تحاول دخول المخيمات من كل جانب، وكل فرقة منهم يتقدمها شيخ منهم تعرفه بسيماه.

ويظهر أن القرود تعرف مواعيد الطعام حين يفرغ الناس ويقذفون به على الحجارة، ووراء الشجر. وذكرتني كلمة (ربحان) بمشكلة شكلاء حدثت وأنا في الجيش، فأهل الجنوب يسمون القرد رباحاً، وأهل الحجاز ومن والاهم يسمونه (أبو زنَّة) وينادونه (زنَّان)، وكان في الوحدة التي كنت أقودها رجل مطيري اسمه (رباح)، وهذا اسم حسن لا شك، لأنه من الربح، فمثله مثل: فلاح وصلاح وغيرهما، إلَّا أنه، في الوحدة، رجل جيزاني على غير وفاق مع رباح، فتحدثوا في الليل، فسأل سائل قائلاً: من عمل هذا؟ قال الجيزاني: عمله القرد! أي رباح، فعدا المطيري على الجيزاني فشجه! فأدخلوا التوقيف (الحبس الموقت)، وفي الصباح رفع الأمر إليَّ، فشكَّلنا لجنة للبت في الموضوع، وفرق بينهم في المسكن.

لَيْلَة لَيْلاءُ:

وكما قضينا في البديع نهاراً أنْهَر، قضينا في القرعاء ليلة ليلاء، ذلك أنَّا قد عملنا حول خيمتنا سبواً ينأى عنها الماء، ثم افترشنا ثمانية أشخاص في وسط هذه الخيمة الصغيرة، وكان المطر يهطل، ولكن ما ظننا بما حدث، فنمنا، وبعض الرفقة يذكرني بين حين وآخر أن المطر قد اشتد، فلم آبه لذلك، فما راعنا إلَّا والسيل يدخل علينا من كل جانب، سارعنا إلى ما معنا من أدوات، ولكن الأمر قد فات، وما هي إلَّا دقائق حتى امتلأت الخيمة، وغرق كل ما فيها من منقول، فتناوشنا السيارة الجاثمة على المزفتة، وقضينا ليلتنا على الكراسي، وصاح صائح في خيام مجاورة، لا نعلم ما سبله، ولم ينجده أحد بالتأكيد، فلا يستطيع أحد أن يخرج حتى رأسه من السيارة.

وهكذا قضيناها ليلة ليلاء، ونائبة عمياء، حتى لاح ضوء الفجر، وسألت بعض الرفقة: الآن ماذا تذكرون من رحلتنا؟، قالوا: نذكر ثلاثة: قائلة البديع، وليلة القراء، وليلة رنية. ما أدراك ما ليلة رنية؟! ستراها فيما بعد إن شاء الله.

اليوم الثاني عشر للرحلة الجمعة ١٦/ ٢/ ١٤١٣ هـ

استيقظنا قبيل الفجر، فوجدنا الماء أبرد من ماء الشتاء بسبب ذلك النسيم، الذي ظل يهثهث طوال الليل، ولم نجد ما نصلي عليه، فأثاثنا قد أفسده ذلك السيل الذي غمر كل شيء في الخيمة، والأرض بين طين مبتلٍّ أو قار هو قارعة الطريق، إلَّا أني كنت أحتفظ بسجادة داخل السيارة بصفة دائمة، فصلينا عليها فرادى!

ولشدة البرد عاد أكثر أفراد الأسرة إلى داخل السيارة، وبقيت أنتظر طلوع الشمس، والعرب تسمي الشمس ـ عند اشتداد البرد ـ الدوفيئة! وطلعت الدوفيئة وكأنها خرجت من وراء (الحَبَلَة)، ويخيل إليك إنها قد تغسَّلت مما صب علينا من غيث مغيث ليلة البارحة، وقد صحا الجو مع

هذا الصباح، لأن حوامل المزن قد أفرغن عزاليهن وطارت بقاياهن مع الرياح النشطة التي تمر بنا الآن، وخرجنا من سيارتنا لنجد أن الماء لم يدع لنا ما نقعد عليه، فكل شيء ملطَّخ بالطين، وكل شند غارق في الوحل، والخيمة لا زالت تتقاطر المياه من جنباتها.

الرحيل:

كل هذا ينذر أن لا مقام لنا هنا، فلا بد من الرحيل، وأخذنا نضع هذه المُدَمَّرات على ظهر السيارة رجاء أن تجف أثناء السير.

وتحركنا من القرعاء في العاشرة صباحاً، وكانت المخيمات ـ فيما يبدو ـ قد أُخليت الليلة البارحة، فالغرق كان عاماً، وكنا نسمع صياحاً واستغاثات ذهبت أدراج الرياح، فاحتمل من استطاع الاحتمال في جنح الظلام!

القرود في فرح:

بينما كنا نُحمِّل عفشنا في هذا المنتزه الذي أصبح شبه خال، تجمعت القرود عرازيل ومجموعات، ولسان حالها يقول (خليت مكة لأهل الوادي) فأخذت تقفز على ظهور الخيام، واقتربت منا وأُرْعِب منها الأولاد وربما الأب! فأخرجت المسدس ورفعته حتى رأته، وأشرت عليها بالابتعاد، فانسحبت انسحاباً شبه منظم، وابتعدت ابتعاد الأعزل عن المسلح!

خرجنا من القرعاء على طريق أبها ثم خميس مشيط، وبين المدينتين توقف سير السيارات، وصارت تدب دبيباً لنكتشف أن المرور اكتشف سرعة هذه السيارة بواسطة الردار، وجاء دورنا، فقلت: إنني غير مسرع، فاتصل الجندي بمسجل هذه التجاوزات فإذا هو يقول له: بلى، كان يسير بسرعة (١٠٥). وصدق الرجل، ولكني كنت أظن هذه السرعة عادية، وكتب لنا قسيمة مخالفة، وتركنا.

الفصل الثالث

بين عسير ومكة

قررنا أن تكون العودة إلى مكة عن طريق تثليث ـ بيشة، ولأنا رأينا حين مرورنا بتثليث لوحة تشير إلى بيشة، ولأن الطريق بين بيشة وتثليث من الطرق المطروقة منذ الجاهلية ما ظننا أن يبقى إلى هذا اليوم غير معبد، وهكذا صار، وبما أننا دخلنا خميس مشيط من الطريق الأيمن عندما افترق الطريقان، فقد اخترنا العودة على الطريق الذي كان أيسر، وهو الآن الأيمن للخارج من الخميس وهو طريق طرِيب. خرجنا من خَمِيس مُشَيْط ونحن نقول مع المتنبي:

ولم نملل تفقدك الموالي ... ولم نذمم أياديك الجساما

ولكن الغيوث إذا توالت ... بأرض مسافر كَرِه الغماما

طَرِيب والتوقف للراحة:

لم نذق راحة من ليلة البارحة، وإلى الآن لم نذق طعاماً، وعلى بعد (٤٠) كيلًا تقريباً وصلنا إلى (طَرِيب): قرية متوسطة، على وادٍ، مر معك ذكره، يصب في تثليث، تشرف عليها من الشمال أكمة بارزة ترتفع (٢٠١٧) متراً، وإلى الشرق منها، وعلى فرع من فروع واديها، قرية تدعى (العَرين) فرق لها طريق عادي من طريب، وكل ما اتجهت على هذا الطريق شمالاً قلَّ الارتفاع وزاد انحدار الأودية، وقلَّت الخضرة.

وبجوار قرية طريب وجدنا محطة لم تستعمل بعد، ولم يتم كامل إصلاحها، ولعل من أقامها اكتشف عدم جدواها فوقف العمل، ذلك أن المحطات على هذا الطريق لا تتكافأ مع ما يمر به من سيارات. إتخذنا

من هذه المحطة مستراحاً ومقيلاً، ولكن الغيوث أخذت تطاردنا، فما أن تهيأنا لنصنع ما نحتاج إليه حتى هب مَخْرٌ شديد[1]، فانقشع عن سحب دكناء فحط المطر واشتدت الرياح، فأدخلت المطر علينا في ذلك المسقف المفتح الجوانب، مما أجبرنا على الرحيل مرة أخرى، وكنا في مكة نحب المطر، ولكن ـ كما يقول المثل العامي ـ: (ما كثر من شيء سمج)!

خرجنا من طريب على طول واديها، فلم نلبث أن لاءمنا طريقنا الذي وصفناه لك عند قدومنا إلى عسير فأغنى عن إعادة الحديث عنه.

تثليث مرة أخرى:

وصلنا إلى تثليث مرة أخرى في الساعة الخامسة مساء، وقبل أن نتجه إلى طريق بيشة تزودنا بالماء (المحلَّى) من مكان قرب المفرق، فلمحت شيخاً في محطة مجاورة، فملت إليه وسألته عن طريق بيشة قال حِزام المُرِّي[2]: (أنا ماني من أهل هذه الديرة، أهلي بالمهمل)[3] ولكن إذا كنت تسأل على الطريق البري[4] فهذه. وأشار إلى جهة بيشة، ثم قال ـ بعد أن نظر إلى السيارة ـ: (أنت معك رهمان[4]، وهذا الطريق لا يصلح لك وخاصة مع قبول الليل، فهو مُقَطَّع وكثير التحويلات، وأنصحك بعدم سلوكه). وقال حزام: إن مسافة هذا الطريق خمسة وثمانون كيلاً أو نحوها، وإن الطريق المزفت هو طريق خيبر، أي العودة إلى مفرق طريب، ثم أخذ الطريق الأيمن إلى قرب وادي ابن هشبل، ثم الأخذ يميناً على خيبر الجنوب، وهذا الطريق حسب قوله (٢٢٠) كيلاً.

---

(١) المخر: الريح التي تحمل ريح المطر، فهي والمطر تستبقان.

(٢) هذه مرة يام. انظر كتابي بين مكة وحضرموت.

(٣) المهمل عند أهل هذه الديار الأرض الفلاة الواسعة، بين بيشة ووادي الدواسر، وليست هذه ديار مرة ولعله انتجعها.

(٤) الرهمان: النساء والأطفال، والبري: يقصد غير المزفت.

وهكذا كان و (رب ضارة نافعة)، فالمنطقة الواقعة بين خميس مشيط وبيشة على هذا الطريق تستحق المشاهدة، وإن كنت لم أستطع أن أقدمها تقديماً مركزاً، فإني ألممت لك بالمهم.

العودة:

عدنا على الطريق الذي سبق أن سرنا عليه مرتين وهذه الثالثة! ذلك أن الشيخ نصح وصدق، وبجوار قرية الصُّبَيخة، التي مرت معك سابقاً، وجدنا دارة جميلة ما كان يوجد مثلها في هذه البراري لولا هذه الطفرة وهذا الخير العميم، كانت سطوحها مضاءة، وعلى أبوابها عدد من المصابيح، وغير بعيد منها براح نظيف جلد، وقريب منه حظائر غنم لأهل تلك الدارة، فاتخذنا منه مبيتاً، وقد هدأت الرياح واضمحلت السحب، وصحا الجو وطاب النسيم، وذهب الصغار يلعبون فتعرفوا على صغار أهل ذلك المنزل، فإذا هو لشيخ من قحطان، وهذه الحركة دعوة وإقامة وليمة (نزالة)، وإن من أسباب هذا العمران (الناهي) مرور الطريق المزفت، وإن القرى التي لم يمر بها لم تتغير كثيراً، فقد أصبحت الطرق مع وجود الآلة تشبه شرايين الحياة.

لقد بتنا في الصُّبَيْخَة ليلة هادئة هانئة، فلا برد شديد ولا رياح عاصفة، وأصبحنا في راحة تامة، فالبلدة ذات فياح عذي، وارتفاع صحي، نحو (١٥٠٠) متر، أي تشبه الطائف هواء.

اليوم الثالث عشر للرحلة: السبت ١٧/ ٢/ ١٤١٣ هـ

بين الصُّبَيخة وخيبر:

بكرنا كعادتنا من قرية الصبيخة على طريق الخميس، ومررنا (بالمضَّة)، التي سبق الحديث عنها في قدومنا إلى خميس مشيط، ثم وصلنا إلى قرية (رَغْوة)، ومنها افترق الطريقان: فمضى طريق الخميس قبلًا، وأخذ طريق بيشة يميناً إلى الشمال، وبعد المفرق بقليل مررنا

بقرية (البردان)، وأمامنا لوحة كتب عليها (بيشة = ١٦٠ ك) أي أن بيشة تبعد عن ذلك المفرق قرابة (١٦٤) كيلاً.

وعلى (٩) أكيال فقط من (رَغْوة) من المفرق وصلنا إلى قرية قديمة بين حرار سُود، هذه القرية تدعى (الجُحْفَة)، يمر بها وادي الشيق، وادٍ زراعي فيه نخل كثير، ومن هنا إلى بيشة ونحن نسير في أودية وقرى زراعية، وكل الأودية التي نذكر أما إنها مسماة بأسمائها أو بالقرى التي فيها، ومن عادة العرب أن يسموا الوادي، في كل مثناة منه، بما يمر به من قرى أو جبال، ونحو ذلك.

ومن الصدف وجود معالم على هذا الطريق في إقليم عسير تتسامى ومعالم في الحجاز، فهذه الجحفة وخَيْبر والنَّقِيع، وغيرها.

وبعد (١١) كيلاً فقط مررنا بقرية السَّلام، على طرف وادي خَيَبر من الشرق، والذي يميز هذه القرى في ديار شهران[١] (بين الخميس وبيشة) هو أنها أقل عمراناً من القرى التي في ديار قحطان (بين تثليث وخميس مشيط)، بل لاحظنا قلة الحركة في هذه القرى، وعلَّل بعضهم أن أهل هذه الديار أهل نخل في بيشة، بل إن بعضهم يعد من أغنياء أهل بيشة، وهذا زمن الصيف وقد حضر الناس إلى نخيلهم هناك، وهذا تعليل معقول.

خَيْبَر:

وبوصولنا إلى قرية السلام وصلنا إلى قرية خيبر على طرف وادي خيبر من الغرب. وخيبر عسير هذه كخيبر الحجاز ذات حرار سود، غير أنها أصغر، وذات نخل إلَّا أنه مجرد رمز، والشبه بينهما ظاهر، ويحيط الوادي بالقرية من الشرق ويعطف عليها من الشمال، ثم قُريَّة (واسط)

---

(١) تتجاور هنا ديار قحطان وشهران، وليس بين القبائل حدود في الديار إلَّا حسب المتعارف عليه، وحيث تنزل كل قبيلة يقال: ديار آل فلان.

تتصل بخيبر من الشمال على طرف الوادي، والنخيل في الوادي لا يغيب عن النظر ولكنه قليل متناثر.

ثم وصلنا قرية (الحامض) على عشرين كيلاً من رغوة والمفرق معاً، وهذه القرية فيها أثر عمران حديث وفيها دارات جميلة جديدة، ولا زلنا محدَّرين ذلك الوادي، ثم ألممنا بقرية (قضّة المباريش) بعد الحامض بثلاثة أكيال، وغني عن القول أن ما بين خميس مشيط إلى بيشة هي ديار شهران العريضة. والجانب الأيمن من الوادي تشرف عليه مرتفعات تكون مقسماً للمياه بين بيشة وتثليث، فما سال منها إلى الغرب ففي وادي هرجاب ثم في بيشة، وما سال شرقاً ففي وادي الثفن ثم في تثليث. فمن وادي الغول - بين مفرق طريب ومفرق بيشة - إلى وادي الجزيرة - شمال خيبر إلى الشرق قليلاً - ووادي سليم[1]، كلها تجتمع بوادي الثَّفِن، ثم في تثليث. أما ما غرب ذلك إلى شعوف السراة فكله في بيشة المعادن أو في هرجاب.

ومع أن هذه الأودية كثيرة المياه، إلَّا أن الفناء قد أدرك كثيراً من نخيلها. وعلى (٢٧) كيلاً مررنا بقرية (بادية)، فيها زراعة، ويتصل بها من الشمال (عطفة الحنفة) قرية أخرى، ومزارع القريتين متجاورة، ثم اتصل البنيان والنخيل في وادي هُميص، وهو امتداد لوادي الشيق، وكما نوَّهنا سابقاً: الشيق وخيبر وهميص، كلها سميت بقراها.

وعلى (٣٩) كيلاً، كل ذلك من مفرق بيشة من قرية رغوة، وصلنا إلى قرية تدعى (العين): قرية قديمة فيها مزارع، ومدرسة ومسجد، ووواديها يسمى (المسيرق)، ولم نلبث أن وصلنا إلى قُرَيّة تدعى (البغث)، ومنها طريق يفرق إلى الشرق إلى قرية الجزيرة، بين جبال وعرة عالية، وهي التي أشرنا إليها سابقاً، فوادي الجزيرة هذا يذهب إلى تثليث.

---

(١) بعض هذه الأودية أُخذ من الخرائط.

سرنا بعد البغث ونحن نبحث عن مكان نفطر فيه، فالأرض هنا كان قد أغرقها المطر، فكلها طين ودحض، ولفت نظري، مرة أخرى، أن الأرض الواقعة بين خيبر وبيشة تشبه ـ في تكوينها ـ الأرض الواقعة بين خيبر الحجاز والمدينة، ثم تسهل الوادي بين الجبال فانزاحت عنه فتوقفنا في باحة منه تبعد عن بيشة قرابة (١٠٠) كيل، وهنا توقفنا تحت ظل شجرة، وقضينا وجبة الإفطار والقهوة، وأخذنا راحة سهلت علينا مواصلة السير فيما بعد، ويبدو أن الأرض، قبل هذا المطر، كانت في سنة سنهاء، ودهر أدهر، وحولنا كانت نويقات تتلمص ورق الشجر وقد بدا عليها الهزال، كانت إبل عفرقود طوال، وهو النوع الذي يطلق عليه الشهرانيات، فالعرب يعرفون للإبل أعراقاً كأعراق قبائلهم، فمنها: العُمَانيات، والحُويْطيات، والمَسعُوديات، والعَكِّيات، والشهرانيات، وغيرها، ومما يدل على شدة الوقت أن هذه النياق ليس فيها حليب، وليس فيها لقاح، فهي حيل مهازيل، ولكن الأرض أرجعت الآن، ولن يلبث العشب أن ينبت، خاصة أن هذه الأرض معتدلة الهواء تختلف عن غيرها. وما أن اقتربت منا تلك النياق حتى جفل أولادنا! فانظرْ إلى دورة الزمن، كنا في صغرنا نجفل من السيارات ونتشعبط الجمال وهي تسير، بل نركبها بلا وثور ثم نركضها بأعلى سرعة!، فإذا أولادنا الآن يتشعبطون السيارات ويجفلون من الأباعر، حتى أن أحدهم لا يعرف الناقة من الجمل، فكله عندهم جمل، فسبحان مدبر الكون ومغير الأحوال.

وقد ذكرتني هذه بحكاية مرت عليها سنون عندما شرح لنا المدرس: أن البدو يشربون لبن الجمل، فكان رد الفصل من فم واحد: عساك تشربه يا أستاذ، فوجم الأستاذ وهو يرى الضحكات المكبوتة في أفواه التلاميذ، فلما انصرفنا استدعاني مستفسراً سر ذلك! فشرحت له السر، فقال: وهؤلاء الصغار يفرقون بين الجمل والناقة؟! قلت: نعم. ولكن هذا كان قبل ما يقرب من أربعين سنة وقد أصبح أولئك الصغار شيوخاً ولهم أحفاد، ولم يعد أولادهم وأحفادهم يربطهم ما كان يربط

جيلنا ولا يريدونه، إنهم يريدون هذه السيارات الفارهة ذات الأشناب البارزة.

(ومن يسوِّيَ شِدقَ النَّاقِ بالشَّنَبِ)!

لا توجد في وادي هرجاب أشجار كما في أودية الحجاز، لذا كوَّنا ظلًا لمستراحنا من شجرة عشر صففنا السيارة إلى جانبها، ولكن سرعان ما ارتفعت الشمس فجحر الظل فرحلنا.

الفلاة:

منذ أن تجاوزنا قرية (البغث) خرجنا في فلاة لا زرع فيها ولا قرى ولا مياه، إلَّا ما تركه المطر من غدر تتراءى، هذه الفلاة هي التي أمكننا النزول فيها، لأن أرضها بيضاء نظيفة لا وجود للطين فيها، وهذه صدور وادي هرجاب، وهو وادٍ فحل من روافد وادي بيشة، وقد سرنا فيه إلى بيشة.

تحركنا من مستراحنا في الساعة العاشرة والنصف صباحاً باتجاه بيشة الكبرى، إذ أن هناك بيشات أخر هن بنات هذه الكبرى، وكان يضرب ببيشة المثل لكثرة خيراتها، فيقال: (بيشة ديرة العيشة)! فهل نجدها كذلك؟ كانت الأرض قد مطرت ليلة البارحة، فنحن نسير في نسيم عليل وأرض ثريانة، وجبال يلمع حصاه بعد المطر، ولكن الأرض خالية من الحياة البشرية والحيوانية إلَّا ما ذكرنا من نياق قلائل، مرت بنا ونحن على طعام الإفطار، فالفصل فصل صيف، وأهل هذه الديار من عاداتهم ـ كما قدمنا ـ حضور النخل إذا أينع الرطب.

وعلى (٢٦) كيلًا من قرية البغث مررنا بوادي القاع، وهو مثناة من نفس الوادي الذي استرحنا فيه، وبعد عدة أكيال من القاع جاءنا من اليمين وادي (هبة)، وفي التقاء الواديين (القاع وهبة) كانت قرية (القاع)، قرية فيها نخل ومسجد، وكان سيل الوادي يجري.

هِرْجاب:

وبعد قرية القاع بعدة أكيال أخذ الوادي اسم (هرجاب)، وكأنه قد تكوَّن من وادي القاع ووادي هبة، وإن كانت كل المسميات، التي مررنا بها بعد مستراحنا، هي امتداد لهرجاب هذا، وقد كتب في بعض الخرائط (حرجب) وهو غلط سببه النقل عن الأحرف اللاتينية التي تكتب بها الخرائط، وما أكثر غلطات خرائطنا، حتى أن أحد الفضلاء ألف كتاباً خصصه لهذه الغلطات.

ثم مررنا بقرية تدعى (كُتنة) ونسب الوادي إليها عندما مر بها، وهي قرية زراعية في وادي هرجاب، ثم بجوارها قرية (الحاجون) بطرف كتنة من الشمال، فيها مسجد، ونزل وزراعة.

صَمَخ:

وعلى (٣٩) كيلًا من البغث، وعلى (٨٢) كيلًا من رغوة المفرق وصلنا إلى قرية كبيرة، لعلها أم هذه القرى، فيها زراعة حسنة، ونخلها محمل بالطلع مما يدل على عناية ورواء، والقريتان السابقتان بجوارها من الجنوب، ولا تذكران معها لصغرهما، ومياه صَمَخ وفيرة، وكأنها تحولت إليها مياه الفلاة التي ذكرناها سابقاً، ثم بعد صَمَخ بما يقرب من (٨) أكيال مررنا بحرف (آل عمودة) من شهران، وهي قرية قديمة فيها مسجد ونخل كثير، ومدرسة.

فلاة أخرى:

وبعد قرية آل عمودة ببضعة أكيال قُريَّة تدعي (الحُفَيِّرَة) فيها محطات لوقود السيارات، ثم تحول وادي هرجاب إلى فلاة بعدما اتسع بين الجبال، ثم مررنا ببئر (دَنَن)، ثم عبرنا على جسر الوادي الذي تحوَّل من يميننا إلى يسارنا، فتركناه وأخذنا في تلك الفلاة ذات الآكام والحزوم، وفي الوادي كانت بعض خيام البادية، لقرب هذه المنطقة من بيشة.

نـمْران:

ثـم ظهر إلى يسارنا عمران شائع على جنبات الوادي، كان من أهمه قرية (نَمْران) قرية كبيرة في فرشة وادي هرجاب، تعد من أكناف بلدة الروشن، وبجوارها قرى متناثرة كثيرة، فتحولت الأرض إلى خبت أفيح، يقدر عرضه بين وادي بيشة والجبال الجنوبية بحوالي (٢٠) كيلاً.

الرَّوْشَن:

مدينة بيشة الرئيسية وقاعدتها التي فيها كل المرافق ودوائر الحكومة، تسمى (الروشن)، دخلناها على بعد (١٦٤) كيلاً من مفرق هذا الطريق عن خَمِيس مشيط، وكانت الأرض قد مطرت البارحة، وأثر الأمطار على الشوارع والبيوت ظاهر، والوادي - فيما علمنا - يسيل، وبعض التجار يتخوف من السد، فلبيشة سد يتناسب وعظم هذا الوادي الفحل.

ماذا في الروشن:

لقد دخلنا مدينة من مدن الدرجة الثانية، ذات شوارع متسقة، وأسواق عامرة، مزدحمة بالمتسوقين، والعمالة الوافدة أغلبية من يسير في الشوارع ومن يبيع في المتاجر، ولا تكاد تلمح ابن البلدة إلَّا لماماً، وتقع على العدوة اليمنى على الوادي، فدخلناها من الجنوب الشرقي، وسرنا فيها (١٢) كيلًا، وترى النخيل كالليل الداجي، فلا غرو فقد ذكر بعض المؤرخين أن في بيشة (٣) ملايين نخلة، وفي المعجم الملحق سنخصص لبيشة مساحة تناسبها.

تجولنا في مدينة الروشن، التي غالباً يطلق عليها (بيشة)، ثم عمدنا إلى حلقة الفواكه والخضار، فوجدنا النساء السود يبعن الرطب، وكان رخيصاً، غير أن المطر أثر فيه في رؤوس أمهاته، وقد أحدث هطوله، في هذا الوقت بالذات، خسارة كبيرة لأهل النخيل، ذلك أن المطر يبل الرطب في داخل القِنى فيخمِّج الرطب ويفسد، وبينما كنا

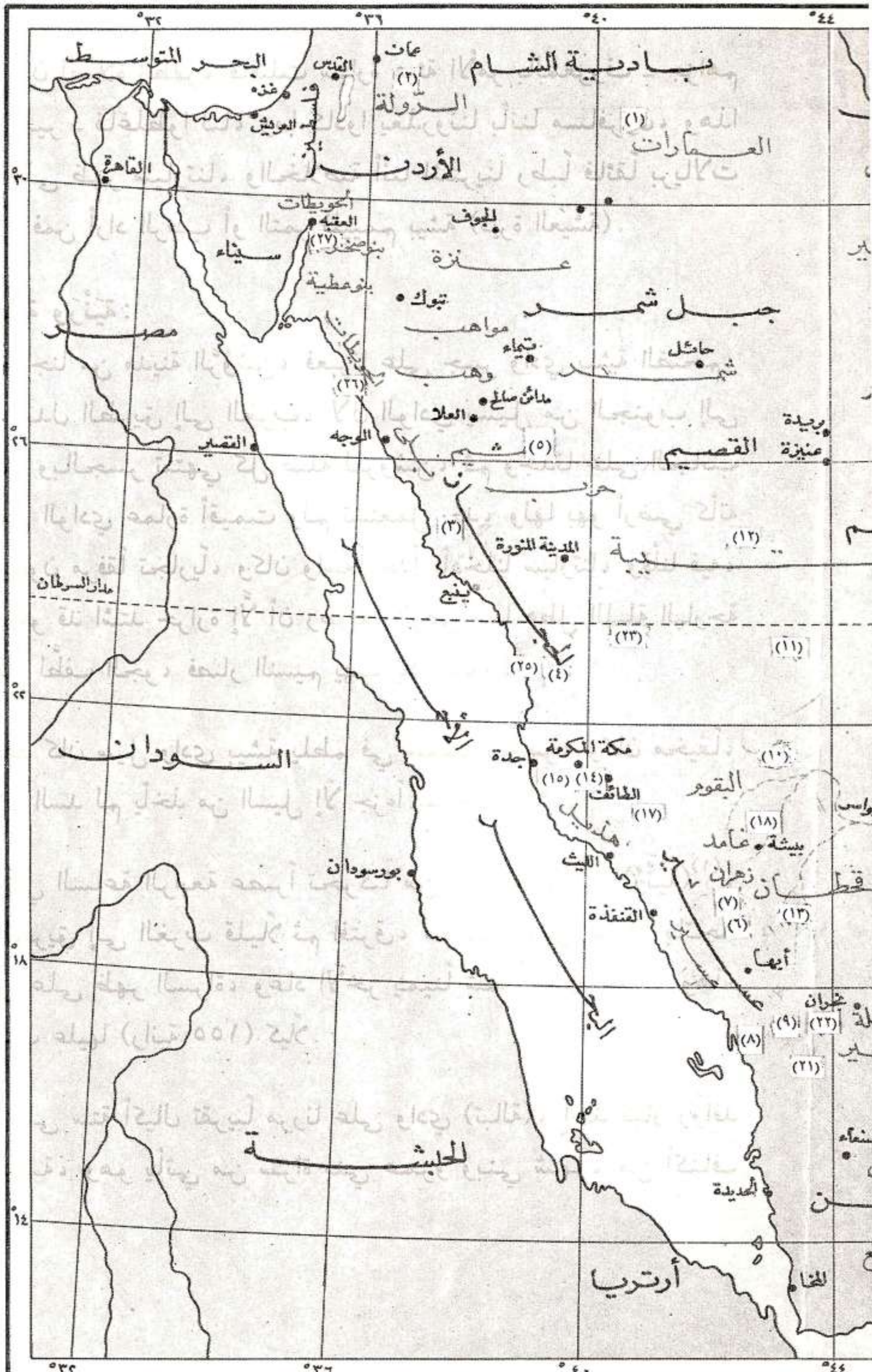


(-) الخريطة عن الأطلس التاريخي للدولة السعودية، والتعليقات للمؤلف.

(١) من عنزة. (٢) من عنزة. (٣) منازل جهينة. (٤) ما بين مكة والمدينة حرب. (٥) ثقيف. (٦) بنوشه

(١١) بين مكة والرياض ديار عتيبة. (١٢) مطير/ قسم آخر. (١٣) شهران. (١٤) قريش. (١٥) خزاعة

والصيعر. (٢١) عبس. (٢٢) خولان. (٢٣) بنو سُليم. (٢٤) بنو حُشيش. (٢٥) بلدة رابغ. (٢٦) مدين



شمران وخثعم. (٨) مدينة جيزان. (٩) قبيلة المسارحة. (١٠) سبيع.
الدواسر. (١٧) بلحارث. (١٨) أكلب. (١٩) همدان. (٢٠) الكرب
(٢٧) بنو صخر في ضواحي عمّان.

نشتري أُذِّن لصلاة الظهر، فاقبلت سيارة هيئة الأمر بالمعروف ـ جزاهم الله كل خير ـ فاغلظوا لنا، وما كادوا يعذروننا بأننا مسافرون، وهذا زهابنا على ظهر سيارتنا، والخلاصة أننا اشترينا رطباً فائقاً بريالات معدودة، فمن أراد الرطب أو التمر فلييمم بيشة (ديرة العيشة).

بين بيشة ورَنْيَة:

خرجنا من مدينة الرَّوْشَن، فعبرنا على جسر وادي بيشة الضخم، بعد أن عدل الطريق إلى الغرب، لأن الوادي يسيل من الجنوب إلى الشمال، وبالجسر تنتهي كل صلة للروشن، ثم وجدنا على الجانب الآخر من الوادي عمارة أقيمت ولم تستعمل بعد، ولها بهو أرضي كأنه جُعِل ليكون مرفقاً تجارياً، وكان واسعاً جداً فأدخلنا سيارتنا، وقِلْنا فيه، وكان الجو قد اشتد حرارة إلَّا أن رطوبة الأرض مما هطل الليلة البارحة من أمطار لطَّف الجو، فصار النسيم يهب بلا سموم.

لقد كان سيل وادي بيشة يلطم في سقف الجسر، وكان مخيفاً، ويبدو أن السد لم يأخذ من السيل إلّا جزءاً يسيراً.

وفي الساعة الرابعة عصراً تحركنا من مقِيلنا باتجاه (رَنْيَة)[1]، فأخذ الطريق إلى الغرب قليلاً ثم افترق، فذهب طريق غرباً، باتجاه النماص على ظهر السراة، وعاد الآخر يميناً شمالاً شبه عدل، وهذه لوحة كتب عليها (رانية ١٥٥) كيلًا.

وعلى ستة أكيال تقريباً مررنا على وادي (تبالة)، أحد كبار روافد وادي بيشة، وهو يأتي من سراة بني عمرو وبني شهر، من أكناف النماص.

---

(١) كُتبتْ في بعض اللوحات (رانية) وهو من نوع الأخطاء التي نوهنا عليها.

وتبالة:

بلدة في هذا الوادي في وجه السراة من الشرق، سمي الوادي باسمها، وهو وادٍ زراعي مرجع فيه كثير من القرى، منها: (الثنية، وشُدَيق)، ومن روافده: وادي الخليج من (الشفا والحرقان)، وكان سيل وادي تبالة يجري من تحت الجسر، ولوجوده في سَهل أفيح ظهر لنا صغيراً، رغم روافده المتعددة، واعتدل طريق رنية باتجاه الشمال، وكانت المزارع تحف بالطريق من الناحية الشرقية، والوادي يسارنا باتجاه الشمال (أي وادي بيشة) وهذه المزروعات على ضفته الغربية، وعلى يسارنا الفلاة.

ثم فرق عنا إلى اليمين طريق (الرُّقَيْطاء): مزارع ونزل نراه من الطريق، ثم فرق طريق النَقِيع والشَّقِيق وغيرها، مناطق كالرقيطاء، وكل هذه الطرق إلى اليمين باتجاه الوادي، ثم خرجنا من الأراضي الزراعية لابتعاد الوادي عن الطريق تدريجياً.

جبل جَمْعُور:

وعلى (٣٥) كيلاً من مدينة الروشن (أي بيشة) عبرنا على وادي (أم ريشان): وادٍ يأتي الطريق من اليسار، ثم يذهب إلى وادي بيشة، وكان سايلاً بالأمس، وليس فيه ماء، فهو واد صغير لا يصل مداه إلى السراة. ثم صعدها نشزاً طرفه الأيمن (جبل جَمْعُور) مررنا بلصقه من الغرب، وجمعور هذا (هضبة منتصبة) تحتها مركز شرطة على قارعة الطريق، ولم يوقفونا ولا تعرضوا لنا.

وكان من حوادث هذا الطريق أن فئة من الناس تطمس اللوحات الارشادية، التي تشير إلى ديار يميناً أو يساراً، وهذا العمل المشين يقوم به غوْغاء لا يقدرون ما للإعلام في هذه الطرق من خدمة للإنسان.

أُمّ وِشَام[1]:

وبعد جمعور، بما يقرب من (٨) أكيال، فرق إلى اليمين طريق (أم وشام): هضاب بوارز، وبعد ذلك (القرائن): هضاب عالية إلى يمين الطريق، كل هذا ويسار الطريق سهوب وجُرُز لا يبرز فيها شيء. وبعد قليل مررنا بوادي (ذي خِشاب)، ثم كان على يمننا (ثَمْلا): هضاب بوارز بجانبها بئر بهذا الاسم (ثَمْلا)، ويبدو أن الهضاب سميت باسم البئر، لأن ثملاء وثميلة، من أوصاف البئار.

السَّوادة:

تجاوزنا ثملا فصار إلى يميننا سلسلة جبلية عالية تدعى (هضاب المُقَيْبِليّة). والمقيبلية: بئر هناك نسبت إليها تلك الهضاب، وبينما نحن نسير في فضاء واسع ظهرت، إلى يسارنا بعيداً، سوادة عظيمة، هذه أجبل وديرة سوداء في ديار سُبيع، تسمى (السوادة)[2]، تقابلها من الجانب الشرقي لهذا الطريق ذيول نفود حَنْجران التي تعترض وادي بيشة في مسيره إلى الشمال، فإذا تجاوزه اجتمع به وادي رنية من اليسار في الفرشة، ثم يذهب سيل هذه الفرشة إلى وادي الدواسر.

يَحامِر:

وعلى (٦٠) كيلًا من الروشن كان على يمننا جبل (يحامر): سلسلة جبلية من نوع الهضب، ثم أجبل صغار تسمى (الحاوي) على يمين الطريق ـ أيضاً ـ على (١١) كيلًا من يحامر.

ثم مررنا بوادي (مَبْدا النعام) الذي ينتهي سيله إلى وادي (خَدَّان):

---

(١) الوشام والوشم رسوم تضعها النساء على وجوههن طلباً للزينة، وقد انقرضت هذه العادة في جزيرة العرب فيما أعلم، غير أنها لا زالت منتشرة في بادية الأردن والشام، يضعها النساء، ويضعها الرجال على ظهور أيديهم وعضودهم.

(٢) كذا قال شبيب بن قاسي، راويتنا عن رنية، وهي غير السوادة التي بين حلبان ووادي الدواسر.

أحد الأودية التي تضيع في هذا السهل، بعد أن يجتمع بوادي (السَّليل، ثم في وادي الدَّيَّة)، وبين خَدان إلى الدية يسير الطريق في سهل واسع يسمى (البياضة).

ثم مررنا بوادي (الظليم) وسيله - أيضاً - ينتهي إلى وادي خدان، ثم إلى وادي الدية، ثم مررنا بوادي خدان المتقدم ذكره.

وادي المياه:

وعلى (٩٠) كيلًا من بيشة (الروشن) فرق عنا إلى اليسار طريق (وادي المياه) وهو وادٍ سُكانه آل عمير من سبيع، يقع بين رنية وبيشة، ويصب من الغرب مما يلي السوادة وسفوح السراة، ثم يذهب في هذا الخبت الواسع.

الغافَة:

ثم بعد مفرق وادي المياه بما يقرب من (٧) أكيال فرق إلى اليسار أيضاً طريق الغافة، وهي قرية في أعلى وادي رنية، فوق الأملح، مما يدل على أن وادي المياه مجاور لرنية مما يلي الشرق وأنه قد يأخذ من مساقط مياهها.

وإلى جوار مفرق طريق الغافة هضيبة ملساء خائرة في الخبت اسمها (الوَصيم)، وبعدها بقليل هضبة أكبر منها منتصبة، هذا جبل مشهور عند أهل رنية يسمى (خَشْرم).

مشارف الروضة:

وقبل أربعين كيلًا من بلدة (الروضة)، قاعدة إمارة رنية، مررنا بوادي السَّليل، جاء من يسار الطريق واتجه إلى يمينه حيث يصب في وادي الداية، ثم مررنا بهضب ضخم عبارة عن سلسلة ممتدة بامتداد الطريق على يساره، هذا الهضب يسمى (صِهْر)، وكل جبل من جباله له اسم خاص، فأولها، مما يلي بيشة، جبل (الجاهلية) وهي بئر هناك، وجبل (الداية) و (المساهر) وآخرها، مما يلي الروضة، (الجماء)، ثم

جاءنا من اليسار وادي (الجاهلية) فيه بئر شهيرة بهذا الاسم، وهم يظنون أنها من عهد الجاهلية والله أعلم، ثم على يميننا عرق رمل يمتد شمالاً يساير الطريق اسمه (عرق حنجران) وهو رمل كبير يمتد مشرقاً ومشملاً، ولكن هذا مما يلي طريقنا منه، بحيث يظهر صغيراً، وإلى يميننا بعيداً يصب عليه وادي بيشة. نرى (جبل ضلفع) ودونه غير بعيد منا (جبل الشَّيْل) وإلى يمين الطريق شمال جبل الشيل، وشرق الروضة: جبل بارز مستدير في الأرض يسمى (جبل السُّلي)، وهذه أسماؤها من عهد الجاهلية، (انظر وقفاً في المعجم المرفق).

أما عن يسارنا فيحجبه هضب صهر تماماً، ثم مررنا في وادي الدية الذي تكرر اسمه معنا، وهو شعيب واسع يمر فيه الطريق على قرابة (٣٠) كيلًا من بلدة الروضة في رنية، ثم أخذ الطريق يدور بنا حول ذلك الهضب (صِهْر)، فقد كان أمامنا ثم صار على يسارنا ونحن نسير شمالاً، ثم عاد الطريق إلى الغرب، والهضب معنا على يسارنا.

وقبل بلدة رنية (الروضة) بتسعة عشر كيلًا مررنا على وادي (بارقة)، يأتي الطريق من اليسار من جبل صهر، ثم يتجه إلى وادي رنية، ثم على (١٦) كيلًا من الروضة أيضاً مما يلي بيشة مررنا على وادي (أم الصبيان)، يقول راويتنا شبيب بن قاسي: إن غديراً في هذا الوادي غرق فيه صبيان فسُمِّي بذلك.

أسماء سمَّوْها!:

وعند تجاوزنا وادي أم الصبيان كان على يميننا هضب آخر يقابل أسفل صهر مما يلي الشمال، والطريق بينهما، وفي هذا الهضب معالم بارزة، أو معلمان بارزان: أحدهما يشبه النصب الممثل، والآخر يشبه القلعة المدورة، فالأول اسمه (وقف)[1] والآخر

---

(١) وهذا اسمه من عهد الجاهلية، انظر المعجم المرفق.

اسمه (ورك)، ويحكون حول هذين العلمين أسطورة تقول: إن رجلاً خثعمياً ومعه امرأة اسمها منيرة كانا يرعيان غنمهما هنا، وكعادة البسطاء، أكثر ما يملكون الأماني، وإن كانت ساذجة، فقالت منيرة: أسعد الله أن وركي مثل هذه الصخرة! فقال الخثعمي: وان (. . .) مثل هذا النصب، فمن يومها والناس يسمون تلك الصخرة الضخمة (ورك منيرة) ثم يخففونها فيقولون (الورك)، أما وقف فإن أهل رنية لا يعرفونه إلَّا بـ (. . . ب الخثعمي)!

توقف هضب الورك بينما استمر صهر يسايرنا حتى أشرفنا على الروضة.

ثم مررنا بوادي اللحياني، وهو يسيل من سلسلة هضاب صهر، وهو قبل وقف بقليل.

ثم مررنا بوادي الظباء، وهو يسيل من الجماء ـ آخر سلسلة صهر ـ إلى وادي رنية مباشرة.

وقبل الروضة بستة أكيال فرق طريق (الضُّرْم) إلى اليسار. والضرم: مثناة من وادي رنية فوق الروضة ودون الأملح، والطريق يصل إلى الأملح بعد أن يتجاوز الخنق مصعداً في وادي رنية.

الرَّوْضَة:

وعلى (١٥٥) كيلاً من الروشن توقفنا مع صلاة المغرب بجوار حي من أحيائها المتطرفة، كان هذا الحي للفراعنة من سُبيع، أهل هذه الديار، وبجوار هذا الحي اتخذنا مفرشنا في براح من الأرض، ومن أقرب بيت أشرف علينا أطفال ونساء وخرجوا في حوش، وهم يومئون لأطفالنا، وتم التعارف بينهم وأرسلوا يستضيفوننا، ولكننا كنا تعوباً فاعتذرنا، وبعد صلاة المغرب فإذا برجل وصبي معه يناديان عن قرب فخرجنا لهم أنا ومحمد، فإذا شبيب بن قاسي بن منصور الفريعني، وابنه

ناصر، فَلَزَّم في العزومة في كرم ظاهر، فاعتذرنا عن العزومة لتعبنا واستثنينا شرب القهوة والاستعلام، وهكذا كان.

وفي مجلس شبيب أخذت منه ومن ناصر النجيب جلَّ هذه المعلومات التي دوناها عن رنية، ثم عدنا إلى ربعنا وبتنا!

ليلة في رَنْيَة:

هذا اليوم لم يهطل المطر، فوجدنا أننا استرحنا قليلاً، وكنا نظن الأحوال الجوية قد هدأت، فالسماء كانت صافية، وكانت قد تحسنت منذ يوم أمس، إلَّا أننا ما أن أخذنا مضاجعنا في هذا الفضاء الفسيح، مع هبوب النسائم اللطيفة، ثم استغرقنا في نوم المسافر المتعب، حتى أيقظنا حثو التراب وصريف الرياح، فإذا نحن قرب منتصف الليل، وإذا بعاصفة جنوبية جنونية قد هبت، وإذا بالمخر يدفع بمن يقوم، يكاد يطير به، وإذا الرذاذ يصاحبه، فأسرعنا نرمي كل شيء في داخل السيارة، ثم أغلقنا علينا أبوابها، فطال وقت العاصفة وصاحبها برق ورعد، فأخذنا النوم في مكاننا حتى طلع الفجر، فأدينا صلاة الصبح فرادى لشدة الرياح الباردة الحاثية رغم فصل الصيف الحار.

رَنْيَة:

اسم لوادٍ فحل من أودية الحجاز الشرقية، يأخذ من سراة غامد[1]، حيث يسيل من هناك وادي العقيق ووادي أبيدة، ووادي ثراد، ويقاسم روافد بيشة الغربية الماء، من الغرب من حرة البقوم، فإذا اجتمعت روافده سمي (رنية) أعلاه من ديار غامد، وأسافله لسُبَيع[1]، وأعلى هذا القسم الغافة، ثم الأملح، ثم الخنق، ثم الضرم ثم الروضة: بلدة، هي قاعدة إمارة رَنْية، وتتبع إمارة مكة، فإذا تعدى الوادي الروضة فاض في العمائر: أرض زراعية، ثم العُثَيْثي والقَوْز، ثم يجتمع مع وادي بيشة

---

(١) انظر عن ذلك كتابي: معجم قبائل الحجاز، وبين مكة وحضرموت.

في مكان يسمى الفرشة، فإذا كبر سيلهما فاض في وادي الدواسر ثم إلى (البياض)، وهو أحد (الوديان) في عرف أهل هذه الديار، وهي: بيشة ورنية والخرمة. ويقول شبيب: إن الفرشة تعترض لها طعوس (رمال) وكثبان تسمى (المخاتمية) فلا تتعداها، ولعل هذا، في أغلب الأوقات، عندما تكون السيول متواضعة، وإلاَّ فإنه قد ثبت من مصادر متعددة أن الفرشة إذا زاد ماؤها تدفع في وادي الدواسر، ويشرف على (الروضة) من الغرب والجنوب جبال سلاسل تسمى في مجموعها (جبل المجامعة)[1]، من أهمها جبل الكوثر الذي يشرف على بلدة رنية من الجنوب الغربي، ويسمى (جبل رنية)، ومن الشرق جبل (السُّلي): أسود بارز، ويجاوره من الجنوب جبل (سنانير) ويدعى (كُلَّان)، وقبل الروضة مما يلي بيشة بريقاء تدعى تَدُوم وأخرى تُدَيِّم.

اليوم الرابع عشر للرحلة: ١٨ صفر ١٤١٣ هـ

بين رَنْيَة والخُرْمَة:

تحركنا من مبيتنا في الساعة الخامسة صباحاً ميممين صوب الخرمة على طريق مزفت حسن، فعبرنا على جسر وادي رنية، وقد جاء بسيل كبير، لعله من مطر ليلة البارحة تلاحق وما قبله فصار جارفاً، وبلدة الروضة على الجانب الأيسر من الوادي، أي الشمالي لأن وادي رنية يسيل إلى الشرق، وهي بلدة كبيرة فيها كل ما في المدن من دوائر حكومية بصورة مصغرة، ومتاجر، إلاَّ أن التقدم الذي وجدناه في الخماسين والروشن لم يشملها، ذلك أنها تقع بين فلاتين غير مأهولتين: إحداهما بينها وبين بيشة، والأخرى بينها وبين الخرمة، فعدم كثافة السكان عامل في تأخير المسكون. خرجنا من بلدة الروضة، والمسافة بينها وبين (الدغمية) أول قرى الخرمة مما يلينا، (١٣٦) كيلاً، أي أن رنية تقع في منتصف المسافة تقريباً بين بيشة والخرمة.

---

(١) انظر عن ذلك كتابي: معجم قبائل الحجاز، وبين مكة وحضرموت.

وبعد (٢٩) كيلاً من الروضة، وقد أخرنا جبال المجامعة وراءنا، مررنا في خبت واسع لا يحد النظر فيه، وعلى (٣٣) كيلاً صعدنا في حريرة سويداء تدعى (الكراع)، صعدنا فيها من شعيب الجزعة مما يلي رنية، ثم مررنا فوق وادي حُرَاضة، يلتقي سيله بوادي الجزعة المتقدم ثم يذهب في العدام، ثم خرجنا بين جبال (يَعَايم): يَعُومة، ويُعَيِّمة، أجبل متناثرة في خبت أفيح، فمررنا فيه بشعيب العوجا، والشعران، ثم (سرجوج): وادٍ في طرف ذلك الخبت. وعلى (٦٤) كيلاً من الروضة أيضاً عبرنا على جسر وادي (النويصفة)، وقد يسمى البتراء، والبتراء: أحد معالم هذا الوادي، وكان إلى يميننا بعيداً جبل بارز أجم، اسمه (تِين) ووراؤه أبعد (عِرْقُ سُبَيع): رمل كثيف. وهذه الأودية التي مررنا بها تجتمع معظمها في طرف هذا الرمل في مكان يدعى (النواصف) ثم تذهب فيه، ثم مررنا بشعيب الناصفة، وهو أحد النواصف المتقدمة، ثم على (٩٠) كيلاً من الروضة مررنا بجبال سُحُم تبعد عن بلدة الخرمة قريباً من (٦٠) كيلاً، يدعى أكبرها (العاقر) وقد تجمع باسم العواقر.

وفي مسيرنا هذا اليوم كانت الغدران تُرى على جانبي الطريق، ثم مررنا بوادي (السِّدْرِي) قبل الخرمة على (٥٥) كيلاً تقريباً، وقد بدأت الأرض تنكفىء باتجاه الخرمة بعد النواصف، وهذا وادي المَشْقَر على (١١٢) كيلاً من رنية مررنا فوق جسره الكبير، وهو يلتقي مع وادي السدري المتقدم ثم يصبان في وادي سبيع (وادي الخرمة) من ضفته اليمنى، ثم مررنا على وادي (المدسم): وادٍ يذهب إلى اليمين ويلتقي مع وادي المشقر المتقدم.

وقبل أن نصل إلى جسر وادي الخرمة سرنا في خبت أبيض رملي اسمه (الجَعْدَة) وكأنه أُخذ من اسم الجاعد، ثم مررنا على جسر وادي (حَثَاق) كان سيله يجري، وهو يصب في وادي الخرمة بعد تجاوزه (الدغمية).

الدغمية:

ينطقها أهلها (الدّغَمِيَّة) ـ دون ظهور حركة على الدال ما عدا التشديد ـ يظهر أن اسمها مأخوذ من الدُّغْمَة، وهي سواد الفم، وذلك لكثرة نخيلها، والزراعة الكثيفة تسمى (سواداً) عند العرب، مثل سواد العراق، ونحوه.

وعلى (١٣٦) كيلًا من الروضة عبرنا جسر وادي الخرمة الذي كتب عليه (وادي سُبَيع)، وبطرفه الغربي دخلنا بلدة (الدغمية)، ذلك أن وادي الخرمة يسير من الجنوب إلى الشمال.

وفي براح من طرف الدغمية، بجوار الطريق المزفت، كانت موقفة الغنم، وحولها سيارات (الونيتات) وخلق كثير من البائعين والمشترين المسمين (الشُّرَيْطِيَّة)، فتقدمت إليهم مستفسراً عن بعض المعالم التي مررت بها، فتطوع شيخ فقال: (أنا رعيت البل من بيشة إلى مَرَّان، وما به مكان إلَّا أعرفه). ولكن شخصاً ومعه أشخاص جاء يتهادى، وهو يسأل: (العلم وشُّو)؟! فعندما أخبرناه حملق في ذلك الشيخ، وقال: (أنته تعرف الديرة)؟! فإذا الشيخ ينماث، وهو يقول: (لا والله ما عرفها)! قلت: كيف يا شيخ؟ الرغاء بعد الهدير عيب! ولكن الشيخ لم يسمعني، ورد ذلك العتل قائلًا: روِّح روِّح.

رب ضارة نافعة؛ لملمت أوراقي وعدت إلى ربعي ﴿غَضْبانَ أَسِفاً﴾[1]، وكان أثاثنا المحزم على ظهر السيارة قد تحلحل، وخشينا تناثره، فطلب مني الجماعة أن أبحث عن حبل نشده به، فعدنا إلى سوق الدغمية، فبحثت عن حبل فأُشِير إلى دكان، فإذا صاحبه حضرمي، وبعد أن اشتريت الحبل سألت الحضرمي ما إذا يعرف من نسأله عن هذه الديار.

---

(١) من قصة موسى عليه السلام، الأعراف: ١٥٠.

ابن جروة:

فقال ذلك الرجل: كيف، هذا الشيخ شباب بن جروة شيخ قبيلة (الصملة)، وأشار إلى زقاق بجانبنا ووصف لي المنزل وصفاً محكماً.

عدت إلى سيارتي فدخلنا في ذلك الزقاق، فإذا مسجد من أوسع مساجد القرى وأعمرها، وحوله بيوت وأولاد يلعبون بين البيوت، فسألتهم عن منزل الشيخ شباب، فأخذني طفل حتى دخل بي البيت، الذي كان مفتوحاً على عادة بيوت شيوخ العرب، ولكني لم أفطن أن هذا الطفل تجاوز بي المجلس الذي كان على يسارنا، وولج باباً آخر كان مفتوحاً، إلّا أنني لم أدخل ذلك الباب بعد إذ أطلت منه امرأة، ونساء العرب هنا يرحبن بالضيوف، تربية نشأن عليها، فقلت: إني أريد الشيخ شباب. فأومأت بيدها إلى باب إلى يساري فدخلت فيه، فإذا شيخ متجلل فسلَّمت وجلست، وقلت: إني أريد الشيخ ابن جروة. قال: حياك الله. وأدركت أن السن قد غلبته، وكنت أظنه والد شباب بن ماجد، ولم نلبث أن جاءت أم ماجد (زوجة الشيخ) بالقهوة، فكررت طلبي.

فقالت: هذا هو طلبك! فعرفت أنني قد تسرَّعت، وكان القوم يظنون أن معي أوراقاً أوقعها من عند الشيخ، فأوراق الناس قد كثرت، وأصبحت مهام شيوخ القبائل أهمها التعريف.

ولكني أفهمت الشيخ أن غرضي استعلامي، فقال: نادوا لي راجح، وتأخر راجح، فأخذت أمه تعتذر قائلة: البدو، أو قالت الناس، طاحوا في النوم. وهذا حق، فإن هذه الديار بل كل القرى والبوادي عند العرب وغيرهم كانت تستيقظ على أذان الفجر، ثم لا تنام حتى يظلم الليل، ولكن الزمن تغير ولعبت وسائل الإعلام والكهرباء والوجد، كلها لعبت بالناس، فجعلت ليلهم نهاراً ونهارهم ليلاً، وضاع كثير من أعمالهم، وكثرت أمراضهم الجسمية والنفسية.

وأخيراً جاء راجح، جاء شاب نجيب فهيم، فأعدت عليه الطلب، فأخذ يعاون أباه، فأملياني معظم ما دونته عن ما بين رنية والخرمة.

حياة الشيخ شباب:

فأخذ الشيخ يقص علينا حياته وجهاده، فاختصرت من حديثه: حضرت غزوة تربة (١٣٣٧ هـ)، وأنا غلام ألحق على والدي الرصاص، وكنت مع الأخوان يوم دخول الطائف وعمري (١٦) سنة ـ أي سنة (١٣٤٣ هـ) ـ فنادى خالد بن لؤي وقال: ترى شباب أميركم يا هل الخيل! وذكر مغاز أخر، وقال: إنه حضر وفاة خالد بن لؤي في وادي بَيْض[1] من نواحي جيزان، حيث خرجت فيه سلعة في جبهته فأودت بحياته، وذاكرنا الشيخ في عمره، فإذا هو الآن ابن (٨٨) سنة تقريباً.

الخُرْمَة:

عندما ودعت الشيخ شباباً وعدت إلى سيارتي لقيت أم ماجد تصب لهم القهوة في ظل جدار، فودعتهم وعادت، ثم تحركنا باتجاه الخرمة، وقد عاد بنا الطريق إلى الجنوب الغربي على حرف الوادي الأيسر حيث يتجه الوادي الآن إلى الشمال الشرقي. وبعد (٧) أكيال فقط من الدغمية وصلنا إلى بلدة الخرمة وكنت أتصورها بين جبال يحف بها النخل من كل جانب، فإذا هي في فضاء، شمالها صحراء وجنوبها يقبل عليها الوادي، ثم يجعلها على ضفتها الغربية اليسرى، وهي قرية كبيرة ذات شوارع منسقة، وحوانيت طرأ عليها التقدم، وفيها مدارس للبنين والبنات بين ابتدائي ومتوسط، ومساجد عامرة، وعلى كل فهي اليوم أقل اتساعاً من (الروضة) في رنية، وأقل عمراناً وتقدماً من جارتها تربة، ويكفيها أنها، خلال هذه المدة الوجيزة، تحولت من مجهولة إلى بلدة مشهورة.

---

(١) حددته في كتابي (بين مكة واليمن).

تاريخ الخرمة:

أول ذكر رأيته لبلدة الخرمة في سنة ١٢١٢هـ حيث أوقعت قوات سعود بن عبد العزيز آل سعود، وأنصاره من القبائل، أوقعت بالشريف غالب وجيشه في بلدة الخرمة، فانهزم غالب وغنم جيش سعود كثيراً مما مع غالب (ابن بشر: ١/١١٣)، ثم حروب محمد علي باشا، في القرن الثالث عشر الهجري، التي كانت تربة ميداناً من ميادينها، وهي على قرابة (١٠٠) كيل من الخرمة، وفي هذه الحرب لم يذكرها الجبرتي الذي أرَّخ لهذه الحرب، ولا ابن بشر الذي فصَّل - بعض الشيء - هذه المعارك، إلَّا أنها كانت في القرن الرابع عشر من أشهر هجر الأخوان، وبعد توحيد المملكة أصبحت بلدة ذات شهرة لها إمارة تتبع إمارة مكة، وآل خالد بن لؤي لا زالوا بها مقيمين.

بين الخرمة وتربة:

تجولنا في الخرمة نبحث عن الفول الذي غاب عنا مدة طويلة، ولكن - فيما يبدو - كان الوقت متأخراً وبحثنا عن ماء فقيل: في المحطات.

ثم خرجنا على طريق تربة، ذلك أن الطريق من الخرمة افترق، فذهب الطريق الرئيسي غرباً إلى طريق رضوان، كما ذكرنا في أول الرحلة، وعاد الآخر جنوباً إلى (تَرَبَة)، فكان لا بد - في رحلة كهذه - من المرور بتربة، فأخذنا في طريقها.

وعلى قرابة (٤٠) كيلاً مررنا بقرية (الغَرِيف): فيها مركز إمارة تابع للخرمة، أميرها أحد أبناء مضيفنا الشيخ: شباب بن ماجد بن جروة، وابنه هذا (ماجد)، وفي الغريف مسجد ومدرسة أو مدارس، وأصل الاسم لمثناة من الوادي غزيرة الماء قصيرة الآبار، فالوادي أعلاه تَرَبَة، ووسطه الغريف وأسفله الخرمة، أو وادي سُبَيع كما يسميه أهله، ثم يدفع إلى مكان يسمى (القيعة) - جمع قاع - ثم يقف سيله في (عِرْق سُبَيْع) الذي كان يسمى (رمل بني عبد الله) من بني عامر، وقد حُرِّف الغريف في

الخرائط، فقد رأيته في إحداها (الغريث) وفي أخرى (الغريفة).

وما زلنا نسير على الضفة الغربية لوادي الخرمة، والنخيل تتراءى لنا لا تغيب عن النظر، وكان سيل الوادي من الجال إلى الجال (كما يقولون)، فقد كانت حصته وحصة وادي رنية من مطر البارحة دسمة، وكان آل جروة قد شكوا إلينا ـ وهم يقدمون الرطب ـ أن النخل يحتاج إلى الماء، فالوادي قد شح ماؤه، وكثر حفر الآبار ذات الأعماق، ولكن يبدو أن في هذا السيل عوضاً، إن شاء الله. وفي مكان بين الغريف وتربه يدعى (الشرفية) اتخذنا مقيلاً ومستجماً، فقد ظهرت علائم الإرهاق على كل فريق الرحلة، فطمأنتهم: إنكم لن تباتوا دون مكة ـ بمشيئة الله ـ إلَّا ليلة واحدة، فسرِّيَ عنهم ودب فيهم النشاط. ومن مقيلنا تحركنا في الساعة الخامسة عصراً، وعلى (٢٩) كيلًا من قرية الغريف دخلنا منطقة الحرار، وهي منطقة تربة، إلَّا أنها منطقة حجرية جدباء.

تَرَبَة:

سرنا في هذه المنطقة ذات الحِرار مسافة (٢٣) كيلًا تقريباً، فصادفتنا قرى تَرَبَة والمنطقة المأهولة. واسم تربة ـ كما قدمنا ـ يطلق على وادٍ معروف من عهد العرب الأوائل[١]، وسكان هذا المسمى قبيلة البقوم، وهي منطقة كثيرة النخل والزرع، ذات مياة وفيرة، غير أن الاسم الآن ـ تربة ـ صار علماً على بلدة سنصلها بعد هذا، وهذه القرى عامرة، ترى منائر مساجدها من الطريق.

وعلى (٩٨) كيلًا من الخرمة دخلنا بلدة تربة، أم المنطقة وقاعدتها، وهي بلدة متقدمة، فيها مدارس ومساجد وفروع للمصارف، وهاتف آلي، وشوارعها نظيفة، وحوانيتها منظمة، رأينا فيها عدة مكتبات وأسواق مليئة بالبضائع، فهي أعمر ما صادفنا بعد بيشة، ولها إمارة تابعة لمنطقة مكة المكرمة، وتعتبر البلدة الرئيسية بين الطائف والروشن في

---

(١) سنفصل ذلك في المعجم المرفق، إن شاء الله.

هذه المنطقة الواسعة، وتقع البلدة على الضفة الغربية لوادي تربة، وتشرف على الوادي من الشرق حرة سوداء مستطيلة باستطالته، تدعى اليوم (حَرَّة البُقُوم) وكانت تسمى (حرة بني هلال) من بني عامر. أما من غربيها إلى الشمال فترى عن بعد جبل حضن الذي تسيل مياه قسمه الجنوبي في وادي تربة، والشمالي في وادي ملحة وإلى رضوان، ويسمى (ضلع البقوم).

بين تربة والطائف:

منذ أن خرجنا من الخرمة ونحن نسير جنوباً مع ميل طفيف إلى الغرب، وكان المفروض أن يخرج طريق تربة إلى الطائف غرباً، فالطائف الآن غربنا تماماً، ولكن الطريق خرج جنوباً، وأمعن في الجنوب حتى عارض طريق الجنوب: الطائف ـ أبها، ثم عاد معه إلى الطائف، مما يكلف جهداً ووقتاً.

وكان الطريق، قديماً ـ وهو ترابي صحراوي ـ يخرج من تربة مغرباً فيمر بالسديرة، ثم يجزع وادي لية في أسفله، ثم يرد الطائف من جنوبه الشرقي.

خرجنا من بلدة تربة فمررنا بوادٍ يدعى (البُطَيْن): يأتي من الغرب مما يتصل بجبل حضن وجواره، ويصب في تَرَبَة من ضفته الغربية، ثم مررنا بوادٍ يدعى (السُّليم): كسابقه تماماً، وقريب منه، ثم على (١٩) كيلًا تقريباً مررنا بوادي الخُمْرَة، والخُمْرَة: قرية بأعلى هذا الوادي على يمين الطريق، ثم بوادي الحَشْرَج، فرق طريقه إلى اليسار، والواديان متجاوران، والقرى حول تربه كثيرة متناثرة، وليس هدف هذه الرحلة إحصاء مثل ذلك.

ثم مررنا بوادي (حُوَال)، ثم فرق إلى اليسار طريق (الغُرَاب): منطقة زراعية آهلة بالسكان، ولا زلنا في ديار البقوم.

وعلى (٣٦) كيلًا من تربة هبطنا وادي ضَرَاء: أحد روافد تربة من سراة بَجِيلَة، وكان سايلًا ليلة البارحة ثم وادي (ظُهَاء) وهو يسيل، ولا زال الطريق متجهاً جنوباً.

العُلبَة:

ثم وصلنا إلى (العُلْبة): على (٤٦) كيلًا من تربة، وهي قرية عامرة فيها مدارس ومساجد، وكانت ممطورة ربما قبل ساعة من وصولنا.

ثم وصلنا إلى وادي عَمْق، على ستة أكيال من العلبة، وهي واقعة على طرفه الشمالي، وهو مثل ما تقدم من أودية يصب في وادي تربة. ثم أخذ الطريق يعتدل إلى الغرب، وعلى (٣١) كيلًا من قرية العلبة فرق إلى اليمين طريق (أبو راكة) وهي قرية زراعية، والاسم لواد تقع فيه هذه القرية، وليست بعيدة من هنا.

ثم التقينا بطريق الجنوب على (٨٥) كيلًا، ولو كان خروجنا من تربة باتجاه الغرب لكنا ألممنا بالطائف أو نحن على مشارفه، وها نحن بعد هذه المسافة نبعد عنه (٩٥) كيلًا، وهو كما قيل لنا إن هذا الطريق من تربة (١٨٠) كيلًا. وسار الطريق شمالًا مع ميل إلى الغرب، فمررنا بوادي ضراء مرة أخرى، وهو الوادي الذي مررنا به في اتجاهنا إلى الجنوب.

الجَبُوب:

ثم وصلنا إلى الجبوب بعد دقائق من التقاء الطريقين، وهي قرية عامرة، سبق لي وصفها[(١)] قبل عشر سنوات، ولكنها قد تطورت اليوم فزاد عمرانها وحسن، وزانت محطاتها، وزفتت شوارعها.

قيا:

ثم ألممنا ببلدة قيا، على ثمانية أكيال من الجبوب، يفصل بينهما

---

(١) وصفتها في كتابي (بين مكة وحضرموت)، وكذلك في (معجم معالم الحجاز).

وقيَا: بلدة متقدمة في هذا الطريق، ذات مبانٍ حسنة، وهي نظيفة وفيها معارض جميلة، وأهلها بنو الحارث بن كعب[1].

شُقْصَان:

ثم بعد قريب من عشرة أكيال فقط ألممنا بشقصان: مقاهٍ ومحطات يستريح فيها المسافرون، وفيه نزل من النفعة من عتيبة، ثم ألممنا بمظلَّلة[2]، والسيل يجري فيها، وتراءت لنا حيجانها[3] ملأى بالسيل، فتحولت إلى ما يشبه البرك الكبيرة بالماء الأبيض!

لِيّة:

ثم مررنا بقهاوي السوطة وما حولها، ثم ألممنا بوادي (لِيَّة) وعبرنا فوق جسرها، وسيلها يثج ثجاً، والشمس غابت أو ما غابت، وبساتين لية الخضراء تتدلى منها عناقيد العنب، ورمانها المشهور قد هصر أغصانه.

ومع تعالي (الله أكبر) مما حولنا من مآذن تمتد إلى عنان السماء، اتخذنا في براح من وادي (نخب) مبيتاً، ونحن نقول للسحب المتكاثفة حولنا: اللهم حوالينا ولا علينا! وكانت الأرض غب مطر، فهي ثريانة، وليس محموداً الفرش عليها، ولكن ليس بالإمكان أفضل مما كان.

ولعل الله استجاب دعاءنا فلم ينزل هذه الليلة المطر، والحمد لله أولًا وآخراً.

---

(١) انظر عنهم كتابي (معجم قبائل الحجاز).

(٢) المرجع السابق.

(٣) الحوج في البلدان المروية بالسيل كالحوض في ذات السقي المنتظم، إلّا أن الحوج مساحة واسعة.

اليوم الخامس عشر للرحلة: ١٩/ ٢/ ١٤١٣ هـ

دخلنا الطائف (عروس المصائف) ولم يكن السوق قد استيقظ، فتجاوزناه إلى الحوية، ثم إلى ما وراء الحوية، في أسفل وادي شرِب، وبجوار الحُرَيْرة، في منطقة سوق عكاظ، اتخذنا مستراحاً ومقيلاً تحت دوح الطلح، في مكان يبعد (٣٧) كيلاً عن الطائف، فأدخلنا سيارتنا ومتاعنا تحت دوحة دوفاء تظلل مئات من الناس، وكانت الأرض ممطورة والجو لطيفاً، وكان وادي شرب قد سال قبلنا، فكانت البطحاء نظيفة قد غسلها السيل، مما أغرى أولادنا باللعب فيها رغم أتعاب هذا السفر الطويل. وكنا في هذا المكان قد ضربنا دائرة في هذه الرحلة: سرنا على هذا الطريق الذي أتينا عليه هذا الصباح، ثم عدنا إليه اليوم.

العَيْث في وادي شرِب:

وبعد صلاة العصر تحركنا من مقيلنا، فأخذنا في الوادي صعداً كالعائد إلى الطائف، ولكن ليس على الطريق المزفت، وكان الوادي الذي كان بكراً إلى سنوات مضت قد عيث به، فهذه بئر تحفر، وهذه جرافة تقتلع عمرى الطلح الذي قد مرت عليه مئات السنين، وهذا طريق يشق إلى قرى قريبة أو بعيدة. فهناك طريق يشق متجهاً إلى الجنوب الشرقي من مطار الحوية، فلعله مذهوب به إلى (السُّديّرة) ثم إلى تربة، حيث هناك طرق ترابية لا زالت مطروقة، فإذا صح هذا فتكون مشكلة تربة قد حلت، فالذي يسير على هذا الطريق من تربة إذا وصل إلى السديرة بأمكانه أن يأخذ على (شراعين) ثم على قهاوي السوطة حيث يلائم طريق الجنوب، وهذا طريق مناسب جداً لأهل تربة.

في مكان جميل من هذا الوادي استرحنا قليلاً وشربنا القهوة والشاي، ثم تحركنا باتجاه مكة المكرمة، وكان البشر ظاهراً على وجوه الأطفال بهذه العودة الحميدة، لله الحمد والمنة، وفي السيل الكبير، وفي نفس مبيتنا عند بدء الرحلة، بتنا إلى الصباح.

اليوم السادس عشر للرحلة: ٢٠ صفر ١٤١٣ هـ

في الخامسة صباحاً تحركنا من السيل الكبير، على نفس الطريق الذي خرجنا فيه، وفي السادسة ودقائق كنا في مكة المكرمة، جوهرة الدنيا، وقبلة الإسلام، مكة التي يتعلق بها قلب كل مؤمن، مهبط الوحي ومدارج خطى رسول الله ﷺ، وخطى خلفائه الراشدين، وجيل أهل بيته الطاهرين.

مكة التي حرمها الله عز وجل من فوق السمٰوات السبع، ولم يحرم غيرها من بقاع الأرض، والذي قال عنها نبينا الكريم: (الصلاة في المسجد الحرام تفضل ما سواها بمائة ألف صلاة)[١].

مكة هذه، وهذا فضلها، يقول عنها بعض الزنادقة: (مقبرة الأحياء) لأن الذين فيها ـ بزعمهم ـ لا ينالون عزاً ووجاهة في الدنيا!. قاتلهم الله! وأي عز وأي شرف بعد جوار الله، وأن تكون (من أهل الله)[١].

وصلنا منزلنا وقد قطعنا مسافة (٣٤٥٣) كيلاً منذ خرجنا منه إلى الآن.

قال أحد زواري: قطعتم هذه المسافة بسيارة جيب؟! قلت: وهذه رفاهية متناهية، قطعناها على سيارة، وعلى طرق معبدة ممهدة، وكان أجدادنا يقطعونها على ظهور الإبل، صحارى وعرة ذات صعود وهبوط، فالحمد لله الذي أكرم وأنعم.

وأظهر ما في هذه الرحلة وأظرفه: أن البرق الذي رأيناه ونحن بجوار مدينة الخرج، ووجدنا مطره عند حوطة بني تميم، كانَ عَيِّنة ومؤشراً إلى غيث مغيث عمَّ ما بين مكاننا ذاك إلى مكة، إلى نجران من دون انقطاع، فما هبطنا وادياً إلّا كان سيله يجري، ولولا أن منَّ الله علينا

---

(١) انظر كتابي: فضائل مكة، إن شئت.

بهذا التقدم العمراني الذي منه هذه الجسور التي نعبر عليها، لولا ذلك لعطلتنا السيول أياماً وليالي.

وجاءت الأخبار من الشمال والجنوب إن هذه الأمطار كانت عامة مما وراء نجران إلى ما وراء المدينة المنورة.

ختام الرحلة:

(الحمد لله الذي بذكره تتم الصالحات)

الجزء الثاني

معجم جغرافي للأماكن
التي جاء ذكرها
في هذه الرحلة

حرف الألف

أبرق رضوان = رضوان

أَبْرَقِيَّة: كمؤنث المنسوب إلى ما قبله.

وادٍ يأتي الطريق من اليمين وأنت تسير من حوطة بني تميم إلى ليلى. يأتي من طُويق، ثم يصب في وادي العقيمي، ثم يذهب سيلهما إلى الخرج.

أبها أو أبهىٰ: (انظر متن الرحلة): بعد الألف موحدة تحتية.

مدينة رائعة ذات حسن وجمال، تتربع سراة عسير، وهي قاعدة المنطقة وأمها، تقع بين الجنوب والغرب من خميس مشيط.

أطلت في بحثها في متن هذه الرحلة، فراجعه إن شئت.

ترتفع أبها عن سطح البحر (١٩٠٠ م)، وتبعد جنوب الطائف بحوالي (٥٥٠) كيلاً.

أُثَيْلَان: تصغير أَثَلان، وهي نسبة إلى الأثل، الشجر المعروف.

شعيب أثيلان: وادٍ يسيل من قلة عُلَيّة من جبل طويق، ويعترض الطريق بين الدلم وحوطة بني تميم.

أديراب: بفتح الألف، ودال مهملة فمثناة تحتية، فراء مهملة، فألف فباء.

روينا في الرحلة النجدية ما يفيد أنه طلعة على (٣٠) كيلاً من الرياض على طريق الحجاز القديمة، والطلعة عقبة من جانب من الجبل، ثم تفضي إلى وسقة مستريحة. وانظر ـ إن شئت ـ الرحلة النجدية.

الأَطْوِلة: من الطول.

جبال شوامخ تقع جنوب بلدة عفيف.

الأفلاج: كجمع فلج، وهو مجرى العين.

إقليم من جنوب نجد، يقع بين إقليم الخرج ووادي الدواسر، قاعدته اليوم مدينة (ليلى)، ويحده غرباً جبل العارض، وشرقاً البياض والرمل، فيه قرى عديدة ومدن، من أكبرها القاعدة (ليلى) واشتهر بعيونه ومياهه الثجاجة، فهو كثير النخل والزرع والأهل.

وجاء في كتاب ابن خميس:

الأفْلاج:

بالفتح، وإسكان الفاء، فلام مفتوحة، فألف، فجيم... جمع فلج بالتحريك، وهو الماءُ الجاري من العين أو النهر[1]...: هي منطقةٌ عامرةٌ بالسكان، والعمران، والنخيل والزروع... في الجزءِ الجنوبي من اليمامة، مشهورةٌ بعيونها الجارية، وبخيراتِها، وخصبها. تنحدرُ عليها عدةُ أودية، من جبل (طُويق) وتنتظم قراها، ومزارعها، وتنتهي برياض وسهوبٍ، ومرابخ... بمنطقة (البياض) مما يلي (الدَّهْنَاء)، لا يزالُ أكثرُها غامراً...

يحدُّ منطقة (الأفلاج) من الشمال: (الخرج)، و (الحوطة)، ويحدُّها من الغرب: جبلُ العارض ـ طويق ـ و (السليِّل). ويحدّها من الجنوب والشرق: رمالُ (الرُّبْع الخالي)، والدهناء... وقاعدتُها (لَيْلى)، ويتبَعُها من البلدان والقرى ما يلي: (البَديعَان) الجنوبي والشمالي، (الحمَر)، (الخَرْفة)، (الرَّوْضَة). (السّتارة)، (السَّيْحَان) الجنوبي والشمالي، (الصُّغُو)، (العُلاوَة)، (الجُفْرَة)، (العَمَار)، (الفُوَيْضِلِّية)،

---

(١) الفلج: مجرى الماء المصنوع، ما دام تحت الأرض فهو فلج، وعند مخرجه فهو فوهة أو فيهة فإذا جرى على وجه الأرض فهو ساقي أو قناة.

(الغَيْل)، (القَطيْن)، (آل ناهِض)، (الهَدَّار)، (أُسَيْلة)، (حُرَاضَة)، (رَفَاع)، (سُوَيْدان)، (مُشرِفة)، و (نهْضَة)، (مَرْوَان)، (وَاسِط).

ويْتبَعُها من مناهلِ المياه: (الرَّوْقية)، (العُجَلِيّة)، (القُطْنِيّة)، (الوُشَيْل) (سَحْمَان)، (ضَيْف الله)، (طارق) وغيرها. . .

يبلغ عَدَدُ سكانِ الأفلاج حوالي خمسة وعشرين ألف نَسَمَة، حسب إحصاء عام ١٣٨٣ هـ، وسكانه قسمٌ من قبيلة الدواسر، وأقليات من قبائل أخرى. . . وتبعُدُ عن الرياض (٣٣٤) كيلاً. . .

وللأفلاج شأنٌ في التاريخ، وذكرٌ حافلٌ. . نحن مُورِدُون ما تيسّر لنا إيرادُه، من ذلك. . .

قال ياقوت: وفَلَج: مدينةُ قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان، وبها منبرٌ ووالٍ، وقال: ويقالُ لها: (فَلَج الأفلاج)، قال السكوني: قال أبو عبيد: ووراءَ المجازة فلج الأفلاج وهو ما بين العارضِ ومطلعِ الشمس، تصبُّ فيه أوديةُ العارض، وتنتهي إليه سيُولها، وليسَ باليمامةِ ملك لقوم خلصوا به مثلها، وهي أربعةُ فراسخ طولاً وَعَرْضاً مستديرة، قال أبو زياد يزيدُ بن عبد الله الحر في نوادره: إنما سمي فلجُ الأفلاج لأنها أفلاجُ كثيرة، وأعظمها هذا الفلج، لأنه أكثرُها نخلاً ومزارعَ وسيوحاً جارية، وسِوَى ذلك من الأفلاج الخطائم: مكانٌ كثيرُ الزرع، والأطواء، ليس فيه نخل، و (الزرنوق): موضع آخر فيه الزروع، وأطواء كثيرة، وهو فَلَج من الأفلاج، وحرم فَلَج، وأكمة فَلَج، والشطبتان فَلَج من الأفلاج، فهذا إنما سُمِّيَ فَلجُ الأفلاج لأنه أعظمُها، وأكثرُها نخلاً، والأفلاج لبني جَعْدَة، وفيها لبني قُشَيْر، والحُرَيْش: موضع، وكل ما يجري سيحاً من عين فهو فلج، وكلُّ جدول شُقَّ من عين على وجه الأرض فهو فَلَج، وأما البحور والسيول فلا تسمّى أفلاجاً. . . هذا آخر كلام أبي زياد الكلابي حرفاً حرفاً. . .

وقال أبو الدنيا: فَلَج الأفْلاج نخلٌ لبني جَعدة كثير، وسيوح تجري، مثل الأودية، تنقب فيها قنى فتساح، وقال القحيف بن حمير العقيلي، وقال أبو زياد: هي لرجل من بني هزان:

سَلُوا فَلَجَ الأفلاج عنَّا وعنكم ... وأكمة، إذْ سالتْ سرارتُها دما
عشيَةَ لو شئنا سَبَيْنا نساءَكم ... ولكنْ صَفَحْنَا عِزةً وتكرُّما
عشيةَ جاءتْ من عَقيل عصابةٌ ... تقدَّم مِنْ أبطالها مَنْ تقدما

وقال القحيف أيضاً:

سقى فلج الأفلاج من كل همة ... ذهاب ترويه دماثاً وقودا

وقال الجعدي:

نحنُ بنو جَعْدةَ أربابُ الفَلَج ... نحنُ منعْنا سيله حتى اعْتَلَج

ويوم فلَج: لبني عامر على بني حنيفة، ويقال، فلج الأفلاج...

والفلج العادي أيضاً، قال القحيف:

تركنا على النَشَاش بكر بن وائل[١] ... وقد نهلتْ منها السيوفُ وعَلَّتِ
وبالفلجِ العادي قتلى إذ التقتْ ... عليه ضِبَاعُ الغِيلِ باتَتْ وظلَّتِ

وكان فَلَج هذا من مساكن عاد القديمة... اهـ.

وقال الهمدانيُّ في صفةِ جزيرةِ العرب: الفَلَجُ من العروض على حد تأليف الساكن، وهو بلدٌ أربابه جعدةُ وقشيرُ، والحريشُ بنو كعب، والحريش أقل الفِرَق، ويسمَّى فَلَجاً لانفلاجه بالماء، أي انفتاحُه، فالحريش في وادٍ من الفَلَج يُقال له: الهَدَّار فيه نخلٌ وزرعٌ، على آبار وسوان من الإبل، وقد قلَّت الحريش به وتفرَّقت وجاور كثير منها باليمن، وبالهدار حصنُ موسى بن نمير الحرشي، وحصنُ أبي سمرة.

---

(١) هذا الصدر غير مستقيم، في ياقوت (النشناش) وبه يستقيم الشعر.

وجاء في كتاب (بلاد العرب).

وبالفَلَج نخيلٌ، ومزارعٌ، وأنهارٌ، وهو من قرى اليمامة، بينَه وبينَ حجر مسيرة عشر مراحل، وبه عينٌ يقُالُ لها (الزباء)، يخرجُ منها سبعة عشرَ نهراً، وهي شبهُ خَسْفةٍ في الأرض، وهي في غضراء، فأسفل الفَلَج لجعدة، ولهم فيه سيحٌ يُقال له: الزهدمي، وقد بَنَوْا فيه حصناً هو في أسفل الفَلَج[1]، وهو مُفْضٍ إلى البياض... والبياضُ صحراء لقشير، وجعدة، مسيرة عشرين يوماً، وهو فلاة بين الفلج، ويبرين، ليس بها ماء، حتى ترد يبرين...

ومنازلُ جعدةَ فيما بين الزهدمي، وسوق الفلج... بمكانٍ يُقالُ له: المحطي، وهو محطي الفلج، به نخيلٌ، ودورٌ، وحيطان..

وقال ناصر خسرو في رحلته التي مرَّ بها نجداً، قرابة منتصف القرن الخامس.. قال عن الأفلاج:

ومن مكة إليها ثمانون ومائة فَرْسَخ، وتقع فَلَج هذهِ وسَطَ الباديةِ، وهي ناحيةٌ كبيرة، ولكنها خربتْ بالتعصُّب، وكان العمران حينَ زُرناها قاصراً على نصف فَرْسخٍ في ميل عَرْضاً، وفي هذه المسافة أربعُ عشرة قلعة للصوص والمفسدين والجَهَلة، وهي مقسمةٌ بينَ حزبين بينهما خصومةٌ، وعداوةٌ دائمةٌ، وقد قالوا: نحنُ من أصحاب الرقيم الذين ذُكِرُوا في القرآن الكريم، وهناكَ أربعُ قنوات يُسقى منها النخيلُ، أما زرعُهم ففي أرضٍ عالية، يرفع إليها معظمُ الماءِ من الأبار، وهم يستخدمون في زراعتهم الجمالَ لا الثيرانَ، ولم أرها هناك، وزراعتهم قليلةٌ، وأجرُ الرجل في اليوم عشرةُ سيرات من غلةٍ يخبزها أرغفةً، ولا يأكلون إلا قليلاً من صلاة المغرب حتى صلاة المغرب التالية، كما في

(١) لعل هذا الحصن هو الذي تكونت عليه مدينة ليلى فيما بعد.

رمضان، ويأكلون التمرَ أثناءَ النهار، وقد رأيتُ هناك تمراً طيباً جداً أحسنَ مما في البصرة

والحديث عن الأفلاج يطول، كثيراً من أراضي الأفلاج الصالحة للزراعة ما زالت فلاة وصحارٍ بور.

الأملح: وكأنه أفعل من الملح.

مثناة خصبة ذات زرع ونخل وأهل، من وادي رَنْيَة، إذا تجاوزها الوادي سمي (الخَنَق) مضيق بين الجبال، ثم يفضي إلى (الضُّرْم) ثم إلى الروضة (رَوْضَة رَنْيَة)

أُمَّهات مُلَيْس: كجمع أم، ثم مليس من الملوسة، والشيء الأملس: الذي لا خشونة فيه.

وهي آخر سلسلة الحوميات، وهي على الطريق شمال بئر الحوميات ـ وقد ذكرت الحوميات ـ أي على الطريق السريع بين مكة والرياض.

حرف الباء

بادية: بالموحدة تحت، على لفظ البادية ضد الحاضرة.

قرية صغيرة في وادي هرجاب، شمال خيبر على الطريق إلى بيشة، فيها زراعة ككل القرى على هذا الوادي.

بارقة: كفاعلة البارق، وهو البرق.

وادٍ صغير شرق روضة رَنْيَة إلى الجنوب على (١٩) كيلًا، يأخذ من جبال صهر ويصب في وادي رنية من اليمين.

البَتْراء: من البتر.

أحد أجزاع وادي النويصفة، لها جسر على (٦٤) كيلًا من رنية، على الطريق بينها وبين الخرمة، واسم الوادي (النويصفة) إلَّا أنه أخذ يغلب عليه اسم البتراء.

البجادية: كالمنسوبة إلى بجاد.

بلدة عامرة لعُتيبة بين الدوادمي وعفيف، تبعد عن الدوادمي (٦٥) كيلًا، ومن عفيف (١١٤) كيلًا. انظر كتابي (الرحلة النجدية).

البحر الأحمر:

الحديث عن البحر الأحمر قد يستلزم كتاباً بأكمله، وبإيجاز هو: البحر الذي يفصل بين قارتي آسية وأفريقية، فعلى شاطئه الشرقي الحجاز واليمن، وقسم من الأردن، وعليه من المدن، من الشمال إلى الجنوب: العقبة في الأردن، وضبا والوجه وينبع ورابغ وجدة والقنفدة، وجازان، وعشرات الموانىء الأصغر، وفي اليمن: الحديدة والمخا، وغيرها

كثير. وعلى شاطئه الغربي: مصر والسودان وأريتريا، وفيه من المدن: السويس وبور توفيق وبور سودان وسواكن، ومصوع، وكلها إسلامية، وغيرها من الموانىء الصغيرة والكبيرة مثل مدينة (عَصَب) في أريتريا.

ورأسه الشمالي ذو شعبتين: خليج العقبة وخليج السويس، ورأسه اليماني مضيق باب المندب.

وفي البحر الأحمر مئات الجزر المنتشرة، مسكونة وغير مسكونة، من أهمها: جزائر فرسان ودهلك، وتريم.

البِدَعُ: أوله موحدة تحتية، ثم دال مهملة فعين مهملة أيضاً.

مزارع ونزل على طريق الخرج من الرياض.

البديع: بفتح الباء الموحدة تحت، وبالتعريف، بمعنى مبدوع.

البديع هذا بديعان، وهما بليدتان على طريق: ليلى - السليل، أحدهما شمالي وآخر جنوبي، وقد وصلنا إلى الجنوبي على (٤٩) كيلاً من ليلى، وقد ألَمَّ التقدم بهذه البليدة، فالمباني حديثة والمساجد (مسجدان) نظيفان، ومدرسة حديثة، ولم نرَ البديع الشمالي لكنه - لا شك - أقل تقدماً من هذا، لأن هذا أنعشه الطريق عندما مر به، كذا قال أحد المصلين في مسجده.

وفي متن هذه الرحلة لنا مخاصمة مع البديع هذا، فإن شئت فراجعها هناك.

البَرَدَان: بفتح الباء الموحدة، ولم أتبين ضبط باقيه، ولكن نظائره بفتح الراء والدال المهملتين.

قرية في بلاد شهران، إذا سرت على الطريق بين تثليث وخميس مشيط حتى تفترق إلى طريق بيشة والخميس، فسرت في طريق بيشة وجدت البردان على مقربة من المفرق، في الجنوب من قرية (خيبر الجنوب).

بُرَيْك: كتصغير بَرْك.

ينطبق عليه ما ينطبق على وادي نعام تماماً، انظره.

وقال ياقوت: بلد باليمامة يذكر مع بَرْك، وهما من أعمال الخضرمة، ولهما ذكر في أيام العرب وأشعارهم.

البُطَيْن: كتصغير بطن.

وادٍ صغير يمر جنوب بلدة تَرَبَة، ويصب في وادي تربة آتياً من جهات جبل حَضَن.

البَغْبَغ: بتكرير الباء والغين.

قرية ظهرت على الخريطة على الطريق بين تثليث وخميس مشيط، وهي في منطقة تثليث، ولم أرها في الطريق.

البَغْث: على وزن البعث إلا أنها بالغين المعجمة بعد الموحدة تحت.

قُرَيَّة صغيرة في وادي المُسيرق، شمال خيبر عسير، على الطريق إلى بيشة.

البَقَرة: بلفظ أنثى البقر.

بئر ناحية من الطريق الجديد بين مكة والرياض إلى يمين السائر، بجوارها جبل ينسب إليها (جبل بقرة) تراه عن بُعد عند أم المقارب، على ما يقارب (٤٠) كيلاً من ظلم، والبئر مشهورة في هذا المكان، ومورد للبادية.

البكرة: بلفظ الصغيرة من الإبل أو ما يسحب عليه الرشاء.

مكان غرب الطريق وأنت تسير من حوطة بني تميم جنوباً، ليس قريباً من الطريق.

بنادق: كجمع بندق.

قرية من قرى تثليث، تقع جنوب بلدة تثليث غير بعيدة عنها.

بَنْبَانُ: بموحدتين سفليتين بينهما نون، على وزن فعلان، آخره نون أخرى.

كان رملاً إلى الشمال الشرقي من مدينة الرياض، وكان بعيداً عنها بحيث كان بالنسبة إلى حَجْر يعتبر من البادية إلَّا أن تطور الرياض جعلها تزحف إليه، وسيكون من أحيائها.

البُهَيتَة: بالموحدة التحتية المضمومة، وبعد الهاء مثناة تحتية أيضاً ثم مثناة فوقية، وهاء.

صعود كان في دمث من الأرض يبهت السائر فيه، ولما جاءت السيارات كان عليها صعباً، ولكنه اليوم زُفِّت فصارت السيارات تسير فيه بسرعة.

هذا الصعود: تكون فيه وأنت مقبل على السيل الكبير مما يلي مكة.

البَيَاضُ: ضد السواد:

أرض واسعة شاسعة في بلاد العرب، تقع بلبط الدهناء من الغرب إذا تجاوزت شرقي الرياض، وبالتحديد الأدق إذا تجاوزت وادي السهباء، ولا ينقطع البياض بانقطاع الدهناء في الربع الخالي، بل يستمر يساير الربع الخالي متلبطه من الغرب متجهاً جنوباً، الرمل يساره، وأراضي الخرج والحوطة والأفلاج والسليل كلها عن يمينه، فهو في الرمل مثل الساحل في جبال تهامة، أرضه صحراء بيضاء قلال[١] مع تخليل نفود لا تعيق السير هنا وهناك.

ويعتبر البياض أخصب المرابع المرغوبة عند العرب في زمن الشتاء ولا يدهل في القيظ لقلة مياهه.

---

(١) قلال: جرز، لا حثر، ولا دأث، يقل شجره وتنبت المرعى إذا مطرت.

البَيَاضَة: مؤنت البياض.

خبت جرز بين رَنْية وبيشة، شماله وادي الدَّيَّة، وجنوبه وادي (خَدَّان).

بِيْشَة: بكسر الباء الموحدة تحت، ومثناة تحت ساكنة، ثم شين معجمة مفتوحة، وآخره هاء التأنيث.

أصل التسمية لوادٍ زراعي هو من أشهر أودية العرب، وأعظم شهرته في النخيل التي قيل، قبل عشرات السنين، إنها تبلغ (٣٠٠٠,٠٠٠) ثلاثة ملايين نخلة، فإذا صحَّت هذه المعلومة فإن بيشة اليوم قد تضاعف كل شيء فيها. وكان الأقدمون يسمونها (بيشة بُعْطَان).

ووادي بيشة من الحوالب الكبار ـ والمقصود هنا بيشة النخل الذي فيه مدينة الروشن ـ حيث يأخذ المياه من المرتفعات الواقعة شرق خميس مشيط ومن أبها وجبال السودة غرب أبها، وكل السراة الواقعة بين خميس مشيط والباحة. وبهذا يكون سيله جارفاً، قد يسيل لمدة شهر، وتتجمع روافده الكبار عند مدينة الروشن، ثم يأخذ باتجاه الشمال الشرقي، فيأتيه من الغرب وادي (رَنْيَة) فيجتمعان في مكان يسمى الفَرْشة في الشمال الشرقي من نفود حَنْجران، فإذا كان سيلهما فائضاً ـ رغم اتساع الفرشة ـ اتجه إلى وادي الدواسر، فصار أحد روافده وأهمها، ثم يفضي إلى البياض شرق مدينة السليِّل، فيعترضه الربع الخالي فيمتص مياهه مما جعل تلك المنطقة ترقد على بحيرة من الماء.

أهم روافد بيشة النخل:

١ ـ **وادي هرجاب**: يسيل من شمال خميس مشيط، ويصب عند الروشن، وقد وصفناه في متن الرحلة.

٢ . **وادي ابن هَشبل**: يسيل من نواحي خميس مشيط وجبال أبها كالسودة وسراة آل حجر، وكثيراً ما يعرف باسم بيشة، وفي وسطه مكان آهل يسمى بيشة المعادن.

٣ ـ **وادي ترج**: لعله من فاكهة (الأترج)، وهو مشهور في بيشة، وهذا الوادي يسيل من السراة الواقعة شمال النماص، من بلاد بلاسمر، وبلاد بلقرن من سبت العلايا، وعليه قرى مهمة، منها: الفطحة، والقوباء، ثم يجتمع بوادي بيشة قبل الروشن، وفوق السد الذي أقيم هناك، وكان ترج هذا مأسدة، ومن أمثالهم: (أجرأ من الماشي في ترج).

٤ ـ **وادي تبالة**: وهو من الأودية المشهورة، وذكره في كتب الأدب العربي كثير، وهو واد يسيل من جنوب الباحة، ومن النماص فيقاسم رنية وترج الماء، ثم يصب في وادي بيشة بعد الروشن وبعد السد، وعليه قرى عديدة، فيه مياه وزراعات، وأشهر المدن عليه: مدينة (تبالة) المسمى الوادي بها من عهد الجاهلية، وكانت قاعدة المنطقة بحيث عين الحجاج الثقفي والياً عليها، تقع مدينة تبالة إلى الشمال الشرقي من مدينة النماص. وانظر كتابي (بين مكة وحضرموت).

هذه جل روافد وادي بيشة، وهي أودية فحول ذات سيول جارفة.

وجاء في كتاب (بين مكة وحضرموت):

وادي بيشة:

أكبر أودية السراة الشرقية على الإطلاق، ويحتلب منطقة تقدر بستمائة كيل طولاً، بين الفرشة شرق الخرمة إلى جنوب أبها وخميس مشيط، بين الدرجتين ١٨ و ٢٢ عرضاً، ويعتبر هذا الوادي وادي خثعم إذ أن جميع البطون القاطنة فيه وفي معظم روافده هي بطون من خثعم، وقد تقدم الحديث عنها.

وله روافد كبار، أهمها: تبالة: يسيل من بلاد خثعم السراة وبلقرن، وهرجاب[1]: من سراة آل حجر، وأودية عديدة غيرها، فهو

(١) كان هذا قبل المشاهدة، ولكنه تبين أن هرجاباً يسيل من شمال خميس مشيط، وليس من سراة آل حجر، ثم يصب في بيشة من الضفة اليمنى أي الشرقية، شبه مقابل لوادي تبالة.

يقاسم وادي (بيش) الماء في جنوبي أبها، ويسمى رأس الوادي عند خميس مشيط ذهبان، ثم يسمى وادي ابن هشبل، والهشابل من العوشز (العواسج) دخلوا في شهران، ويسمى وادي شهران أيضاً، وبيشة. فإذا اجتمعت به تبالة من الغرب وقبلها هرجاب من الغرب أيضاً سمي وادي بيشة، ومنذ بدئه من خميس مشيط وأبها يسير شمالاً عدلاً، فإذا تسهل من السراة وقع في اتساع كبير ثم انحرف شرقاً إلى الشمال حتى يدفع في الفرشة المتقدمة، ويعتبر هذا الوادي من أكثر أودية جزيرة العرب نخلاً بعد خيبر، ولجودة تمره شهرة، ولأهله صفات من الكرم، حتى أنه كان يقصده من لا نخل له فيصدر موقرة جماله وكأنه صاحب نخل، ويكثر في سكانه خليط أسود هم بقايا، أو سلالات، العبيد فيما مضى، حتى أنه في مكة لا يكاد يطلق كلمة (بيشي) إلا على الأسود، لذا فإن القبليين من أهله ينتسبون إلى قبائلهم، لينفوا عن أنفسهم هذه الصفة، وكانت بيشة من الأماكن المشهورة بالأسد، ولكن هذه السباع انقرضت اليوم من جزيرة العرب، إلا ما قيل أن الفهد والنمر لا زالا يريان في السروات الشاهقة الواقعة جنوب وغرب أبها.

ولجودة تمر بيشة صار أهله يضربون به المثل المعروف، بخيبر وهجر (يا مهدي التمر على أهل خيبر) و(كمستبضع تمراً إلى أهل خيبر) فيقولون: يا مهدي التمر على أهل بيشة، ويا بائع التمر على أهل بيشة. وفي وسط وادي بيشة مدينة الروشن: قاعدة الإمارة، وهي بلدة متقدمة.

بيشة الجنوبية: (بيشة بَيْش).

هذا وادٍ يقاسم وادي هرجاب ووادي ابن هشبل الماء جنوب خميس مشيط، عند بلدة أحد رفيدة، ثم يتجه غرباً جنوبياً فيكون أسفله في تهامة.

ولقرب رأسي الواديين حيث يتقاسمان الماء من قرارة واحدة تشابه اسماهما، وليس كما توهم بعض الباحثين أن كل منهما يسمى بيشة.

وهذه التسمية من عادات العرب، إذا تظاهر واديان أو تجاورا سُمِّيا اسمين مشتق بعضهما من الآخر.

بيشة المعادن:

مكان من صدر وادي بيشة النخل، أسفل وادي ابن هشبل، وقد ذكر في بيشة النخل.

حرف التاء

تَبَالة: مثناة فوق، وموحدة تحت مفتوحتان، ثم لام وهاء التأنيث.

وادٍ فحل ومدينة عامرة، تقدم ذكرهما في بيشة.

تَثْلِيث: مثناة فمثلثة فوق الأولى مفتوحة والثانية ساكنة، ثم لام فياء مثناة تحت، وآخره مثلثة.

الأصل وادٍ مثلث أيضاً حيث يتكون من ثلاثة أودية، أهمها: طَريب، وادٍ يسيل من سراة عبيدة، وقد ذكر في هذا المعجم، ووادي تثليث نفسه، ووادي الثفِن، تجتمع الأودية الثلاثة بعد أن يتجاوز الوادي بلدة تثليث، وأودية أخرى منها وادي (جالة) ووادي سليم، وهو يقع بين سلاسل جبال عالية، مما يجعل سيله جارفاً، وطوله يقرب من (٣٠٠) كيل من أقصى منابعه حتى يصب في وادي الدواسر، ثم نشأت فيه بلدة ولا شك في قدمها، فاشتهرت بالاسم، فإذا قيل ـ اليوم ـ تثليث، لا يتبادر إلى الذهن إلّا هذه البلدة، وهي بلدة عامرة، ولكنها صغيرة، وموقعها محدود بين الجبال، وتخرج منها (٣) طرق: أحدها الذي أتينا عليه من وادي الدواسر، ويبلغ (١٩٥) كيلًا، وآخر سنخرج عليه إلى خميس مشيط، ويبلغ مثل ذلك أو أزيد أكيالًا، فهي في منتصف المسافة بين قاعدة وادي الدواسر وخميس مشيط، وطريق يشق الآن بينها وبين بيشة طوله (٨٨) كيلًا. وفي متن الرحلة ما يفيد.

تَدُوم: بالتاء المثناة فوق المفتوحة، ودال مهملة.

قبيل وصولك إلى رَنْيَة آتياً من جهة بيشة تجد جبيلات برق منها تدوم وتُدَيّم.

تُدَيِّم: انظر تدوم، قبله.

تربة: مثناة فوق وراء مهملة، ثم موحدة تحتية فهاء.

أصل الاسم لوادٍ فحل من أودية الحجاز الشرقية، يأخذ مياهه من السراة الواقعة بين الطائف والباحة، ثم يتجه جنوباً حتى يصب في مكان يسمى (القِيعَة) جمع قاع.

وكنا كتبنا في كتاب (بين مكة وحضرموت) ما يلي:

وادي تربة:

من الأودية الفحول التي تأخذ مياه قسم كبير من وجه السراة الشرقي، ويسمى أعلاه تربة، ويميز باسم تربة البقوم، وفي هذا القسم قاعدة البقوم، وهي بلدة عامرة تسمى بنفس اسم الوادي، ثم يتجه شمالاً شرقياً فيسمى الغريف[1] وهو من بلاد سبيع، ثم ينحدر إلى بلدة الخرمة: قاعدة قسم كبير من قبيلة سبيع، وهي بلدة متقدمة تقع شرق الطائف مع ميل إلى الشمال على قرابة (٢٨٠) كيلاً، وتتبع الطائف إدارياً، وكذلك تربة، ثم يعطف الوادي إلى الشرق فيقع في سهل كثير الحبال الرملية، وفيه بئر القنصلية المورد المشهور هنا، ثم يصطدم بعرق سبيع، وهو رمل كالجبال المتقاودة، وهو ما كان يعرف برمل بني عبد الله، بطن من عامر بن صعصعة، وهنا تضيع مياه وادي تربة، بعد أن يسمى وادي الخرمة ويسمى وادي سبيع، وكذلك وادي رنية يسمونه وادي سبيع، لأن الواديين من ديار سُبَيع.

تربة:

أما تربة البلدة فهي بلدة متقدمة، فيها كل مرافق الدولة ويربطها بالطائف هاتف آلي - بخلاف رنية والخرمة -، وفي متاجرها تتوفر كل الحاجيات، ومدارس ومساجد، ومكتبات عدة، وتعتبر مدينة صغيرة نظيفة منظمة.

---

(١) بين مكة وحضرموت، ص ١٧٠.

وأهلها قبيلة البقوم ولذا يسمونها وواديها (تربة البقوم) وهي على الضفة اليسرى من الوادي أي الغربية، ومنطقتها منطقة حرار، ومزارع النخيل تتصل بها من جهة الوادي، وكأي بلدة يوجد في تربة أسر من غير البقوم: أسرة من الأشراف العبادلة، منهم الدكتور: راشد بن راجح، رئيس جامعة أم القرى، ورئيس نادي مكة الأدبي، وقريبه الدكتور: شرف ابن علي الشريف، وأفناء من أهل السراة والتجار. وتبعد عن الطائف شرقاً (١٨٠) كيلاً، وجنوب بلدة الخرمة (١٠٠) كيل.

ترج: أوله تاء مثناة فوق مفتوحة.

وادٍ فحل من روافد بيشة النخل، ذكر في بيشة.

تمرة: بلفظ واحدة التمر.

قرية كبيرة على (٢٨) كيلاً تقريباً من بلدة السُّليِّل بينها وبين الخماسين، قاعدة وادي الدواسر، ذات مبان حسنة وشوارع خضرة، ولها وادٍ يأتي من الجنوب من طُوَيق الأقصى، كان يدعى (عقيق تمرة) يسيل من جبل عال يدعى (خشم كَمَدة) وهو أحد رؤوس جبل طويق (العارض) ويفرغ واديها في وادي السليل، ويتبعه إدارياً.

وفي متن الرحلة أوفى من هذا.

تَمَنِّيَةُ: أوله تاء مثناة فوق، واشتقاقه من التمني، والمنى.

أرض جميلة ذات هواء طيب ومناظر خلابة، خطط فيها متنزه للمصطافين، تقع في الجنوب الغربي على (٥٠) كيلاً تقريباً من أبها، وعلى قرابة (١٠) أكيال من القرعاء في نفس الاتجاه، وتشرف (تمنِّيَة) على تهامة غرباً، وكانت منها عقبة تسلك إلى تهامة، وتعتبر من أجمل المصايف بعد القرعاء والسودة.

التَّوْباد: بالمثناة فوق المفتوحة، وآخره دال مهملة.

الجبل المشهور في شعر مجنون ليلى، حيث قال:

وأجهشت للتوباد لما رأيته وكبَّر للرحمٰن حين رآني

رأيت كتابة في إحدى الرسائل بأنه قرب مدينة ليلى، فاعتقدت ذلك وصدقته، ولكني سألت عنه في (ليلى) فلم أجد من يعرفه، فقلت: ما كل ما على الأرض يعرفه كل الناس! فعدت إلى المعاجم الجغرافية فلم أجد المحدثين أتوا فيه بشيء، وخلاصة ما قال ياقوت:

تَوْباذ: بالذال المعجمة. جبل بنجد، وقال نصر: توباذ (أبير أسد) كذا، وكأنه يريد: لقبيلة أسد.

وأنشد البيت المشهور المنسوب لمجنون بني عامر:

وأجهشت للتوباذ حين رأيته وسبَّح للرحمن حين رآني

ورواه البكري بالدال المهملة، وهو الشائع فقال:

التوباد: جبل في أرض بني عامر، وأنشد البيت المتقدم. وأرض بني عامر وبني أسد كانت متجاورة من جهة شمال بني عامر.

تِين: بلفظ الفاكهة الوارد اسمها في القرآن الكريم.

جبل بارز أجم في السهل الواسع الممتد بين رَنْية والخُرمة، إذا جزعت وادي البتراء على نفس الطريق المزفَّت، رأيت جبل تين على يمينك بعيداً، وأنتَ آتٍ من بيشة.

حرف الثاء

ثَرَاد: أوله مثلثة، وآخره دال مهملة، وبالتخفيف.

وادٍ من أعالي روافد رَنْية، يسيل من مرتفعات الباحة، ثم يتجه شمالاً، فيجتمع مع وادي العقيق (عقيق غامد) ثم يكونان رأس رَنْية. يضرب بحُمَّاه المثل فيقال: (حُمَّى ثراد) وظهر في بعض الخرائط (ثراث) وهو غلط.

ثَمْلاَ: كذا ينقطونها، أوله ثاء مثلثة، ثم ميم فلام.

بئر أعطت اسمها إلى هضاب بوارز، تراها إلى يمينك إذا جزعت وادي ذي خشاب، من بيشة إلى رنية.

الثَّنِيَّة: الثنية بمعنى المسلك بين جبلين، وهي تسمية تكثر عند أهل الجزيرة العربية. وهذه قرية في وادي تبالة، بعد تجاوزه بلدة تبالة بقليل.

حرف الجيم

جاشُ: أوله جيم وآخره معجمة، من جاش يجوش، إذا غلى الماء أو نبع من الأرض.

بلدة عامرة من منطقة تثليث، هي أعمر ما فيه بعد القاعدة (بلدة تثليث). تقع جاش على وادي طَرِيب، وجنوب القاعدة بثمانية أكيال.

وهي قرية كبيرة مستطيلة باستطالة الوادي، وبها مدينة تعليمية كاملة، ومدرسة بنات ابتدائية، ومساجد، وعمدة، وانظر المتن.

ويشرف على قرية جاش من الغرب جبل (طَبَب)، ومن الشرق جبل (الربوض) وترتفع القرية عن سطح البحر (١٠٠٠ م).

جالة: بالجيم، وآخره تاء التأنيث.

وادٍ من روافد وادي تثليث، يأخذ من المرتفعات القريبة من بلدة العرين، ثم يصب في تثليث من الغرب.

جبل الجاهلية: بلفظ الجاهلية التي سبقت الإسلام.

والجاهلية بئر هناك فأعطت اسمها للوادي الذي تقع فيه والجبل المجاور له، وجبل الجاهلية أول سلسلة جبال صِهر مما يلي بيشة.

الجبالة: جيم فموحدة، وبعد اللام هاء وبالتخفيف.

قرية قرب مدينة ليلى، بالأفلاج.

جبجب: بتكرير الجيم والباء الموحدة تحت.

خبت صيهد، إذا خرجت من واد الدواسر تؤم (تثليث) سرت فيه، وهو براح ليس فيه نبات ولا شجرة إلّا أنه جيد المرعى إلى ربَّع.

جبل البقوم = حضن.

الجَبُوب: جيم مفتوحة، وموحدتين تحتيتين بينهما واو.

قرية عامرة على الطريق الخارج من الطائف إلى الباحة وبلاد عسير. (انظر معجم معالم الحجاز).

الجُبَيل: كتصغير جبل.

سلسلة جبلية مغراء، إذا خرجت من الرياض إلى الخرج رأيتها تسايرك، من يسارك حتى تصل إلى مدينة (السَّيْح) قاعدة الخرج، وتذهب شمالاً حتى يكون (خشم العَان) نهايتها الشمالية، ثم يكون انفصال يسير فيه الطريق من الرياض إلى الدمام ثم تبدأ سلسلة العرمة، وقد ذكرت.

هذه السلسلة (الجبيل) تعرف قديماً باسم (خِنْزِير) بلفظ أحد الخنازير[1]: وهو الذي عناه الأعشى بقوله:

فالسفح يجري فخِنْزير فبرقته ... حتى تدافع منه السهل والجبل

الجُحْفَةُ: جيم مضمومة، وحاء مهملة ساكنة، ثم فاء وآخره هاء.

قرية على الطريق إلى بيشة بين خيبر الجنوب والبردان، تبعد عن مفرق طريق بيشة عن الخميس (٩) أكيال فقط، وهذه جحفة الجنوب تجاور خيبر الجنوب، تبعد عن بيشة قرابة (١٥٥) كيلاً جنوباً، وواديها هذا الذي تقع على رأسه، يسمى وادي المُسَيْرق، يصب في وادي الجزيرة ثم في وادي الثفن، فإلى تثليث.

والجحفة هذه قرية قديمة، كما يظهر من آثار بنيانها، وتحيط بها

---

(١) معجم البلدان، مادة (خنزير).

الحرار السود، وهي أول الحرار المشاهدة في هذا الإقليم من جهة الجنوب.

جُرَش: بضم الجيم وفتح الراء، وآخره شين.

بقايا مدينة أثرية كانت عامرة في العهد الجاهلي، ولم تبقَ منها الآن إلَّا رموس تدل على مجد غابر، تقع جنوب شرقي خميس مشيط، قرب بلدة أحد رفيدة، ولعل سوق (أحد رفيدة) قام على أنقاضها، ومثل هذه الأحداث الجغرافية لها نظائر كثيرة.

والفرق بين (جُرش عسير وجَرش الأردن) هو أن الأولى مضمومة الجيم، والثانية مفتوحة الجيم، وكلاهما ذات تأريخ وآثار.

مُنْتَزَهُ الجَرّة:

منتزه أي (مُتَنَزَّه) وهو في منطقة تمنية، وقد ذكرت تمنية، ويعتبر هذا المتنزّه من أطيب وأجمل المصايف هواء ومناظر وأرضاً.

شعيب الجزعة: الشعيب مجرى السيل، والجزعة، أوله جيم، وزاي ثم عين مهملة فهاء.

وادٍ يعترض الطريق بين رنية والخرمة، على (٣٢) كيلاً من رنية، يجتمع سيله مع سيل وادي حُراضة، ثم يذهب إلى العَدَام.

جزيرة العرب:

لم يختلف الجغرافيون في ثلاث جهات من حدود جزيرة العرب، وهي: من الشرق الخليج العربي (الإسلامي)، ومن الغرب البحر الأحمر، ومن الجنوب بحر العرب الممتد من مضيق باب المندب، عند اليمن، إلى خليج عمان الذي عليه مدينة (مسقط)، أما في الشمال فقد كان هناك خلاف، ولأنه مطول فلسنا بصدده، إلَّا أن ما يصح بلا خلاف ـ إن شاء الله ـ هو أن حدها الشامي هو الخط الممتد من رأس الخليج الإسلامي (الفارسي قديماً) إلى مدينة العقبة في الأردن. ويُروى عن ابن

عباس رضي الله عنه: إن العرب قسمت جزيرتها إلى خمسة أقسام، هي: تهامة، والحجاز، ونجد، والعروض، واليمن[1] وكل إقليم قد حدد في مادته.

الجزيرة: بلفظ قطعة اليابسة في وسط البحر.

أشعب وجبال شمال خيبر عسير، تجتمع إلى مكان يدعى (دُثُور السلام) ثم تتجه شمالاً بشرق إلى وادي (الثَّفِن) ثم إلى تثليث فوادي الدواسر.

إذا تجاوزت خيبر متجهاً إلى بيشة كانت الجزيرة إلى يمينك، ومن أكبر الأودية التي ترفدها (وادي المسيرق).

جُزَيْل: كتصغير جَزْل.

قرية من قرى عرض القويعية، غرب بلدة القويعية نفسها.

الجَعْدة: كأنَّه أخذ من الجاعد أو الجعودة.

خبت أبيض جميل رملي، إذ أقبلت على وادي الخُرْمة مما يلي رَنْيَة تلقاه، فتسير فيه إلى الوادي.

الجِفارة: جيم مكسورة وفاء.

قرية قبل القويعية لمن يؤم الرياض من الحجاز، على قرابة (٢٥) كيلاً من القويعية، عامرة، فيها مدارس ومساجد وسوق لا بأس به، وتعتبر شبكة طرق لما حولها من القرى.

الجِلْه: بكسر الجيم، وسكون اللام، وآخره هاء: معرَّفاً.

منطقة صحراوية واسعة، على (٧٣) كيلاً من القويعية إلى الرياض، يبجد[2] الطريق السريع الجله مع الوسط تقريباً، قامت فيه مزارع كثيرة

---

(١) معجم البلدان: جزيرة العرب، ومراصد الإطلاع: نفس المادة.

(٢) يبجد الشيء، أي يقطعه مع الوسط.

وله بنيان متناثر يكون في مجموعه قرية، فيه أحد عشر مسجداً، ومؤسسات ومطاعم وغير ذلك.

وانظر ـ إن شئت ـ متن هذه الرحلة.

الجَمَّاء: مؤنث الأجم، وهي من الحيوانات التي ليست لها قرون.

هذه أحد جبال صِهر، تراها من بلدة الروضة ـ روضة رَنْيَة ـ جنوباً إلى الشرق، وهي آخر السلسلة مما يلي رنية.

جَمْعُور: جيم مفتوحة، وميم ساكنة، وعين مهملة مضمومة وراء مهملة، وقد يضمون الجيم.

جبل يمر به الطريق من بيشة إلى رنية على (٣٦) كيلًا، وهي هضبة منتصبة بارزة.

جَوٌّ: جيم مفتوحة، وواوٌ مشددة.

ناحية من وادي قرقرى الجنوبي، ذات مزارع ونزل، تبعد غرب الرياض بما يقرب من (٩٠) كيلًا أو نحوها.

وكان جو اسم لليمامة، قبل تسميتها باليمامة (انظرها)، ولكنه جو غير هذا، وعدَّد ياقوت[1] أجواء كثيرة في اليمامة، منها: الذي هو اليمامة، وجو الخضارم ـ وهذا بالخرج ـ وجو الجوادة، ولعله هذا.

الجَوْهرة: باسم الجوهرة المعروفة.

بلدة عامرة في وادي ابن هشبل، رأس وادي بيشة في السَّراة، تبعد عن خميس مشيط (٦٨) كيلًا، بينها وبين تثليث، على الجادة المزفّتة، أهلها من شهران كأهل كل هذا الوادي الكبير[2].

---

(١) مادة جو.

(٢) انظر عن شهران كتابي (بين مكة وحضرموت).

حرف الحاء

الحَاجُوْن: على زنة فاعول من الحجن.

قرية تجاور قرية كُتْنة من الشمال، على الطريق بين خيبر وبيشة.

الحَامِض: بلفظ الطعم المعروف.

قرية في وادي خيبر، شمال خميس مشيط بما يقرب من (٧٠) كيلًا، على الطريق إلى بيشة، فيها ملامح عمران جديد، وكسائر القرى الواقعة على هذا الوادي فيها زراعة ونخل.

الحَاوي: أوله حاء مهملة، على زنة فاعل.

جبال صغار على يمين الطريق بين بيشة ورنية، إلى الشمال من (يحامر)، تبعد عنه (١١) كيلًا.

حائر سُبَيع:

الحائر = محير الماء إذا سال فيه فتروَّض وتكور، ولكنه ليس كالروضة، فالحير والمحير يأخذ الماء ويعدى الزائد، ولكن الروضة لا يفيض ماؤها غالباً.

والحائر هذا هو ملتقى أودية من أودية اليمامة، فغزر ماؤه وكثر غَرسُه، وهو اليوم لقبيلة سُبيع[١]، وتجتمع في الحائر ثلاثة أودية، هي: وادي لحاء، ووادي حنيفة، ووادي الأوسط، ثم تذهب مجتمعة إلى الخرج.

---

(١) انظر معجم قبائل الحجاز، والرحلة النجدية.

حَثَاقٌ: الحاء مهملة، ومثلثة، وآخره قاف.

وادٍ له جسر، يسيل في خبت الجَعْدة، فإذا تجاوزه صب في وادي الخُرْمة بعد أن يتجاوز الدغمية، يأتيه من جانبه الأيمن.

حُجَيلة: بالتصغير:

قرية شرق القُوَيْعِية، تابعة لها، فرق طريقها إلى الجنوب الشرقي من الطريق السريع، على بعد (٥٠) كيلًا تقريباً، بين القويعية والرياض.

حُرَاضة: الحاء مهملة، وبعد الألف ضاد معجمة فهاء.

وادٍ بين رنية والخرمة، يجتمع سيله مع سيل (شعيب الجزعة) ثم يضيع في العَدَام، يبعد عن الروضة نحواً من (٣٦) كيلًا.

حَرْفُ آل عَمُودَة: بلفظ الحرف الذي يكتب، وهو جانب الوادي، وآل عمودة حي من شهران أهل هذا الحرف.

قرية على الطريق، شمال قرية صمخ بثمانية أكيال، وأهلها من شهران، وفيها مسجد ونخل، وآثارها تدل على قدمها.

الحَرْقَان: بمعنى المحترق من النار: انظر الشفا.

حَرَمان: كمثنى حرم.

وادٍ يسيل من جبال رَبَّة فيصب في خبت جبجب فإلى وادي الدواسر، وهذا الوادي شرق تثليث.

حَرَّة البقوم: الحرة هيكل جبلي حجارته سوداء محترقة.

تقع حرة البقوم على يمين وادي تربة، وشرق بلدة تربة نفسها، وهي حرة مستطيلة باستطالة الوادي، فيها ديار وتسيل منها أودية، في عدة اتجاهات، إلى وادي تربة، وإلى السهل في شرقيها، ومنها أودية تجري بين الخرمة ورنية تسمى (النوصف) لذا أطلق بعض الجغرافيين على الحرَّة (حرة النواصف) كانت تعرف قديماً باسم (حرة بني هلال) القبيلة العامرية المشهورة، وتعرف اليوم بحرة البقوم، كما قدمنا.

الحُرَيرة: تصغير حَرَّة.

حريرة سوداء تحف بوادي شَرِب من الشرق، شرق مطار الحوية، كانت من معالم سوق عكاظ. وانظر: معجم معالم الحجاز.

الحَرِيق: بلفظ حريق النار، وبمعنى محروق.

منطقة ذات زراعة وأهل، شمال غرب حوطة بني تميم، على السفوح الشرقية لجبل العارض (طويق) يمر بها وادي نعام الشهير في هذه الديار، هواؤها أعدل من هواء الحوطة لارتفاعها في سند الجبل، ولها طريق مزفت يفرق من طريق الجنوب عند الحوطة. وعدنا أن نستوفي عنها ـ لأهميتها ـ من كتاب ابن خميس[(١)]، فقال:

بلدةٌ في أعلى وادي (نعام)، عامرة بالسكان والنخيل والمزارع، بناها وغرسها رُشَيْدُ بن مسعود بن سعد بن سعيدان بن فاضل الهِزّاني الجلاسي الوائلي، وتداولهُ ذريتُه من بعده.. ويعرفون بآل حمد بن رشيد.. وكثروا وقويتْ شوكتهم وكبر شأنُهم حتى امتدتْ أيديهم على مَنْ حولَهم في هذا الوادي، وأرادوا استخلاصَه لأنفسهم.. وكان هذا الوادي قبل للقَواوِدَة من سُبَيْع، فأخذه الهَزَازِنَة منهم سنة (١٠٤٠ هـ)، فتركوا بلدة (نَعَام) تحت نفوذهم واختاروا السكنى في (الحَرِيْق) فبعثوه وسكنوه[(٢)].

ومن مساكن (هِزَّان) (المَجَازة) في أسفل (حوطة بني تميم) بعدَ أن يلتقي الواديان الكبيران (بُرَيْك) و(نَعام)، وكانتْ بلدة عامرة ذات شأن فبادت الآن.. وكان فيها يومٌ من أيام العرب، وفيها أيضاً الوقعةُ الكبيرة بين (نَجْدَة بن عامر الحنفي) الثائر باليمامة في عهد عبد الله بن الزبير، التقى هنالك مع جيش عبد الله بن الزبير فهزم الجيش الزبيري.

---

(١) مادة حريق، وقد نقلنا معظم هذا النص المطول لأهمية المكان، ومجهوليته لدى كثير من القراء.

(٢) كذا في معجم اليمامة، مادة (الحريق) وفيه إبهام لم يتضح لي.

وقال الهمداني: ومن جانب اليمامة الآخر قريةٌ يقال لها: (المجازة)، بها بنو هزان، من عنزة، وإلى جانبها قريةٌ يقال لها: (مَاوَان) بها بنو هزان، وبنو ربيعة، ناس من النمر بن قاسط.

ومن منازلهم: (بِرْك) و (نعام) وهما البركان أهلهما هزان وجرم.. ومن منازلهم (شهوان) وهي قريةٌ بجبل قرب المجازة.. ومن منازلهم (العلاة) و (العلية) لهم ولبني جشم والحارث بن لؤي:

أتتك هزانك من نعامها ومن علاتها ومن آكامها

ولقوة بني هزان وَمنعتهم التجأتْ إليهم بعضُ البطون والأسر من القبائل الأخرى، كبني الحارث بن لؤي من قريش، وكذلك فقد حالفتها بعض القبائل، كقبيلة (جَرْم) من قضاعة، فقد اختلطت معها في مساكنها وجاورتها.. وكذلك أسرة (آل حُسَيْن) الذين ينتمون إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولا يزالون في جوارهم بنعام، وهم من بقايا بني الأخيضر العلويين، حكام اليمامة في القرنين الثالث والرابع الهجريين.. ومن هزان أعلام في الجاهلية والإسلام كسعدانة بن العاتك، وعبادة بن شكس فارساً شاعراً، وعبد الله بن ديسم، والسوا بنت الأعسر بن معاوية ابن وائل بن هزان، من النسوة اللاتي كان طلاقهن إليهن، ومنهم أبو روق المحدث.

إلى أن يقول:

ولهم أخبارٌ تاريخية نشير إلى بعضها هنا:

تزوج أعشى قيس بن حنيفة الشاعر امرأة من هزان فلم يرضها، وأتاه قومها يطلبون طلاقها فطلقها بقصيدة، منها:

أيا جارتي بِيني فإنك طالقه كذاك أُمورُ الناس غاد وطارقه
وبِيني حصانَ الفرج غيرَ ذميمه وموموقةً فينا كذاك ووامقه
وذوقي فتى قوم فإني ذائق فتاة أناسٍ مثلما أنتِ ذائقه

لقد كانَ في فتيانِ قومك منكح بشبان هزان الطوال الغرانقه

قال الإمام الجليل سفيان الثوري: طلاق الجاهلية طلاق الإسلام، وساق القصة والأبيات.

وقد أسر بنو هزان الحارثَ بنَ ظالم المري أحد سادة العرب في قصة يطول ذكرها.. (انظر خبرها في الأغاني).. وكذلك قتلوا حيانَ بنَ عتبة بن جعفر بن كلاب الذي يقول فيه لبيد:

وصاحب ملحوب فُجِعْنَا بموته وعند الرداع بيت آخر كوثر

وقبره كان معروفاً باليمامة.

وحصل بين أحد شعرائهم وبين جرير الشاعر مهاجاةٌ حملت جريراً على هجاء (هزان).

ومنهم أم ثواب الهزانية صاحبة الأبيات المشهورة في العقوق، قالتها في ابن لها عاق:

ربيتُهُ وهو مثلُ الفرخ أعْظَمُه أم الطعام، ترى في جلده زغبا

حتى إذا آض كالفحَّال شذَّ به أباره ونفى عن متنه الكربا

أنشأ يمزق أثوابي يؤدبني أبعد شيبي عندي يبتغي الأدبا

وانقادت (الحريق) لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية مبكرة، فلقد ذكر المؤرخون أنه في سنة (١١٨٨ هـ) قدم الدرعية محمد ابن رشيد الهزاني، صاحب حريق نعام، وأعلن انقياده وإيمانه بالدعوة.

هذا ولا ننسى أن عمارةَ الهزازنة للحريق وأخذهم إياها من سبيع، أن هذا لم يكن أولَ نزولِهم في هذه المنطقة، بل كانوا أهلَها من قبلُ، ومنذ العهد الجاهلي، ولكن الدنيا دُوَل وإقبالٌ وإدبار، ويوماً لقوم وغداً لآخرين، فهم قد استعادوا نفوذهم وسكناهم بها لأنهم نزلوها ابتداء من هذه السنين المتأخرة.

والحريق الآن بلدةٌ ناهضة فيها مدارس ومرافق حكومية وإنتاج زراعي جيد، ويصلها بالرياض طريق معبد، مسافته بينهما حوالي (١٧٠) كيلًا، وتقع جنوبَ الرياض مع ميل قليل إلى الغرب.

انتهى ما اخترناه.

حِزام: بلفظ ما يُحتزم به.

حلة أبي حزام: مزارع ونزل على طريق الخرج من الرياض.

الحَشْرَج:

وادي الحشرج، يجاور وادي الخُمْرَة من الجنوب، جنوب بلدة تربة.

حَضَنٌ:

جبل ضخم شرق الطائف يرى من تربة والخرمة، ويراه من يسير في الطريق من الطائف إلى نجد على يمينه، تسيل منه في أكثر الاتجاهات أودية عظيمة، فيها آبار ومياه، وفي أعلاه فرعة مستديرة وخشارم كالمجاهل، وكانت قبيلة البقوم تتحرز فيه عند قيام حرب بينها وبين جاراتها، فتجد فيه الماء والكلأ. ومساحة جبل حَضَن أزيد من عشرين كيلًا في كل اتجاه، ولا يزال ملكاً لقبيلة البقوم، وهم سكانه اليوم، وقد يُسمى ضلع البقوم لاشتهاره بهم[1].

وفي معجم البلدان:

بالتحريك، وهو في اللغة العاج: وهو جبل بأعلى نجد، وهو أول حدود نجد، وفي المثل: أنجد من رأى حضناً، أي من شاهد هذا الجبل فقد صار في أرض نجد، وقال السكري في قول جرير:

لو أن جمعَهُم غداة مُخاشن ... يرمى به حَضَن لكاد يزول

---

(١) معجم معالم الحجاز: حضن، وللبحث هناك بقايا.

حضن: جبل بالعالية، ومخاشن: جبل بالجزيرة.

قلت: وليس حضن قريباً من نجد، ولكنهم ضربوا المثل: (أنجد من رأى حضناً) على التغليب، أي قارب نجداً، كقولهم: القايلة، القايلة لمن يستحثونه على السير في الصباح! أي أدركتك القائلة، ولمَّا تبلغ ما تريد.

الحفائر: كجمع حفيرة.

قُريَّة صغيرة على الطريق بين تثليث وخميس مشيط، على (٧٦) كيلاً من تثليث. فيها مدرسة.

الحُفيِّرة: تصغير حَفِيرة، وبالتشديد.

قُريَّة لآل ابن درعان من النفعة، على الطريق بين مكة والرياض، فيها مسجد ومحطات وقود، تبعد شرق ظلم قرابة (٣٥) كيلاً.

الحُفَيِّرة (أيضاً): أوله حاء مهملة، وبالتصغير المشدد ـ تصغير التحقير ـ.

قُرَيَّة على الطريق من (صَمَخ) إلى بيشة، شمال صَمَخ بحوالي (١٣) كيلاً، فيها محطات لوقود السيارات.

حَلْبان: فعلان من الحليب، أوله مهملة.

وادٍ فحل من أودية عرض القويعية (عرض باهلة قديماً)، فيه شجر وزراعة وله روافد متعددة، ويسمى أعلاه: وادي عُصَيل، وتبعد البلدة (٣٠٠) كيل عن الرياض إلى مكة، وعن ظلم (٢٤٧) إلى الرياض.

وقامت فيه اليوم بلدة، أخذت تتقدم، فيها كل ما في مثيلاتها من مصالح المجتمع: مساجد ومدارس ومحكمة وغير ذلك، وقد وصفناها في متن الرحلة.

وذكر ياقوت (حَلْبَان) فقال: (حَلَبان): بالتحريك، قال ابن زياد: من مياه بني قشير، قالت العرب: تروَّ فإنَّك واردُ حَلَبان.

ثم يقول: ذلك أن حَلَبان قليل الماء خبيثه، وهو لبني معاوية بن قشير.

قلت: يبدو أن الصواب (حَلَبان) بالتحريك غير أن الناس اليوم يسكنون لامه، وفي متن الرحلة مناقشة مع أهله. أما الماء فقد توفر اليوم في حلبان.

الحِلَّة: بلفظ مثيلاتها من مدن الحلة في العراق ومصر.

هي بلدة متقدمة في حَوْطة بني تميم، جنوب قاعدة الخرج على نيف و(١٠٠) كيل.

الحُلُوة: ضد المرة.

إحدى قرى حَوْطة بني تميم، وهي من أكبرها وأعمرها.

حَلِي: بفتح الحاء المهملة وكسر اللام، ثم ياء مثناة من تحت، آخره.

وادٍ من أودية تهامة الفحول، بل هو أكبر هذه الأودية ما بين وادي الحمض ومور. والحديث عنه يستلزم العديد من الصفحات، فانظر بحثه الموسع في كتابي (بين مكة واليمن).

حَلِيمة: بلفظ اسم المرأة.

وادٍ يسيل من جبال الكلاب شرق وادي (طَرِيب) ثم يجتمع مع وادي نعام (نعام تثليث) فيكوِّنان وادي (سَمَارة)، ويذهب إلى جهات وادي الدواسر.

الحُمَار: بلفظ الحيوان المعروف.

حزم أسود منقاد من الشمال إلى الجنوب، يفزره الطريق بين مكة والرياض على (٥٠٠) كيل من الرياض، ويبعد (٣١) كيلاً من بلدة (ظلم)، تخرج منه حزوم سود أقل منه، وتسيل منه أشعب عديدة، وهو في ديار عتيبة.

وفي متن هذه الرحلة أوفىٰ من هذا، فانظره إن شئت.

الحُمْرة: من اللون الأحمر.

جبال حمراء اللون تشرف على بلدة تثليث من الغرب، إذا كنت في بلدة تثليث رأيت من يقف على تلك الجبال، فيها قرى عديدة تسمى بأسماء أهلها من آل جَمَل من قحطان.

حَنْجَران: على زنة فَعْلَلَان من الحنجرة.

رمل مستطيل شرق بلدة الروضة - روضة رنية - يمر بطرفه الغربي الطريق المزفت، ثم يمتد شرقاً فاصلاً بين واديي بيشة ورنية، فإذا قصَّر اجتمع الواديان في الفرشة، فإذا فاض ماء الفرشة فاض في وادي الدواسر.

وادي حَنِيفة:

وادٍ فحل من أودية اليمامة، مسمى بأهله - في الزمن المتقدم - وهم بنو حنيفة بن لُجَيم من بكر بن وائل، من ربيعة بن نزار.

كانوا سكانه وزراعه إلى عهود متأخرة، وهو وادٍ كثيرة مياهه وقراه، يسمى (العرض)، ويقال: (عرض بني حنيفة).

جاء في كتاب الرحلة النجدية:(١)

وادي حنيفة: وادٍ فحل من أودية اليمامة كثير المزارع والقرى، خَضِر نَضِر دائماً وأبداً.

يأخذ أعلى مساقط مياهه من الصُّفر الواقعة غرب بلدة سدوس، شمال غربي الرياض، ويأخذ معظم روافده من جبل «طُوَيق»، تلك السلسلة التي تمر غرب الرياض ممتدة شمالاً موغلة إلى مدى بعيد.

---

(١) ص ٩١.

ويجري وادي حنيفة باتجاه الجنوب الشرقي في تعرج وكثرة روافد مما جعله أبداً ريان مرجعاً، وتتجمع روافده العلى في الحيسيات «الأحيسي»، المارة معنا فيما تقدم، ثم يمر بالعيينة فالجبيلة، حيث يأتيه من الشرق وادي عقرباء، ثم ينحدر إلى الملقى حيث تجتمع فيه ثلاثة أودية: حنيفة نفسه، والملقى المسمى به المكان، والعمارية، ثم ينحدر في تعرج إلى الدرعية، ثم يستمر إلى أن يمر بصيّاح وعُتَيِّقة، فيمر غرب الرياض، وعليه جسر يعتبر المنصف بين أعلاه وأسفله، كما يقول ابن خميس، وقبيل الجسر يكون قد رفده من الغرب وادي نمار: وادٍ عذب الماء أجريت مياهه إلى الرياض، ثم يستمر الوادي فيأتيه وادي الوتر من اليسار فيمر غرب قرية منفوحة، ثم ينحدر حتى يجتمع بوادي لحاء في حائر سُبَيع، ثم تذهب مياه تلك الأودية، إذا أجمعت، متجهة شرقاً مندفعة فيما يسمى بوادي السهباء المار بمدينة الخرج، والذي يعود الفضل إليه في كثرة مياه الخرج حيث أنه مجمع أودية ذات سيول عظيمة. وكان وادي حنيفة يعرف بـ «العِرْض» ويعرف أيضاً بالباطن.

الحَنِيَّة: أما من الإنحناء، أو حنيَّة الماشية ونحوها، وهي (الزربة).

وادي الحنية: وادٍ يأتي من سلسلة (الجبيل) من شرقيها ثم يصب في البدع، بالقرب من قاعدة الخرج، شمالها.

حُوَال: حاء مهملة مضمومة، وبعد الواو ألف فلام.

وادٍ صغير جنوب وادي الخُمْرة على الطريق المرفّت المتجه جنوباً من بلدة تربة.

حَوْطَة بني تميم: الحوطة والحائط بمعنى، والمقصود ما حوطت عليه واحترزته لنفسك.

وحَوْطة بني تميم بلدة عامرة على نيف و (١٠٠) كيل من قاعدة

الخرج جنوباً إلى الغرب، وهي قاعدة ما حولها، منسوبة إلى بني تميم القبيلة العربية الشهيرة، وهي ذات مياه وزروع وعمران، تحيط بها القرى العديدة، وفيها المدارس من كل مستوى: بنين وبنات، وبها مؤسسات عديدة، ولا زال سكانها من بني تميم ومن خالطهم، والحوطة أرض واسعة ولها قاعدة اسمها (الحِلَّة)، تقع على يمين الطريق المتجه جنوباً. ويجتمع في الحوطة واديان فحلان، هما: وادي نعام ووادي بريك، مما أكسبها الرواء والخصب.

ونأخذ من معجم اليمامة[١]:

تقع في ملتقى وادي (نعام) و(بُرَيك)، ومنها يجتمع الواديان فيشكلان (وادي المجازَة) فرياض (السّوْط)، ثم تعانقها أودية (عُلّيَة) (العَلاة) فتدفع في الخرج.. وتسمى أيضاً (حوطة الجنوب) تمييزاً لها عن حوطة سدير في شمال اليمامة.

وفي إقليم الحوطة بلدان وقرى وقاعدتها (الحِلَّة)، ومن بلدانها: (الحُلْوَة)، و (القُوَيْع)، و (العِطْيَان)، و(آل مَرْشَد)، و (آل حُسَيْن)، و (مُصِدّة).. ومن مناهلها: العُبَيْديّات، والحَيّانيّة، والحُفَيِّرَة، والقَطَارُ، والبَكْرة، وحَفَاير المَصَارير، وحفاير آل بُرَيْك، وبَدايع المصَاريْر، وبِعَيْجَة، وطِلْحَة، وفَيْضَة أم رُكْبَة، ونَسَلَة، وروضة مَدْحيّات، والوَرْهِيّة..

وقد شمل الحوطةَ التقدمُ الذي شمل مدنَ المملكة، ففيها مدارس متعددة للبنين والبنات ومعاهد علمية، وفيها تمثيل لشتى وزارات الدولة ومصالحها، ويربطها بالرياض وبالجنوب طريق معبد.. ويطالبون الآن بإقامة سد أو سدين في (وادي نَعَام) و(وادي بُرَيك) من أجل تخزين المياه الجوفية وتوفرها لنخيلها الباسقات ومزارعها الرحبة.. وتبعد عن

---

(١) الحوطة.

الرياض حوالي مائة وخمسين كيلاً شطر الجنوب بعد الخرج وقبل الأفلاج.

الحَوْمِيَّات: جمع حَوْمِيّة، بالحاء المهملة، وبعد الميم مثناة تحتية وآخره مثناة فوقية.

قرية حديثة متسعة تكثر فيها ورش إصلاح السيارات، وفيها مساجد ومدارس في أرض بيضاء نزهة، تحيط بها هضاب مغر، تدعى الحوميات، وأصل الاسم لبئر تدعى الحومية جنوباً من هذا المكان فأعطت اسمها لهذه الهضيبات المحيطة بالقرية، فلما عمرت القرية أخذت اسمها من هذه الهضاب.

تقع بلدة الحوميات على قارعة الطريق بين مكة والرياض (الطريق الجديد) وتبعد عن ظلم (٨٢) كيلاً بينه وبين حَلْبان.

الحَوِيَّة: مؤنث الحوي، وهو عندهم أن تضع يدك على شيء لا مالك له فتقول: هذه حويتي.

بلدة بجوار الطائف على الطريق النجدية بينها وبين الطائف، شمالاً شرقياً، حولها المزارع والقرى، وفيها ـ بالقرب منها ـ المطار المشهور بمطار الحوية.

الحَيَازِين: بالحاء المهملة، ومثناة تحت.

قرية للدواسر، قرب الخماسين مما يلي الشمال الشرقي، باسم أهلها (الحيازين) من الدواسر.

حرف الخاء

الخاصِرة: بالخاء المعجمة، ثم صاد مهملة، وراء مهملة أيضاً، مؤنثاً.

هذه الخاصرة الجديدة: بلدة صغيرة على الطريق بين مكة والرياض ـ الطريق الجديد ـ تبعد عن الحوميات (١٢٠) كيلاً إلى جهة الرياض، وقبل حلبان مما يلي مكة على (٤٥) كيلاً، وهي بين ضعاضع جبال سود من عرض باهلة، الذي صار يسمى عرض (القويعية)، وهي خلاف بلدة الخاصرة المشهورة، فتلك شمالاً وراء الجبل (جبل الخاصرة)، ولم يمر الطريق السريع بها، فانتقل بعض أهل تلك إلى هذه. وبقية القول في المتن المتقدم.

الخاصرة (جبل الخاصرة):

جبل أشم مستطيل من الشمال إلى الجنوب، يشرف على بلدة الخاصرة الجديدة من الشمال، ويمتد إلى بلدة الخاصرة القديمة شمالاً.

وقال ابن جنيدل:

الخَاصِرَة: بخاءٍ معجمة مفتوحة، بعدها ألف ثم صاد مهملة بعدها راءٌ مهملة مفتوحة ثم هاءٌ: ماءٌ قديم، يقع في جنوب جبل العلم، شمالاً من جبل الضينية، وجنوباً من ماءِ التمامية، وجبل العَلَم يقع جنوب جبل النير، وفي ناحيتها معدن ملح معروف، وقد هاجر فيها عباس بن زيد السميري، أَمير قبيلة السُّمرَة من عُتيبة، في أوائل عهد الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل سعود ثم ارتحل منها وهجرها، وفيها آثار قرية قديمة، داثرة يقال إنها لقوم من هُتيم سكنوها فترة من الزمن ثم ارتحلوا منها.

وفي عام ١٣٦٧ هـ أسس الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ فيها مركزاً حكومياً للسيطرة على معاقل اللصوص في العَلَم وفي دَمْخ، ونمت بجواره قرية، وسكانها من قبيلة الشَّيابين من عُتيبة، وفيها الإمارة والمحكمة ومركز البرق والبريد، وفيها مدرسة ابتدائية للبنين، وهي من حيث الجهة تقع غرباً من بلدة الشَّعْراءِ وجنوباً شرقيّاً من عَفِيف.

الخالدية:

قرية من قرى الأفلاج قرب ليلى. وانظر المتن.

خَبُّ الرِّيم: الخب عند أهل هذه الديار الفضاء الذي يحدث بين سلاسل الرمل.

وخبُّ الريم هذا يصادفك بعد أن تتجاوز الجله متجهاً إلى الرياض، فيه مزرعة كبيرة، تدعى (الخالدية)، ومن هذا الخب تصعد نفود قنيفدة.

خَبِيَّة: بالخاء المعجمة المفتوحة، ثم موحدة فمثناة تحتية مشدداً، آخره هاء.

مكان من تثليث تجتمع فيه روافده ثم تسير وادياً واحداً إلى وادي الدواسر، فخبيَّة هي مجمع أسيال بعد بلدة تثليث أي أسفل منها، وفي الشمال منها أيضاً.

تجتمع في خبيّة هذه ثلاثة أودية كبار تأتي من الجنوب، فأولها، من جهة الشرق، وادي تثليث، ثم يليه من الغرب وادي طَرِيب، ثم يليه من غربيه وادي الثَّفِن، ثم يطلق عليها اسم تثليث إلى وادي الدواسر.

خَدَّان: كأنه مثنى خَدّ.

وادٍ في السهل بين بيشة ورنية، يجتمع مع وادي السَّلِيل ثم يصب في وادي (الدَّيَّة).

الخرائق: كجمع خريقة، وهي البئر التي خرق قُفُّها فأفضت إلى الماء الغزير.

محطات وقود وبقالات ومساجد، مما يطلق عليه قرية، لقيناها بعد الخاصرة بـ (٤٢) كيلاً على طريق الرياض السريع، وقبل حلبان بثلاثة أكيال.

وكان اشتبه علينا اسمها نتيجة اللهجة المحلية، هل هي الخرايق أم الخرائج - بالجيم - فما الفرق بين التسميتين؟ الأولى قد شرحناها آنفاً، أما الثانية فهي الآبار التي يوصل بينها في الحفر من تحت الأرض - كالعيون - حتى يخرج ماء بعضها في بعض. وقد أكد العارفون أن هذه القرية اسمها (الخرايق) بالقاف.

وانظر متن هذه الرحلة ففيه أوفى من هذا.

الخَرج: بالخاء المعجمة المفتوحة، وراء مهملة ساكنة ثم جيم.

إقليم خصب كثير المياه، واسع الأرجاء من منطقة اليمامة. تحده شمالاً منطقة حجر اليمامة، وجنوباً منطقة الأفلاج والبياض، وشرقاً الدهناء، وغرباً سراة جبل طويق.

وهو كثير القرى عامر المدن، وأكبرها القاعدة، وتعرف بالسَّيْح، ومن قراه المشهورة: قرية اليمامة، وقرى عديدة.

جاء في معجم اليمامة بحث مستفيض عن الخرج[1]، أخذنا منه:

ومنطقة الخرج أخصب إقليم في اليمامة، وأوسعُها رقعةً، وأكثرها ماءً، وأشهرها إنتاجاً. . تلتقي فيها أوديةٌ عظامٌ من أكبر أودية العارض وأبعدها مدًى. . أدركنا بها عيوناً جارية تفيض على هذه المنطقة وتشبعها نماءً وخضرةً ونضرة. . هذه العيون كأنها بحيرات لا يُدرك لها قعر، ولا

(١) معجم اليمامة: الخرج.

يغيض لها معين، إذا توسطت الشمس كبد السماء وألقت أشعتَها على هذه العيون الساجية، شاهدت تحت الماء منظراً عجباً من أنوف جبال بارزة إلى مغارات موحشة وسراديبَ مظلمةٍ وعمق لا نهائيٍّ تتكسر أشعةُ الشمس دون مداه.. فسبحان من له الخلق والأمر..

هذه العيون هي: (سمحة) و (عين الضلع) و (أم خيسة) و (خفس دغرة) وعين (فرزان).. وحينما أراد جلالةُ الملك عبد العزيز تطويرَ الزراعة في (الخرج) اقتضى المشروع مضاعفةَ قدرِ الماء في المنطقة لكي يغطي التوسعَ الزراعي، فوضع على بعض هذه العيونِ مضخاتٍ ضخمة تسحب منها الماء، فبعدَ زمنٍ انحدر الماء نتيجةَ ذلك، إلى عمق يقارب عشرين متراً ثم استقر ولا يزال هكذا.

لذلك فإن الخرج منطقةٌ زراعيةٌ رحبة بها ألوفُ النخيل والأشجار، وتنتج الحبوبَ والخضروات والفواكهَ والأعلافَ.. ولولا النكسَةُ التي أصيبتْ بها زراعتُنا بسبب فقرِ اليدِ العاملة لكان لزراعةِ الخرج شأنٌ في هذا الزمن..

يعتبر إقليم الخرج من منطقة (العَارض) في قلب (اليمامة)، ويحدها شمالاً جبالُ (المَغَرَة) وطرف (جبل الجُبَيْل) الجنوبي و (بُرْق أم الشَّعَال) وجبالُ (نَسَاح) الشمالية و (العَفْجَة) ومدافعُ (التّرَابي) و (النَّخْش)، ويحدها شرقاً (الدَّهْنَاء)، ويحدها جنوباً (البَيَاض)، ويحدها غرباً منحدرات جبل (عُليّة) الشرقية، وتبلغ مساحتُها طولاً، من الغرب إلى الشرق، حوالي مائتي كيل في خمسين كيلاً في المتوسط، وتبعد عن الرياض أكثر من ثمانين كيلاً، وتقع جنوبهَا بميلٍ قليل إلى الشرق، وأرضُها رمليةٌ طينية يكثر فيها شجرُ الحمض والسلم والعشر ونباتات الروض، وتستقبل من الأودية فحولَ أودية (العارض) فيصب فيها من الشمال وادي (التُّرابي) ووادي (الحَنيَّة) ووادي (حَنِيْفَة)، ومن الغرب وادي (نَسَاح) ووادي (بَلَاجِيْن) ووادي (العَيْن) ووادي (ماوَان) ووادي

(تُمَير) ووادي (أُثَيْلان) ووادي (السَّوط)، ومن الجنوب وادي (العَقِيْمي) ووادي (الثّلَيْما).. وعدا هذه الأودية شِعابٌ وروافدُ تعزز هذه الأوديةَ من جميع الجهات ما عدا الناحيةَ الشرقيةَ التي هي الدهناء، وهذه الأودية تنتظم الخرج انتظاماً ثم تفضي إلى رياض الخرج المشهورة (السَّهْبَاء) و(البِجَادِيّة) و(التَّوضِحَيّة)، وكانت سيولُ هذه الأودية سابقاً، إذا سالتْ كلُّها وأفعمت هذه الرياض، افترعت الدهناءَ وأخذت مع وادي (حَرَض) وانحدرت حتى تصبّ في الخليج العربي قربَ (سَلْوَى)، ومجرى هذه السيول باقٍ معروفٌ وهو مثل مجرى وادي (الرَّمَة) سابقاً حينما يفترع الدهناءَ ويأخذ مع وادي (الأجْرَدِي)، فوادي (البَاطِن).. ويشتمل الخرجُ على عدة مدن وقرى وهجر ومناهل.. فمن مدنه (السَّيْح) وهو قاعدةُ الخرج و(الدّلَم)، ومن قراه (السُّلَمِيَّة) و(اليمَامَة) و(نَعْجَان) و(الهَيَاثم) و(المُحَمَّدِي) و(الضُّبَيْعَة) و(السَّهْباء) و(العِذار) و(العَيْن) و(الخَفْس) و(الحُرَيْدِي) و(البَرّة) و(البِدْع) و(الأرتُوَازَات) و(الوُسَيْطِي) و(الهَواشِلة) و(زُمَيْقَة) و(فرزَان) و(المَصاريْر) و(مَاوَان) و(المَحَطَّة) و(الفَرْشَة).

الخُرْمَة: وهم يعنون بها عضواً من الذبيحة من خيار اللحم فأطلقوه على البلدة.

بلدة حديثة تقع في وادي تربة أسفله، وعندها يسمى الوادي: وادي الخرمة، ويسمى أيضاً وادي سُبيع، قبيلة مشهورة، تقع الخرمة على الضفة اليسرى للوادي، شرق الطائف بما يقرب من (١٨٠) كيلًا على طريق غير قصد، وهي في وسط الصحراء، ولولا هذا الوادي الذي يمر بها ما وجد فيها من حياة، ويربطها بالطائف طريقان كلاهما غير قصد، وكل منهما يبلغ (١٨٠) كيلًا، ولو مُدَّ الطريق قصداً إلى الطائف لنقص كثيراً. وسكانها، في الأصل، أحياء من قبيلة سبيع، ولكن يخالطهم أناس منهم: فرع من الأشراف العبادلة (آل خالد بن لؤي) ومن يليهم، وفرع من الأشراف الحُرَّث، وأخلاط من تجار وغيرهم. وانظر ما تقدم في (تربة).

ذو خشاب: كأنه مشتق من الخشب، وبالتخفيف.

وادي ذي خشاب يطؤه الطريق من بيشة إلى رنية على قرابة (٤٦) كيلاً من بلدة الروشن، يتجه شرقاً فيصب في بيشة.

خشرم: والخشارم عندهم الجبال الخُشُب.

جبل مشهور في ديار سُبيع، على الطريق من رنية إلى بيشة، يبعد قرابة (٥٦) كيلاً من رَنْيَة، حائز في الخبت عما حوله.

خَشْمُ ذُوَيْبَان: انظر ذويبان.

وادي الخليج: خاء مفتوحة، وبلفظ الخليج من البحر.

وادٍ من وافد وادي تبالة، يسيل فيه من شقه الأيسر إذا تجاوز كلّاً من بلدة تبالة والثنية وشُديق، وتأتي أعاليه من الشفا والحرقان شمال بلدة تبالة.

آل خُلَيْف:

قرية باسم أهلها، في وادي الدواسر بين تمرة والخماسين، يمين من أمَّ الخماسين.

الخماسين: خاء معجمة وميم، وبعد الألف سين مهملة، وبصيغة الجمع.

مدينة آخذة في التقدم الحثيث، هي قاعدة وادي الدواسر وأم قراه، ويتبعها المئات من القرى والمناهل، وتتوسط وادي الدواسر. وتكاد تجمع هذه المدينة كل قبيلة الدواسر من الناحية الإدارية، وتتبع إمارتها إمارة الرياض، فيها تجارة رائجة وحرف ومدارس كثيرة ومساجد، وفرع من هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل دوائر الدولة ومصالح المجتمع، وترتبط بطريق مزفت مع كل من الرياض وخميس مشيط، وإذا سرت على الطريق بين الرياض وعسير، فليس هناك سوى خمس مدن بمعنى مدينة، والخماسين واحدة منها.

ويغلب عليها عند عامة الناس اسم (وادي الدواسر) لأنها قاعدته المشتهرة، والوادي يشملها ويشمل غيرها من القرى والمناهل والزراعات وتبعد بلدة الخماسين عن الرياض (٧٠٠) كيل، وهي مسماة باسم أهلها.

الخُمْرَة: بضم الخاء المعجمة، وبعد الميم راء مهملة، ثم هاء.

قرية على يمين الطريق المزفت الخارج من بلدة تربة جنوباً، وكانت على الطريق القديم الترابي وطريق القوافل بين تربة والطائف.

إذا سرت اليوم على الطريق المزفت المتجه من بلدة تربة جنوباً، تلقى واديها على (١٩) كيلاً، يسمى وادي الخُمْرة نسبة إلى تلك القرية.

خميس مشيط:

مكون من كلمتين: الأولى (خميس) باسم يوم من أيام الأسبوع، والثانية (مشيط): تصغير مشط، وأصل التسمية (خميس ابن مشيط).

كانت أكبر سوق في بلاد شهران، تقام كل خميس في الأرض التي يسيطر عليها آل ابن مشيط، من كبار شيوخ شهران، وتقدمت في العصر الحديث تقدماً هائلاً - كما ترى في متن هذه الرحلة - حتى لحقت بمدن الدرجة الثانية، وليست بعيدة عن الدرجة الأولى لولا أنها تابعة لجارتها (أبها)، تبعد عن الرياض (١٠١٧) كيلاً مقاسة من عداد السيارة، وانظر متن هذه الرحلة.

خَمِيس بَنِي زَيْد:

سوق بين أبها والقرعاء على الطريق، يقام كل خميس في أرض بني زيد من عسير.

خَيْبَر: بلفظ اسم خيبر البلدة الشهيرة في الحجاز شمال المدينة.

قرية كبيرة في بلاد شهران على وادٍ يعرف بها (وادي خيبر)، وهو جزء من وادي المُسَيرق، تحيط بها الحرار السود، وفيها نخل وزراعة

وحصون قديمة، وهي تشبه خيبر الحجاز في تكوينها الجغرافي من جميع الوجوه، ولكن بشكل مصغر.

تقع خيبر هذه شمال خميس مشيط على قرابة (٦٠) كيلاً، وتعتبر خيبر هذه قاعدة ما حولها من القرى، فيها مدارس، ومعظم الخدمات الأمنية والتعليمية، كالإمارة والشرطة، وبها جوامع.

خَيْبر:

البلدة المشهورة شمال المدينة. انظر معجم معالم الحجاز.

خيران: فعلان من الخير، بالمثناة تحت.

قرية تابعة لإمارة السُّليِّل، تبعد عنها (٢٢) كيلاً غرباً إلى الجنوب، بها زراعة ونزل للدواسر، القبيلة المشهورة.

حرف الدال والذال

جبل الدَّايَة: بلفظ الداية، المرأة المعروف عملها.

أحد جبال سلسلة صِهر الجنوبية الشرقية.

الدغمية: دال مهملة وغين معجمة مفتوحة.

قرية كبيرة على الضفة اليسرى لوادي الخرمة، يمر بها الطريق بين رنية والخرمة على (٧) أكيال من الخرمة، (١٣٧) كيلاً من رنية، لها سوق قروي لا بأس به وزراعتها حسنة مع شكوى أهلها من شح الماء، أهلها بنو عمر من سبيع[(١)] وشيخها اليوم شباب بن جروة العمري، عمر سبيع، له فيها مسجد تقدم فيه الجمعة.

الدُّلَمُ: وكأنها جمع دلماء أو دُلمىٰ.

منطقة زراعية عامرة من إقليم الخرج، تقع على قرابة (٤٣) كيلاً جنوب غرب مدينة الخرج الرئيسة (السيح)، فيها حركة نشطة للخارج والداخل، ونهضة ونشاط زراعي وعمراني وتجاري.

فيها مساجد عامرة ومدارس، ويحيط بها سهل واسع كثير المياه الجوفية، مما يعطيها مجالاً لا محدوداً للتوسع العمراني والزراعي، وهي امتداد لإقليم الخرج، يحف بها من الشرق الجنوبي (البياض)، ومن الغرب جبال العارض، ثم يمتد جنوباً إلى حوطة بني تميم.

(١) انظر معجم قبائل الحجاز.

دَمْخٌ: دال مهملة، وميم ثم خاء معجمة.

جبل ضخم من جبال شوامخ مناصيب، عبارة عن سلسلة مقاطعة للطريق بين الخاصرة وحلبان قرب المنتصف، يضرب لونها إلى الحمرة، وهذا هو أضخمها يدعه الطريق يساراً، وآخر يقابله من الجنوب، يدعى (الفَرِيدة)، هي جبال جرد قليلة النبات، حمر أو تضرب إلى الحمرة، قيل إن في دمخ مياهاً كثيرة، وسكانه اليوم الشيابين.

وذكر ياقوت دمخاً ولكنه ركز على الأقوال التي جعلته في ضرية، ويبدو أنه وهم، وأن دمخاً المشهور هو هذا.

دمة: دال وميم فهاء، مؤنث: أوله مكسور.

هما دمتان: جبلان لونهما واحد، بين الشقرة والحمرة، فلعلهما سميا بذلك، أحدهما يشرف على بلدة السيل الكبير من الغرب ـ كما وصفناه في متن الرحلة ـ والآخر في الطائف على طريق الخارج إلى نجد[1].

دَنَن: دال مهملة، ونونان، محركاً على وزن (قَنَن).

بئر على الطريق بين صمخ ومدينة الروشن في بيشة، عندها جسر يعبر على وادي هرجاب، وليس بعدها حياة على الطريق إلى أن تهبط الروشن.

الدوادمي: كالمنسوب إلى (دوادم).

مدينة في درجة عفيف ـ الآتي ذكرها ـ رأيتها مراراً، وكل ما رأيتها كانت قد تطورت عن ذي قبل.

جاء في الرحلة النجدية:

وعلى «١٢٨» كيلاً من شقراء غرباً وصلنا بلدة الدوادمي، وهي

---

(١) انظر عنهما ـ إنه شئت ـ معجم معالم الحجاز.

تختلف عن مدن اليمامة والقصيم من حيث العراقة والطراز، فليس فيها قصور طينية قديمة الطراز ولا ما يدل على عراقة البلد، ويظهر أنها ظلت محطة للحجاج ومورداً للبادية حتى جاء عصر الآلة، وتيسرت أسباب التحضر فعمرت هذه المحطة، ولها نظائر مثل البجادية وعفيف وظلم.

وتقع الدوادمي في فسيح من الأرض الطينية الصالحة للزراعة، وقد تقدمت زراعياً، ولجودة عنبها شهرة، وفيها سوق عامرة ومقاهٍ كثيرة، ولها إمارة ومحكمة وشرطة ومدارس، ويظهر أن بلديتها نشيطة ذلك أن شوارعها ظهرت نظيفة. وذكرها ابن جنيدل في معجمه فأطال، وخرج باستنتاج بأن اسمها القديم «العِيصَان» ولكن الغريب أن ابن جنيدل يرى أن كلمة «الدوادمي» غير عربية!.

هذا ما قلنا في أواخر القرن الرابع عشر، أي سنة ١٣٩٦ هـ، أما اليوم سنة ١٤١٣ هـ فقد لحقت الدوادمي بمدن الدرجة الثانية، وقال لي أحد أهلها إن بها اليوم نيف و ٢٠ مسجداً بين جامع ودونه، ومدارس ثانوية للبنين والبنات، وكل مرافق المجتمع، كالبلدية والشرطة والمرور والأمر بالمعروف، وغيرها.

الدَّهْنَاء: الرمل المعروف.

من أشهر رمال العرب، وأطيبها مرعى وأعذاها هواء، تخرج من رمل الربع الخالي عند يبرين(١)، ثم تمتد شمالاً فاصلة بين إقليمي نجد والبحرين (قديماً) المعروف اليوم بالأحساء أو المنطقة الشرقية، ثم تأخذ في الميل إلى الغرب إذا تجاوزت إقليم القصيم، ثم تلتقي بها نفود البتراء المعروفة قديماً برمل عالج شمال مدينة حائل.

فالدهناء رمل بين رملين، وفاصل بين إقليمين، ولها ذكر غير خامل في كتب المتقدمين، منها: حبال مشهورة معروفة بأساميها، وهي

---

(١) انظر كتابي: بين مكة وحضرموت: ٢١٤.

تحتضن الأودية النجدية المشرّقة فتروض ماءها، وقد تحبسه، ولولا ذلك ما وجدت هذا الرواء في القصيم والخرج، وما ولاها.

ديار عاد[1]:

لم أجد تحديداً دقيقاً لديار هذه الأمة المبادة، غير أنه أثناء تجوالي في الأنحاء التي جاء لهم ذكر في بعضها، ظهر لي أن ديارهم ربما كانت تشمل ما بين البحر العربي (بحر حضرموت) إلى إقليم الأفلاج، حيث كانت بنو عمهم: طسم وجديس، وأن ديارهم تشمل ما بين نجران وتثليث، ممتدة شرقاً إلى ديار وبار، التي كانت تشمل معظم الرمل المعروف بالربع الخالي اليوم، والضفاف الغربية للخليج، وقد ورد في مادة (فلج) أنه كان من ديار عاد، وهذا يثبت صحة ما ذهبت إليه.

الدَّيَّة: دال مهملة، وياء مثناة تحت مشددة، ثم هاء.

وادٍ كبير نسبياً بين واديي بيشة ورنية، تصب فيه أودية أصغر منه، من أهمها وادي (خَدَّان) الذي بدوره يأخذ سيول أودية صغار عديدة منها: مبدا النعام، ووادي الظليم.

ذُوَيْبَان: وهو في عرفهم منسوب إلى الذئب، كما نقول: عُليّان، منسوب إلى العلو.

جبل أسمر مستطيل في الأرض، تراه من الطريق إذا سرت في نفود قنيفدة، تؤم الرياض إلى يسار الطريق، يكتنفه رمل (الغُزَيز).

وهم يقولون: (خشم ذويبان) لأن أشكالاً من الجبال تكنع في الأرض فتسمى خشوماً، فيسري الاسم على الجبل كله.

---

(١) عن عاد وأخواتها، انظر كتابي (أخبار الأمم المبادة في القرآن).

حرف الراء:

أبو راكة: أصله أبو أراكة، الشجرة المعروفة.

قرية في وادي ضراء ـ انظره ـ جنوب غربي بلدة تربة، وشرق الجبوب.

الرُّبْعُ الخالي: الرمل المعروف.

جاء في كتاب بين مكة وحضرموت[1]:

في جنوب الجزيرة العربية صحراء قاحلة، تتكون من بحور من الرمال آخذ بعضها برقاب بعض، لا يكاد يوجد فيها مسلك لسالك أو مطرق لطارق، غير مخارم وشقائق لا يعرفها إلا قلَّة من الأدلاء الذين عاشوا في هذه الصحراء فخبروا خفاياها وعلموا مجاهلها، وكم قافلة ضلت طريقها فابتلعتها هذه الرمال، فكان خبرها كخبر القارض العنزي.

يطلق هذا الاسم على ذلك البحر من الرمال المتقدم وصفه، والممتد من شواطىء الخليج العربي الغربية إلى مسافة غير بعيدة من جبال اليمن الشرقية، حيث في الإمكان رؤيته من جبال دهم ومن بيحان، وهذا هو طوله، أما عرضه فمن سفوح جبال حضرموت الجنوبية ومهرة وظفار وعمان جنوباً وجنوباً شرقياً إلى حدود اليمامة الجنوبية ويبرين وإقليم البحرين (الأحساء اليوم)، وتخرج منه عند يبرين أشهر رمال العرب، وهي الدهناء: حيث تمتد شمالاً فاصلة بين اليمامة والأحساء آخذة في الميل إلى الغرب إلى أن تتصل بها النفود (رمل عالج

---

(١) بين مكة وحضرموت: ٢١٤.

قديماً) الممتدة إلى شمال الحجاز قرب تيماء، ويسمى رأسها هنا (نفود البتراء).

متى ولماذا سمي الربع الخالي؟!

لا أجد فيما بين يدي من مراجع ذكراً للربع الخالي، غير أنه من أول هذا القرن معروف بهذا الاسم، ولا أعتقد أنه أُطلق عليه في هذا القرن، ولكن الأحياء، الذين يعلمون هذه التسمية، ينحصرون في قرننا هذا (أي المنصرم تواً ١٤٠٠هـ) أما المتقدمون فيعرفون أجزاء منه بأسماء لا زالت معروفة، ويشيرون في نصوص سوف نراها ـ بعد هذا ـ بأنه أرض مجهولة.

وكي يتضح لنا كيف كانت تعرف هذه المفازة؛ نستقرىء ما وصل إلينا من نصوص، ثم نبحث بعد ذلك في سبب إطلاق كل من كلمتي (**الرُّبْعُ الخَالِي، ووبار**).

وبار:

ذكر «المسعودي» وباراً في خبر مطول في أساطير انتقدها، نستخلص منه ما يأتي: ثم سار وبار بن أميم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه من قومه، فنزل بأرض وبار بالأرض المعروفة برمل عالج[1]، فأصابتهم نقمة من الله فهلكوا.

والعرب، ممن سلف وخلف في الجاهلية والإسلام، يخبرون عن هذه الأرض كإخبارهم عن وادي القرى والصَّمَّان والدهناء والرمل الذي بيبرين وغيرها من الأرضين التي نزلوا فيها، وزعموا أنه ليس بهذه الأرض اليوم أحد إلا الجن والإبل الوحشية.

المؤلف: إن العرب تخبر اليوم عن الربع الخالي ويعرفونه جيداً

(١) ليس هذا الرمل رمل عالج.

ويعرفون موارده إلا أنه منحصر فيمن ينزله كبني مرة، والذين يتوغلون فيه هم أقوام موغلون في البداوة، فأثاثهم لا يكاد يذكر وحاجتهم للماء تنحصر في ماء الشرب ونحوه طيلة شهور الشتاء.

ويبدو أن «وباراً» كانت في عهد الهمداني ـ القرن الرابع ـ معروفة، فهو يقول[1]: **معازف الجن**: من هذه الأرض رمل حوض، ورمل المغْسِل والسُّميرية، ويقال بالكلبين المشرفين على الخرج، وضلع الخريجة من معازف الجن المعروفة، وجن البديّ، والبدي من أمواه الضباب، والبقار وعبقر، وأكثر أرض وبار. وقوله: أكثر أرض وبار، يدل على أنها أرض واسعة.

أما «البكري» فيقول: .. لأن **العمالقة** كانت من اليمامة إلى وبار[2].

والبحث هناك طويل متشعّب، لم أشأ أن أشغل به قارىء هذه الرحلة، فإن شئت فراجعه في المرجع المشار إليه، الصفحات: ٢١٠ ـ ٢٢٠.

رَبَّة: كمؤنث ربّ الشيء، أي صاحبه.

منطقة جبلية، جبالها ضعاضع وأشعب، تمتد شرقاً وجنوباً من الطريق، وسيولها إلى خبت جبجب ثم إلى وادي الدواسر، تبعد عن قاعدة الدواسر (١٣٢) كيلاً، وعن تثليث قريباً من (٥٠) كيلاً.

وحجرة ربة:

قُرَيَّة صغيرة في جبال ربَّة على الطريق العام بين الخماسين وتثليث، تبعد عن تثليث نحواً من (٤٥) كيلاً.

---

(١) صفة جزيرة العرب: ٢٩٩.

(٢) معجم ما استعجم: ١٣٨٩.

رُخيمان: تصغير رخمان، بالراء المهملة والخاء المعجمة.

وادٍ كبير من منطقة تثليث، يسيل من جبال القهر الجنوبية، جنوب شرقي تثليث، ثم يتجه شمالاً فيصب قرب التقاء تثليث بوادي الدواسر.

الرُّزيقيّة: انظر مروان.

رَضَوان: فعلان من الرضا.

بلدة أخذت في التقدم على الطريق بين مكة والرياض، تبعد عن مكة المكرمة (٢٣٢) كيلاً، وعن الطائف (١٣٠) كيلاً، ذكرت في صدر هذه الرحلة، ص (١٥) وذكر أبرقها وواديها.

وفي معجم معالم الحجاز:

رضوان: أبرق ووادٍ بطرف ركبة من الجنوب، مرت به طريق الحجاز إلى الرياض فقامت فيه مقاهٍ سميت قهاوي رضوان، يبعد عن الطائف (١٣٠) كيلاً. يسيل وادي رضوان من الجنوب من جهات حضن فيصب في ركبة عند الطريق، أهله من برقا من عتيبة.

رَغْبَاء: فعلاء من الرغبة.

جبال سود على شكل سلسلة مقاطعة للطريق بين ظلم وحلبان، وتمتد شمالاً وجنوباً مبتعدة بذلك عن الطريق، وهو يخترقها في مكان نحت نحتاً، على قرابة (١٢٠) كيلاً من ظلم.

وجاء في معجم عالية نجد:

رُغَبَا: براءٍ مهملة مضمومة وغين معجمة مفتوحة وباء موحدة بعدها ألف: بلاد واسعة، جبال سود متَّصل بعضها ببعض، فيها شعاب ومسالك ومياه، وفيها برق وأرض دكاك، وجبالها غير عالية، تقع غرباً من العلم، وجنوباً من بلدة عفيف على بعد خمسة وسبعين كيلاً، في أقرب مواضعها، وأبعدها يصل إلى مائة كيل.

وكانت قديماً تدعى نملى، وكانت من بلاد بني أبي بكر، لقريط منهم، وقد تغلب عليها اسم أحد مواضعها، وكان يدعى يرغبا، ثم حذفت ياؤه فأصبحت تدعى رغبا، أما اسمها القديم فانه لم يبق منه إلَّا اسم ماء من مياهها يدعى نملان، نسبة إلى اسمها القديم «نملى»، ومن الملاحظ أن أسماء بعض مياهها لم تتغيَّر إلى هذا العهد، مثل: المحدث وتنضبة، ومياهها لقبيلة المقطة من عتيبة، تابعة لإمارة عفيف.

قال الأصفهاني: ومن مياه نملى، وهي جبال كثيرة وسَطَ دار بني قريط، قال العامري: نملى لنا، وهي جبل حواليها جبال متصلة بها، سود ليست بطوال ممتنعة، وفيها رعي، والماشية تشبع فيها، ثم عدَّد مياهها.

وقال: ومن جبال نملى صُباح وصبح، وقال عن العامري: ومن جبال أبي بكر: دمخ والقشراء، والأبواز وهو من أطراف نملى، ومن نملى يَرغبا.

قال وأنشد حترش:

لقد كان بالضَّمرين والنير معقل وفي نملى والأخرجين منيع[1]

رَغْوَة: وكأنها من رغا يرغو رَغْوة أو رِغوة.

قرية كبيرة عامرة بين تثليث وخميس مشيط، على (١٢٧) كيلًا من تثليث، وهي على فرع من فروع وادي الثَّفِن أحد فروع وادي تثليث الكبار، ترتفع رغوة عن سطح البحر (١٥٠٠) متراً.

الرغيب: بالراء المهملة والغين المعجمة، ثم مثناة تحت، وموحدة، ولم أتبين الشكل.

---

(١) معجم عالية نجد: رغبا. وقوله بضم الراء، ليس له نظائر، فلعله استنتاج من المؤلف.

أما نطق أهلها اليوم فهو (رْغَبَا).

قرية إذا خرجتَ من الدلم جنوباً تراها يمين الطريق.

الرفائع: كجمع رفيعة.

محطة بظاهر الخرج من الشمال، على الطريق بينه وبين الرياض، وهي منطقة زراعية، أقيمت فيها هذه المحطة.

الرقيطاء: كتصغير رقطاء.

منطقة زراعية تكون على يمينك إذا جزعت وادي بيشة باتجاه الطائف.

رَنْيَة: راء مهملة مفتوحة، ونون ساكنة، ثم مثناة تحتية مفتوحة، وهاء.

وادٍ فحل من أودية الحجاز الشرقية، كثير الزراعة، كثير النخل والأهل، أعلاه لغامد، وأسفله لقبيلة سبيع، وسيله يمر على (١٥٥) كيلاً من سيل بيشة إلى الشمال الغربي.

جاء في كتاب (بين مكة وحضرموت):

وادي رَنْيَة: وادٍ فحل من الأودية الشرقية، وقد خاض المتقدمون في تحريف اسمه، فقالوا: رنيّة، بتشديد المثناة التحتية، وقالوا: زبية، بالزاي، والموحدة بعده، وغير ذلك.

وصواب اسمه (رَنْية) بفتح الراء، وسكون النون، ثم مثناة تحت، فهاء.

وكثيراً ما يطلق عليه اسم وادي سبيع، ذلك أن كثيراً من بطون سبيع تقيم في هذا الوادي وعلى جنباته. يسيل هذا الوادي من سراة غامد على قرابة مائتين وثلاثين كيلاً جنوب الطائف، ثم ينحدر شمالاً شرقياً، وأعلاه لغامد، ثم يسمى الأملح، لآل عمير من سبيع، ثم يسمى رنية مرة ثانية، وفيه الروضة: بلدة هي قاعدة إمارة سبيع في هذه الناحية، وتقع الروضة شرق بلدة تربة البقوم على خط مستقيم، وتقع

تربة البقوم شرق الطائف على خط مستقيم أيضاً، وعلى قرابة (١٥٠) كيلاً رأسياً.

فإذا أقبل وادي رنية على بلدة الروضة عدل إلى الشرق ثم يستمر حتى يختلط مع مياه وادي بيشة في الفرشة. والفرشة: قاع واسع تحيط به الرمال المرتفعة كعرق سبيع من الشرق والشمال الشرقي، والمرتفعات من الجنوب والغرب، ولا تفيض مياهها أبداً، غير أن بعضهم قال: لو اجتاح المنطقة فيضان فلربما كسرت المياه دعوص هناك، ثم ذهبت إلى وادي الدواسر الواقع إلى الشرق من هذه الفرشة[1].

غير أنه في رحلتي هذه تبين:

١ ـ أن كلًا من بيشة ورنية تصبان في الفرشة، وأن سيل الفرشة يصب في وادي الدواسر، بلا كثير عناء، وكأنهما من روافد وادي الدواسر فعلًا.

٢ ـ أن الخرمة = تربة، سيلها لا يتصل بالواديين المتقدم ذكرهما، وقد بينا ذلك في مادته.

٣ ـ أن وادي سبيع يطلق على وادي الخرمة مثلما يطلق على وادي رنية، لأن كليهما تسكنه قبائل من سُبيع.

الرَّوْشَن: بفتح الراء المهملة، وسكون الواو ثم شين معجمة مفتوحة، ثم آخره نون.

والروشن عند أهل الحجاز مصنوع خشبي يعمل على نوافذ الطبقات العلى من العمائر، قد يقعد عليه من يريد التنزه في المنزل، وكانت تعلق عليه الشراب (الدوارق) لتبريد الماء.

وهي مدينة متقدمة في وادي بيشة، تعتبر من مدن الدرجة الثانية،

---

(١) بتصرف عما في (بين مكة وحضرموت)، ص ١٧١.

عامرة آهلة، فيها كل ما في المدن من إدارات ومرافق، وهي قاعدة إمارة كبيرة بين رنية وتثليث، تبعد عن تثليث نيِّف وثمانين كيلاً، وعن رنية نيِّف و (١٥٠) كيلاً، وتشتهر عند الناس باسم بيشة لأنّها أم ذلك الوادي، وتشتهر بتصدير التمور الجيدة، وعمود أهلها قبيلة شهران، غير أن كثيراً من عرب الجزيرة استوطنها للتجارة أو الزراعة.

الروضة: بفتح الراء، وسكون الواو، وضاد فهاء: وهي معروفة عند العرب.

حي جميل من أحياء الرياض الشمالية الحديثة، بالنسبة ليومنا هذا.

والرَوْضَة: أيضاً، قرية قرب مدينة ليلى بالأفلاج.

والرّوْضة: بلفظ الروضة واحدة الرياض كالتي قبلها.

بلدة متوسطة في وادي رَنْيَة، هي قاعدة الوادي ومقر إمارته وجميع دوائر الدولة، زراعتها حسنة ونخلها كثير جيد التمر، تقع على (١٥٥) كيلاً شمال بيشة، و(١٣٧) كيلاً جنوب شرقي وادي سبيع = وادي الخرمة. سكانها قبيلة سبيع، وفيها أخلاط، وأسر من الأشراف وغيرهم.

الرويضة: تصغير التي قبلها، وتسمى (رويضة العرض).

قرية على (٥٧) كيلاً من حلبان باتجاه الرياض، وهي عامرة بالمساجد والمحطات، ومبانيها جميلة.

الرِّياض: كجمع روضة.

هي اليوم مدينة المدائن وعاصمة العواصم، بلغت من الرقي والاتساع ما اتسع معه (الخرق على الراتق) فما أنا والتعرض لوصفها، وما أنا وتعديد مزاياها، وقد صارت في مجلدات ضخام، ولكن أقول هنا كما قلت في المتين:

(ماذا عسى يبلغ التعبيرُ عن بلدٍ   ركب السحابَ، وعيناه إلى القمرِ)

ومع هذا كله أراك لا تعذرني، فتعال نلقِ بصيصاً من الضوء على نشوء هذه المدينة وتطورها عبر نحو من مائتي سنة.

بدء عمران الرياض: يؤخذ من اسمها أنها كانت مزارع، وأن معظم زراعتها على ماء الأمطار، لأن الروضة إنما تعمل ليروض الماء فيها فتُروى الأرض فتجود.

وعندما غزا جيش محمد علي باشا الجزيرة العربية استولى على الدرعية، عاصمة آل سعود آنذاك، ودمرها وقتّل أهلها، فتحول من بقي من أهلها إلى الرياض فسكنوها، وكان ذلك سنة (١٢٣٣هـ)[١].

وظلت هذه العاصمة الحديثة تتأثر بالأدوار التي مرت بها الدولة السعودية، إلا إنه من الواضح أنها كانت تتقدم ببطء، حتى جاء عهد عبد العزيز بن عبد الرحمن في أول القرن الرابع عشر الهجري، فتوحدت معظم أجزاء الجزيرة العربية، فأخذت العاصمة تتسع تحت الضغط السكاني المتزايد.

ورأيتها سنة (١٣٨٥هـ) فإذا هي يختلط فيها القديم بالحديث، أخذت العمائر المسلحة ترتفع بينما كان قطاع من السكان لا زال ينزل بيوتاً من اللبن، فكنت ترى بيتاً يُبنى بالإسمنت وآخر يُبنى باللبن من الطين. ثم زرتها سنة (١٣٩٦هـ)، أي بعد نحو من إحدى عشرة سنة، فإذا كل شيء قد تغير، والمدينة اتسعت اتساعاً يشبه الحلم، ودونت مشاهداتي تلك في كتابي (الرحلة النجدية).

ثم زرتها مراراً زيارات عابرة، وكل مرة كانت المدينة غير المدينة التي أعرفها، وجاءت زيارتي في هذه الرحلة سنة (١٤١٣هـ) فإذا أم

---

(١) خلاصة الكلام: (٣٠٢).

المدائن قد ارتفعت إلى مصاف المزن، فلله الحمد على ما أكرم وأنعم، ونسأله المزيد من فضله.

الرَّيَّان: فعلان من الرواء.

قرية صغيرة بين القويعية والرياض، إذا خرجت من (الجله) تراها يمين الطريق تدعى (هجرة الريان).

أم رِيشان: على وزن فِعلان من الريش، مضاف إلى أُمّ.

وادٍ صغير على الطريق من بيشة إلى رنية، تهبطه قُبَيل جبل جمعور، على قرابة (٣٥) كيلاً من بيشة البلدة، ويصب في وادي بيشة من ضفته اليسرى.

ريع الحجون: ينظر الذي بعده.

ريع الكحل:

مثل هذا من مكة المكرمة وما حولها استوفينا ذكرها في كتب سابقة، مثل: معجم معالم الحجاز، ومعجم معالم مكة، وأودية مكة، فرأيت أن التكرار لا يأتي بفائدة، فراجع تلك المؤلفات ـ إن شئت ـ عن كل ما هو في دائرة مكة المكرمة.

الريعان: جمع رِيع.

ثنايا تقبل على السيل الكبير من جهة الطائف، بأقصاها السيل الصغير[١].

---

(١) انظر معجم معالم الحجاز.

حرف الزاي

الزُّرْق: من اللون الأزرق.

قرية لآل شايب من قحطان تقع شرق بلدة تثليث إلى الجنوب، على طريق خميس مشيط.

زَغَّابة: زاي وغين معجمتان، ثم موحدة تحتية فهاء.
هُضَيبة جميلة كالخيمة، بيضاء، تشرف على بلدة (رويضة العرض) من الشمال، وتقابلها من الجنوب هضيبة بيضاء أيضاً.

زُمَيْقة: الزاي معجمة مضمومة، وميم، ثم قاف فهاء.
قرية زراعية، تدعها يسارك وأنت تخرج من الدلم جنوباً.

زَيْد: بلفظ اسم الرجل، أوله زاي.
سلسلة جبلية على طرف وادي تثليث، إذا سرت على الطريق المتجه إلى خميس مشيط، ووصلت إلى قرية (المضَّة) رأيت تلك الجبال إلى يسارك شرقاً، وهي قسمان: بيض وسود، فتسمى البيض زيد الأبيض، والسود زيد الأسود.

حرف السين

السالمية: كالمنسوبة إلى سالم.

فرق طريقها عن طريق القويعية ـ الرياض، على (٩٧) كيلاً من القويعية، فلعلها مزرعة هناك.

السِّدْري: كالمنسوب إلى السدرة، الشجرة المعروفة.
وادٍ يعترض الطريق بين رَنْية والخُرْمة، قبل الخرمة بنحو (٥٥) كيلاً.

ووادي السدري يجتمع سيله مع وادي المَشْقَر، ووادي المَدْسَم ثم تصب كلها في وادي الخرمة من اليمين.

السُّدَيِّرَةُ: ومثل هذا الاسم كثيراً ما يكون اشتقاقه من الصدر، يبدلون الصاد سيناً.
بلدة عامرة على الطريق بين تربة والطائف، في وادي بسل.

السَّراة: سين مفتوحة وراء مهملة، ثم ألف فهاء التأنيث.
كل جبل مستطيل يعتبر ظهره سراة، ولكن السراة في بلاد العرب، وهي المقصودة هنا، هي: ذلك الجبل الضخم المستطيل من عند الطائف إلى صنعاء اليمن، ورحلتي بين مكة وحضرموت كانت على هذه السراة، وكانت وصفاً ضافياً لها وما فيها، فراجعها إن شئت.

سرجوج: سين مهملة وراء، ثم جيمين بينهما واو، وكأنه من السرج.
وادٍ من الأودية الوسطية بين رنية والخرمة.

السَّرحِي: كل حروفه الأصلية مهملة.
وادٍ من روافد وادي السُّرَّة.

السِّرْداح:
واد كبير كثير القرى، من أودية العرض يتجه جنوباً، ثم يضيع في الرمل غرب سوادة العرض له روافد عديدة.

السُّرَّة: بضم السين والراء المهملتين، وآخرها هاء.
رمل قضيف يعترض الطريق الجديد بين الحوميات وحلبان ـ وقد ذكرا ـ يمتد طويلاً شمالاً وجنوباً، ويطلق عليه هنا (المخيتيم).

السُّرَّة: (وادي السرة).
وادٍ يعترض الطريق قبل بلدة الخاصرة مما يلي مكة، له روافد متعددة، وأشجاره كثيرة.

ومن روافده الكبار: وادي السرحي، ووادي قحقح، ووادي الصَّقِيع.

أُمّ سُريحة: تصغير سرحة، الشجرة المعروفة.
قُرِيَّة وهضيبات، على قرابة (٢٦) كيلًا من حلبان على طريق الرياض.

آل سعد:
قرية باسم أهلها من قحطان، شمال آل سويدان عن قرب، من قرى تثليث.

السَّلَام: بلفظ السلام المعروف من أسماء الله تبارك وتعالى.
قرية على الطريق بين بيشة وخميس مشيط. تقع بين قريتي الجحفة وخيبر، والوادي يسمى عندها وادي خيبر، وهي تجاور قرية (خَيبر) الشهيرة في هذه الديار.

وادي سَلِيم: بفتح السين المهملة، من السلامة، على زنة فَعيل بمعنى فاعل.

وادٍ من روافد وادي (الثَّفِن)، يأخذ مياه الجزيرة ـ شمال خيبر عسير ـ ثم يتجه شمالاً بشرق، في منطقة جبلية وعرة، ثم يصب في وادي الثفن، أحد روافد وادي تثليث الكبار.

السُّلَيْم: كتصغير سلم.

وادٍ صغير على الطريق المزفَّت الخارج من بلدة تربة جنوباً، بين وادي البطين ووادي الخُمْرة، يذهب سيله مشرقاً إلى وادي تربة.

أُمُّ سُلَيم:

قُريَّة صغيرة، فيها محطة محروقات ومسجد، قبل حلبان مما يلي مكة على تسعة أكيال، وهي هجرة مشاري بن نقا الشيباني، وهذه ديار الشيابين.

السُّلَيّ: كأنه تصغير سَلْي، والسَّلْي هو تحويل الزبدة إلى سمن، أو تصغير سلا، وهو ما يتبع الولد.

جبل بارز مستدير شرق روضة رنية، في ديار سبيع، أسمر ململوم الرأس.

السَّلِيل: بفتح السين المهملة، ثم لامين بينهما مثناة تحتية.

وادٍ يأخذ مياه أودية منها (وادي مبدا النعام)، ثم يصب في وادي (الدَّيَّة)، بعد أن يجتمع بوادي (خَدَّان)، وكلها بين رنية وبيشة.

السُّلَيّل: تصغير سليل، والسين مهملة مضمومة، ولامان بينهما مثناة تحتية مشددة.

مدينة متقدمة ناهضة، على الطريق بين الرياض وعسير، تبعد عن ليلى، قاعدة الأفلاج، (٢٤١) كيلاً، والاسم أصلاً لوادي عقيق بني عُقَيل عندما يمر بهذا المكان، وهي في مضيق نسبي من هذا الوادي

عندما يقتحم الوادي جبلَ العارض ويفزره هنا بل يقصم ظهره ـ كما قدمنا وصفه في متن الرحلة ـ وللسُّليّل إمارة ومطار ومدارس ومساجد، وفيها أسواق عامرة، ومخططات، ومحطات للوقود، وجميع مرافق المجتمع، وهي بحق مدينة صغيرة نموذجية، في نظافتها وحسن تخطيطها، وتشمل إماراتها مناطق وقرى عديدة، وتمتد شمالاً وجنوباً، وشرقاً إلى الربع الخالي، ولا تبعد غرباً لقرب قاعدة وادي الدواسر (مدينة الخماسين) على (٨١) كيلاً.

سَمَارة: كمؤنث سمار، والسين مهملة.

وادٍ فحل كثير الروافد، أهمها واديا نعام وحليمة، يأخذ من جبال القهر، جنوب شرقي تثليث، ثم يتجه شمالاً بشرق فيصب في وادي الدواسر. (قيل)

سَمْحَان: فعلان من السماحة.

أرض ذات أهل ونزل وزراعة، جنوب غربي ليلى، من إقليم الأفلاج.

سنام: بلفظ سنام البعير.

قُريات ناحية من الطريق، فرق طريقها من طُحَيّ يميناً لمن هو متجه إلى الرياض.

سَنَامة: كمؤنث سنام البعير.

جبال حمر متقاودة جنوب غربي مدينة الخماسين، وهم يقولون: جبال بني سنامة، كذا قال أهل تثليث، وقد شاهدناها من الطريق بين الخماسين وتثليث، إلى اليسار، متصلة بجبال القهر.

سَنانِير: كجمع سنارة.

جبل بارز، يدعى أيضاً (كُلّان) يقع شرق الروضة قاعدة رنية.

السّوَادَة: من السواد، بالتخفيف.

هما في هذه الرحلة سوادتان:

الأولى: وأنت تسير على الطريق من بيشة إلى رنية، تظهر على يسارك سوادة عظيمة، بعيدة، هي ديرة: جبال وحرار سود في ديار سُبيع، تسمى (السوادة) تقابلها من المشرق إلى يمين الطريق ذيول نفود حنجران، وقد ذكرت.

والسوادة الثانية: إذا سرت على طريق مكة ـ الرياض فوصلت إلى القويعية، كانت هذه السوادة على يمينك ببعد حيث لا تراها، وهي ديرة واسعة ذات أجبل وحزوم سود، تتخللها أودية وشعاب، تقع غرب (نفود الدحي)، وشرق (نفود السُّر)، جنوب الطريق السريع، وشمال وادي الدواسر، ومن أوديتها: وادي الرَّيْن، ووادي الهَمِيد، وغيرهما أودية وجبال بوارز ومياه، وتشترك فيها قبيلتا قحطان والدواسر، قحطان تأتي من الجنوب الغربي والغرب، والدواسر تأتي من الجنوب والشرق حيث تمتد ديارها إلى الأفلاج.

الجبال السود:

جبال سود شرق قرية المضة، بين وادي تثليث والطريق المار بالمضَّة. ترتفع عن البحر (١٨١١ م) كذا على الخريطة. وهذه جزء من سلسلة جبال زيد، فتسمى هذه (زيد الأسود) وتسمى جاراتها زيد الأبيض. وقد ذكرت (زيد).

السُّوْدَة: سين مضمومة وواو ساكنة بعدها دال مهملة مفتوحة، وهاء التأنيث.

منطقة جبلية تقع غرب مدينة (أبها) بما يقرب من (٢٥) كيلاً، وتشرف غرباً على تهامة عسير، وهي من أجمل المصائف هناك، جبالها مشجرة مسودة من خضرة الشجر، وبها مرافق حسنة للمصطافين، وتعتبر السودة قمة السراة في عسير، حيث يبلغ ارتفاعها (٢٧٠٠ م)، وفيها يحسُّ الإنسان بالبرد الشديد في فصل القيظ، وفيه تهطل عليها أمطار بعد

الظهر بصفة تكاد تكون دائمة، وهي تمتد بامتداد السراة من الشمال إلى الجنوب، وتسيل مياهها الغربية إلى وادي حلي، والشرقية إلى وادي بيشة.

وبضبطها هذا، هكذا تنطق، ولم أجد من ذكرها من المتقدمين، حتى الهمداني الذي عدد ما حول أبها لم يذكر السُّودة.

آل سُويدان: آخره نون.

قرية باسم أهلها آل سويدان من قحطان، غرب بلدة تثليث.

وسويدان: آخره نون أيضاً: انظر مروان.

السَّهْبَاء: بالسين المهملة والهاء، وآخره موحدة تحتية، ممدود.

وادي السهباء، من أمهات الأودية، تجتمع فيه سيول معظم إقليم اليمامة الوسطى، من العرمة شمالاً إلى قرب عُليَّة جنوباً، وإلى شقراء غرباً، فيأخذ كل ما يتجمع في سهل قَرْقَرى، ووادي لحاء، ووادي حنيفة، ووادي وتر، والبعيجاء، ونِساح، وكل هذه الأودية تجتمع أولاً في حائر سبيع، ثم تدفع إلى الخرج حيث يتلاحق عليها روافد عديدة أخرى، فإذا جاوزت مدينة (السيح) قاعدة الخرج أطلق عليه: وادي السهباء، فيتجه شرقاً حتى يصطدم بالدهناء، ويقال: إنه قد يفجرها فيذهب إلى الخليج. وهذا هو سر غزارة مياه الهفوف وما حولها، لوقوعها في نحر السهباء.

السَّيْح: سين مهملة مفتوحة، وياء ساكنة ثم حاء مهملة.

وكل أرض واسعة تسيح فيها مياه السيول أو نحو ذلك فهي سيح، ومن ذلك الساحة، والسيح هذا كان كذلك، ولكن قامت فيه مدينة جميلة ذات موقع مناسب في إقليم الخرج، فصارت قاعدة المنطقة، ولكن غلبت عليها شهرة الخرج، فلا تكاد تعرف عند عامة الناس إلا باسم الخرج، والمسافات منها وإليها محددة في متن هذه الرحلة.

وقد ذكرت (السيح) أيضاً في رسم الخرج.

السَّيْح الجنوبي:

إحدى قرى الأفلاج قرب مدينة ليلى.

السَّيْل الصَّغير:

وادٍ بين السيل الكبير والطائف، فيه نزل وزراعة ونخل، وقد كتبنا عنه في معجم معالم الحجاز ما يلي:

وادٍ يسيل من شمال الحوية، شمال الطائف فيدفع في بعج مجتمعاً مع السَّيْل الكَبِير، في رأسه قرية تسمى باسمه تبعد (٣٠) كيلاً شمال الطائف و (١٤) كيلاً شمال الحَوِيَّة، فيها مدرسة ومسجد وسوق صغيرة، وفي الوادي مزارع حديثة نشأت بعد سنة (١٣٧٢هـ)، قامت عليها قُرِيَّات متناثرة لقبيلة القُثَمة من برقا من عُتَيبة، وهم سكان هذه الناحية، كان الوادي يسمى (المُلَيْح) ولا زال أسفله يحمل هذا الاسم - انظر المُلَيح - وهو المذكور في غزوة الطائف.

السَّيْل الكبير:

استوفى ذكر هذه البلدة في صدر الرحلة، وكتبنا عنها في معجم معالم الحجاز، ما يلي:

السَّيْل الكَبِير - بلفظ سيل الوادي من الماء -:

بلدة بين نخلتين: الشامية واليمانية، في حزم مرتفع غير أن عمرانها قد يمتد في قرن المنازل من نخلة الشامية، وماؤهم منها، يمر فيها طريق الطائف إلى مكة المار بنخلة اليمانية، المسمى (طريق اليمانية). تبعد عن مكة ثمانين كيلاً شرقاً، وعن الطائف (٥٣) كيلاً شمالاً غربياً. كانت تعرف بقَرْن المنازل، وهي ميقات أهل نجد ومن مر بها من غيرهم، ويُطلق اسم قَرْن اليوم على الوادي في أعلاها إلى المحرم على طريق الطائف المار بالهدأة. الوادي قرن، والبلدة السيل الكبير، تمييزاً لها عن السيل الصغير، وهي قرية قد ذكرت.. سميت

السيل لأن واديها كان يسيل ماؤه على وجه الأرض، رأيت ذلك سنة (١٣٧٣هـ) و (١٣٧٦هـ)، وقد نضب هذا السيل اليوم.

كانت، في حدود الثانية والسبعين بعد القرن الثالث عشر، عامرة كثيرة المقاهي والحوانيت لأن الطريق الرئيسية من مكة إلى نجد والطائف كانت تمر بها، ثم فتح طريق الهدأة عام (١٣٨٥هـ)، فتحولت السيارات إليه وهجرت البلدة، فتأخرت حتى بدت سنة (١٣٩٣ هـ)، حين مررت بها، شبه مهجورة، فكل المقاهي ومعظم الحوانيت هجرها أهلها فدب فيها الخراب وتساقطت أبوابها ونوافذها، وتآكلت جدرانها. وفي البلدة اليوم مدرسة ابتدائية ومسجدان تقام في أحدهما صلاة الجمعة، وفيها هيئة للأمر بالمعروف، وفي مثناة نخلة الشامية، التي تطل عليها البلدة شرقاً، زراعة متأخرة جلها نخل، وسكانها الثُّبَتَة من عُتَيبة، وأرضها حزم جَرَد مرتفع عما حوله نَزِهٌ، وهواؤها نقي.

والطريق منها إلى مكة ينحدر انحداراً في أرض بيضاء دمثة تسمى: البُهَيْتة، كانت تعرف بالبَوْبَاة، ولدماثة أرضها تتعب السيارات أثناء الصعود من مكة، وقد تغرز فيها، ولذا قال بعض السواقين:

بين البُهيتهْ وبين السَّيْلْ   لَفُّ الدركسون[1] يتعبني

كتبت ما تقدم سنة (١٣٩٣هـ). أما اليوم سنة (١٣٩٥هـ) فقد أُمِر بإعادة الطريق المار بالسيل وبدىء في العمل فيه، ولا شك أن حالة البلدة ستتغير إلى أحسن وهو المؤمل. ثم مررت بها سنة (١٣٩٨هـ) فإذا هي قد عادت إليها الحركة، فلم أر فيها مكاناً إلا وقد عمر، بل إن العمران يجري بسرعة في الأراضي البيضاء وكل ما هناك يشير إلى أنها مقبلة على الازدهار.

ولعل في متن الرحلة ما يزيد على ما تقدم في هذه السنة (١٤١٣هـ)، ولله الحمد والمنة.

---

(١) مقود السيارة.

حرف الشين

شَدَّاد: فَعَّال من الشد.

هجرة آل شداد: قُرَيَّة على طريق الجنوب بين حوطة بني تميم وليلى، على قرابة (٤٠) كيلاً من الحوطة، وآل شداد من قبيلة الدواسر.

الشدقاء: مؤنث الأشدق، وهو الذي اتسع شدقه (أسفل فمه).

قرية بين القرهاء وأحد رفيدة، تعد من طوارف بلدة الأحد، جنوب خميس مشيط على الطريق بينه وبين نجران.

شُدَيق: كتصغير شدق.

قرية في وادي تبالة، بعد أن يتجاوز قرية الثنية، وحيث يجتمع به وادي المخرم.

شِرَاعين: كتثنية شراع السفينة المعروف.

بلدة زراعية ذات نزل ومدارس ومساجد، على الطريق بين تربة والطائف، جنوب غربي السديرة المتقدمة، واديهما واحد: وادي بسل. وقد ذكر في بعض الخرائط (بشيان) خطأ.

شَرِب: بفتح الشين المعجمة وكسر الراء المهملة، وآخره موحدة.

وادٍ فحل من أودية الطائف، تجتمع روافده في عقيق الطائف، ثم ينحدر فيسمى وادي (لُقَيم) فتصب عليه شعاب كثيرة، ثم يمر بالحوية، فإذا تريَّح في السهل سُمِّي وادي شرِب، وأسفله المبعوث، وشرب أحد معالم سوق عكاظ.

الشَّرَف: بلفظ شرف الإنسان، ولكن غير معناه.

منطقة من نجد مرتفعة:

جاء في كتاب (على ربى نجد)[1]:

الشرف الأرض المشرفة على غيرها، ولهم أشراف كثيرة، وهم اليوم يسمونه الشفا، وقد ذكر. وشرف نجد أرض تشبه السراة ذات أجبل متقاودة من الشمال إلى الجنوب، ولكنها صغار وذات حزوم ووهاد ومكافىء مياه تنقسم إلى غرب وشرق. وقد توجد بعض الجبال الكبار منعزلة عما حولها نسبياً مما يجعل اسم السراة غير منطبق عليها، وهذه المنطقة الجبلية تُشمِل حتى تتصل بحرار خيبر، وتُجنِب حتى تتصل بجبال ثهلل وعروى والعروض.

وأرض الشرف من أحسن مرابع العرب وأعذبها هواء وأريحها للسير، لا سهل دأث، ولا حزن يحفي.

وجاء في معجم البلدان: - بالتحريك - وهو المكان العالي، قال الأصمعي: الشرف كبد نجد، وكانت منازل بني آكل المرار من كندة، قال: وفيها اليوم حمى ضرية، وفي الشرف (الرَّبَذَة) وهي الحمى الأيمن، والشُّرَيْف إلى جنبها يفصل بينهما التسرير، فما كان مشرقاً فهو الشُّرَيف، وما كان مغرباً فهو الشرف.

ومما تقدم ترى أن الشرف إقليم واسع يضم الربذة غرباً وضرية شرقاً، فهو مجاور القصيم من الجنوب الغربي، وأرضه واسعة، غير أنها لم تعمر كثيراً وطرقها وعرة.

الشَّرَفِيّة: من الشرف، وهو في الأرض العلو والإشراف.

مكان بين الغريف وتربة جنوب الخرمة، وفيها محطات لوقود السيارات، على المزفّتة بين الخرمة وتربة.

---

(١) على ربى نجد (٢٠٣) وما بعدها وللبحث هناك بقية.

شَرَوْرَىَ: آخره مقصور، والإعلاميون يقولون: شَرُورَة، وليس بشيء.

منطقة صحراوية في جنوب المملكة، ثم قامت عليها مدينة، كانت بدايتها بئراً أرتوازية حفرت سنة (١٣٧٤هـ) ثم وضع لها مركز حكومي سنة (١٣٧٥هـ) وما لبثت أن صارت بلدة عامرة، لها إمارة ومطار، وجميع مرافق الدولة، وتقع شرورى على (٣٤٥) كيلاً، شرق نجران[١].

الشُّريف[٢]: تصغير شرف.

منطقة من نجد كانت تلي الشرف من الشرق، إذا تجاوزت (نفي) جنوباً كان الشريف على يسارك، ومن أعلامه جمران الشريف، ومع أن المتقدمين لم يذكروا فيه (جَبَلَة)، إلا أنني أرى أنها منه، وأنها ليست من الشرف، وكل من عاينها يظهر ذلك جلياً.

ولا يعرف اليوم اسم الشُّريف، فبعضه يطلق عليه اسم الجمش، ويتخلَّله وادي الرشاء، وإذا قرأت النصوص، التي ذكرها المتقدمون، عرفت أن الشريف هي المنطقة الواقعة جنوب وشرق جبلة، فهذه كانت ديار بني نمير بن عامر.

جاء في معجم البلدان: الشُّريف تصغير شَرَف، وهو الموضع العالي: ماء لبني نمير، وتنسب إليه العُقبان، قال طفيل الغنوي:

وفينا ترى الطُّوبَى وكلَّ سَمَيْذَعٍ   مدرَّب حربٍ وابن كلِّ مدرّب
تبيتُ لعُقبان الشُّريف رجالُهُ   إذا ما نووا إحداث أمرٍ معطّب

فانظر إلى قوله: إنه ماء، وإنه تنسب إليه العقبان، فهذه أمور لا تجمع.

ثم يقول: ويقال: إنه سُرَّة نجد، وهو امرأُ موضعاً منه.

---

(١) البحث مستوفى إن شاء الله في (بين مكة وحضرموت) ص ١٠٩ وما بعدها.

(٢) على ربى نجد: ٢٠٧ وما بعدها.

قال الراعي (النميري):

كـهُـداهِـدٍ كـسَـرَ الـرمـاد جَـنَـاحَـهُ   يـدعـو بـرابـيـة الـشُّـريـفِ هـديـلا

وقال أبو زياد: وأرض بني نُمير الشُّريف، دارها كلها بالشريف إلا بطناً واحداً باليمامة يقال لهم بنو ظالم بن ربيعة بن عبد الله، وهو (أي الشريف) بين حمى ضَريَّة وبين سود شمام، ويوم الشُّريف من أيامهم، قال بعضهم:

(غداة لقينا بالشُّريف الأحامسا).

أي بني عامر لأنهم حمس.

وقال ابن السِّكِّيت: الشريف وادٍ بنجد، فما كان عن يمينه فهو الشرف، وما كان عن يساره فهو الشريف.

قال الأصمعي: الشرف كبد نجد، والشريف إلى جانبه يفصل بينهما التسرير، فما كان مشرقاً فهو الشريف، وما كان مغرباً فهو الشرف.

ولعمر الحق لقد أصاب الأصمعي كبد الحقيقة، وإن وادي التسرير (وادي الرشاء اليوم) هو ظاهرة جغرافية يمكن أن تكون حداً بين منطقتين، وبهذا نستدرك على قولنا المتقدم، فتكون جبلة ليست من الشرف، إنما على مرأى منه، وإن الجمش، جزء من الشريف، ثم يمتد الشريف جنوباً إلى ما وراء درب الحجاز المار بعفيف، وليست هناك حدود واضحة إلا أنك إذا سرت من نفي تؤم البجادية، فأنت في الشريف، وقد أخرت الشرف يمينك.

ولعل آخر أعلام شرف نجد في الجنوب الشرقي هو جبل حلِّيت، وبعده سويقة، ثم يبدأ الشريف إذا تجاوزت وادي الرشاء (التسرير قديماً).

الشفا: وكأنه ما شف من علٍ.

فضاء واسع بعد الحوميات مما يلي الرياض. وقد ذكرت الحوميات، وفي متن هذه الرحلة تفصيل.

الشفا والحرقان:

منطقة ظهرت على الخريطة، شمال بلدة تبالة.

شقصان:

محطة على طريق الجنوب (انظر بين مكة وحضرموت).

الشَّقِيقة: بفتح الشين المعجمة، وقافين بينهما مثناة تحتية، ثم هاء التأنيث.

أرض ذات زرع ونزل على ضفة وادي بيشة اليسرى، إلى يمين المتجه إلى رنية.

جبل الشيخ: مضاف إلى الشيخ، وهو الذي أبيضَّ شعره.

جبل في جنوب غربي سورية، وهو أعظم مرتفع هناك، يعد من قمم هضبة الجولان، وكان يسمى (حارث الجولان) تظل قمته مغطاة بالثلج، ولبياضها سمي (الجبل الشيخ)، تسيل منه أنهر في نهر اليرموك وفي بحيرة الحولة فإلى نهر الأردن.

الشَّيق: أوله شين معجمة مفتوحة، وبعد المثناة قاف.

وادٍ هو من أعالي وادي الثفن، يسيل من المرتفعات الواقعة بين خميس مشيط وطريب، فيتقاسم الماء مع كل من وادي طريب (إلى تثليث) ووادي ابن هشبل (إلى بيشة)، فيمر وادي الشيق بالجحفة وخيبر متجهاً شمالاً إلى تثليث، وهو وادٍ زراعي فيه نخل عمري، وزراعة لا بأس بها.

الشَّيْل: كالذي قبله إلّا أن آخره لام.

جبل بين بيشة ورنية شمالي جبل ضلفع إلى الغرب بجوار نفود حنجران.

حرف الصاد

صَبْحاء: كمؤنث الأصبح.

قرية على أحد فروع وادي الصرداح، فرق طريقها إلى اليسار، بعدما يقرب من (٣٠) كيلاً من حلبان، مما يلي الرياض.

ويقول ابن جنيدل[١]: صَبْحَا: بفتح الصاد المهملة ثم باءٌ موحدة ساكنة بعدها حاءٌ مهملة ثم ألف:

هضبة حمراءُ كبيرة، معترضة من الجنوب إلى الشمال، ذات لون ذهبي متلألىء، ورعان عالية وقمم متسامقة، فيها مياه في كل جهاتها، واقعة بين واديين أحدهما يحف بها من الغرب وهو وادي السرَّة، والآخر وادي السرداح ويحف بها من الشرق، وهي غرب العرض، وشرق الزيدي، وشمال حصاة قحطان، وفي ناحيتها الشرقية هجرتان لقبيلة قحطان، تابعة لإمارة القويعية.

ويقول محمد بن بليهد: وتسميته صبحا تسمية حديثة، حدثت عند توغُّل القبيلة التي يقال لها مطير في نجد[٢]، وهم علوى وبرية، وكان قوم من علوى يستوطنون تلك الناحية عند الجبل المسمَّى يذبل، وهو جبل رفيع أحمر أصبح المنظر، فكان فارسهم عند الطِّعان يقول: خيَّال صبحا جبلي، ويطلق هذا على يذبل، وتكرر ذلك حتى نُسي اسمه الأول وصار اسمه صبحا.

---

(١) معجم عالية نجد: ٨٣٤.

(٢) مطير: من أشهر قبائل العرب اليوم. انظر معظم قبائل الحجاز.

قال مؤلفه: لا تناقض في ما تقدم، فلا شك في أن صبحاء ـ أصلاً ـ اسم لجبل، ثم قامت بجانبه قرية حملت الاسم. أما قولنا: (وادي الصرداح) فنطق الفصحاء من أهله، ولكن عامتهم يرققون بعض الأحرف، فيقولون: السرداح.

أم الصِّبْيَان: كجمع صبي.

وادٍ صغير يمر به الطريق على (١٦) كيلًا من رنية باتجاه بيشة. وسبب تسميته ذكرناها في المتن.

الصُّبيخة: تصغير صبخة، وهي لهجتهم في سبخة.

قرية على الطريق من تثليث إلى خميس مشيط، تبعد عن بلدة تثليث (٥١) كيلًا، فيها ورش لإصلاح السيارات ومبان جميلة، ومدارس ومساجد.

الصَّخُو:

قرية بالأفلاج قرب مدينة ليلى.

الصِّرْدَاحُ: أوله صَادَ، وكل حروفه مهملة.

وادٍ فحل يسيل من الغرب إلى الشرق، فتقع عليه مدينة القويعية، ثم يذهب مشرقاً فيضيع في نفود السر، وربما إذا كثر ماؤه يفيض إلى الخرج، وعليه وعلى فروعه قرى كثيرة، ويقول بعضهم (السرداح) بنفس النطق مع إبدال الصاد سيناً.

صَفْوان: فعلان من الصفاء، أو جمع صفاة، وهي الصخرة الكبيرة الملساء.

قرية تجاور بلدة أحد رُفَيدة مما يلي خميس مشيط.

الصُّقَيع: كتصغير صُقع.

قرية صغيرة في وادٍ بهذا الاسم، يصب في وادي السُّرة، ليست بعيدة عن حلبان.

صَمَخ: صاد مهملة وميم، وخاء معجمة محركاً.

قرية كبيرة عامرة، تتوسط المسافة بين رغوة ـ مفرق طريق بيشة ـ وقاعدة بيشة، وعلى (٨٢) كيلاً من كل منهما، وتكاد تكون أم قرى وادي هرجاب، فيها إمارة ومدارس ومساجد، وماؤها متوفر، وأشهر ما في هذا الطريق من القرى: خَيْبر وصَمَخ.

صِهْرٌ: صاد مهملة ثم هاء فراء مهملة.

سلسلة جبلية من نوع الهضب، ترى أولها من بلدة الروضة في رنية شرقاً جنوبياً، وأقصاها على قرابة (٤٠) كيلاً من نفس البلدة. وهذه السلسلة لكل جبل منها اسم بذاته، وتسيل منها شعاب كثيرة، وكل مياهها في وادي رنية من ضفته الشرقية الجنوبية، أي اليمنى، وأبرز جبال رنية: الكور، وصهر هذا، وجبال المجامعة.

حرف الضاد

ضَرَاء: ضاد معجمة مفتوحة، ثم راء، ممدود.

وادٍ كبير هو أحد روافد وادي تربة، يمر جنوب بلدة تربة على (٣٦) كيلًا، يأخذ من السراة من بلاد بلحارث، وأسفله (أبو راكة)، ثم يصب في وادي تربة من الغرب، أعلاه لبلحارث وأسفله للبقوم.

الضُّرْم: بضم الضاد المعجمة، وراء مهملة ساكنة، ثم ميم.
مثناة من وادي رنية بين الروضة والأملح، يبعد عن رنية جنوباً غربياً بعدة أكيال، يشرف عليه وعلى بلدة رنية من الجنوب جبل (الكور) الشهير.

ضُرَمَة: ويقال (ضُرَما).
بلدة عامرة على (٨٨) كيلًا غرب الرياض على الطريق القديم.

انظر ـ إن شئت ـ كتابي: الرحلة النجدية.

ضلع البقوم = حضن.
ضلفع: ضاد معجمة، وبعد اللام فاء فعين مهملة.
جبل بين بيشة ورنية شرق المزفّتة، يرى عن بعد، وهو من أعلام (الفرشة) مجمع بيشة ورنية، ولعله الذي يقول فيه (جامع بن عمر بن مُرْخِية)(١):

بدت لي وللتيمي صَهْوةُ ضَلْفَع ... على بعدها مثل الحصان المحّجل

(١) معجم البلدان: ضلفع.

ضور الخَضِر:

الضور عند أهل هذه البلاد الجبل المكون من صفا أملس.

وهذه حصاة بيضاء بارزة شرق قرية المضَّة، ترى بالعين المجردة.

ضَور ابن أحمد:

جبل أزلج يشرف على قرية المقطاع من الغرب، من نواحي خميس مشيط.

ضَوْر ابن عيسى:

جبل أبيض كأنه صفاة أزلج، يشرف على بلدة الجوهرة ـ بوادي ابن هشبل ـ من الغرب.

حرف الطاء

طُحَيٌّ: طاء مهملة مضمومة، وحاء مهملة أيضاً مفتوحة، ثم ياء أخت الواو. تصغير طَحِي.

قرية على الطريق السريع بين حلبان والقويعية، تبعد عن حلبان (٤٨) كيلاً. جاء اسمها في بعض الخرائط (تحي) وهو خطأ ناتج من نقل الاسم عن الحروف اللاتينية، وتقع طُحَيٌّ هذه في ديار العصمة.

طَرِيب: كحبيب.

أصل الاسم لواد فحل طويل، يعتبر أكبر روافد وادي تَثْلِيث، يسيل من سراة عَبيدة إلى الجنوب الشرقي من خميس مشيط، ويزيد طوله عن (٢٠٠) كيل، وله روافد عديدة وقرى كثيرة، أهمها قرية أخذت اسم الوادي فقيل طَرِيب، وهي ما يتبع.

وطَرِيب، أيضاً: بفتح الطاء المهملة، على زنة قريب.

قرية متوسطة على وادٍ يعرف بهذا الاسم، وقد قدمناه آنفاً. ترتفع طريب (١٩٠٠م) عن سطح البحر، وكلما اتجهت منها شمالاً قل الارتفاع اطراداً لسير واديها، وعكس ذلك يزيد الارتفاع، تبعد عن خميس مشيط (٤٠) كيلاً شمالاً إلى الشرق، فيها مدارس ومتاجر ومحطات للوقود، وهي في ديار قحطان. وتعتبر طريب مثابة في هذه المفازة ومنهلاً ومصيفاً.

طويق: كتصغير طوق.

وقد يطلق عليه اسم العارض (عارض اليمامة) ويُسمَّى (اليمامة) أي جبل اليمامة، وفي هذا يقول عمرو بن كلثوم:

وأقبلت اليمامة واشمخَّرت   كأسياف بأيدي مصلَّتينا

كل هذه الأسماء لسراة جبلية شامخة الذرى، تقبل من إقليم الزلفى قرب القصيم، فتمر من غربي الرياض، ثم تمتد مجنبة مسافة تزيد عن ألف كيل، حتى تذهب في الرمل شمال شرقي نجران، فتسمى نهايته هناك (المندفن) لأنه يندفن في ذلكم الرمل.

وجبل طويق، أثناء رحلته الطويلة هذه، يمر بين ظاهرتين جغرافيتين، هما: الأرض الواقعة غربيه مرتفعة منحدرة إلى الشرق أي إلى جهة هذا الجبل، والأرض الواقعة شرقه منحدرة إلى الشرق، وكأن انحدارها امتداد لانحدار الأرض الغربية، وأنهما تكوين جغرافي واحد مزقه هذا الشامخ المتكبر، من أجل ذلك ضربته العليا منهما ضربات قصمت ظهره في مكانين: أولهما، وادي لحاء المار جنوب الرياض، والذي يحتلب إقليم الوشم وكثيراً من أودية عرض شمام، وما حولها، فانفلق الجبل إلى شمالي وجنوبي وتجمعت تلك السيول عند الحائر ثم فاضت إلى الخرج، وإلى السهباء فإلى الحسا. وثانيهما، عندما تجمعت سيول السراة من قرب الطائف ـ شمالاً ـ حتى سراة عَبيدة شمال نجران، فضربته ضربة قاصمة عند السليل، ففلقته كالفلقة الأولى، واندفعت سيولها إلى البياض مما جعل هذا البياض وما حوله يرقد على بحار من الماء، وإن كانت غير عذبة تماماً. وفي غير هذا تسيل من طويق أودية فحول، مثل: وادي نساح، ووادي الأوسط، ووادي نعام، وبريك، وغيرها كثيرة، وقد ذكرت كلها في هذه الرحلة.

طَيِّبُ اسم:

أصل هذه التسمية غالباً تكون تسمية سيئة بألفاظ تعافها النفس، فيسرع الخيرون إلى تهذيب الاسم بكلمة طيبة (انظر معجم معالم الحجاز).

وطيب اسم هذه قرية جنوب خميس مشيط.

حرف الظاء

ظَلِمٌ: فتح أوله، الظاء المعجمة، وكسر اللام، وآخره ميم.

بلدة هي أعمر ما في هذه الناحية، تحدثتُ عنها في متن هذه الرحلة، ص (١٦).

وفي الرحلة النجدية:

وبعد (١٥٠) كيلاً من عفيف وصلنا ظلم، وهي بلدة قامت على مَعْدن كان يستخرج هناك، وتقع في مفازة من هذا السهل الواسع الذي يبدأ من عفيف جنوباً غربياً إلى سفوح حضن الغربية، أي مسافة تقرب من (٤٠٠) كيل في ما لا يقل عن (٢٠٠)، وهذه تساوي إقليماً كبيراً في مكان غير هذا، ويغلب على هذا السهل اسم ركبه في جنوبه الغربي، من سفوح حرة كشب، التي نراها بعيداً ولا ترى إذا لم يكن الجو صافياً، إلى عشيرة غرباً إلى وراء المحازة جنوباً، إلى شمال وغرب حضن، وكان شمال هذا السهل يعرف بالسِّي، وما قرب حضن يسمَّى ركبة، فاطلق اليوم عليه اسم ركبة كله[1].

وليس في ظلم ماء، ومقترح أن يمد لها الماء من الخرمة الواقعة جنوبها.

وادي الظَّلِيم: كأنه منسوب إلى ابن النعام.

---

(١) (الرحلة النجدية ص ١١٥).

وادٍ يطؤه الطريق بين بيشة ورنية، سيله في وادي خَدَّان، ثم في وادي الدَّيَّة.

ظهران الجنوب: ظاء معجمة، وهاء، على وزن فعلان من الظهر، ويميز بالجنوب عن ظهران الحسا، المدينة المشهورة في شرق المملكة العربية السعودية.

مدينة صغيرة، غير أنها عامرة، ذات موقع معتدل الهواء، بين خميس مشيط ونجران. وفي كتابي (بين مكة وحضرموت) ما يغني عن الإعادة.

حرف العين

العاقر: بلفظ التي لا تلد.

أحد جبال سحم، تقع على الطريق بين رنية والخرمة، على بعد (٦٠) كيلًا تقريباً من بلدة الخرمة شرقاً.

ويجمعونه وما حوله فيقولون العواقر. وسحم: جمع أسحم وهو لون يقرب من السواد.

خشم العَان: خشم عند عرب الجزيرة اليوم = أنف، والعَان أحد نعوف جبل الجبيل.

وخشم العان هذا هو نهاية جبل الجبيل من الشمال، يمرُّ قربه الطريق من الرياض إلى الدمام، شرق الرياض، وله شهرة في هذه الديار، وكان يسمى (أنف خنزير)[١].

عُبَيْد (جبل عُبَيد): كتصغير عبد.

جبل بارز، يرى من بين الرمال، جنوب منطقة الجِلْه، وشرق القُوَيْعِيَّة.

العُثَيْثِي: بالمهملة المضمومة، وتكرار الثاء المثلثة بينهما مثناة تحتية، وآخره مثلها.

مكان من أسفل وادي رنية، قبيل الفرشة، قرب العمائر والقوز.

---

(١) معجم البلدان: مادة خنزير.

العَدَام: العين والدال مهملتان، ثم ألف وميم، والعدام في لغتهم، رمال ونفود وأرض دأث.

والعدام هنا: ما بين أسافل واديي رنية والخرمة، ويشرب هذا العدام سيول الأودية التي تمر بين الواديين المذكورين، والمشهورة باسم النواصة، وغيرها.

العذار:

قرية زراعية، تدعها يسارك وأنت تخرج من الدلم جنوباً.

عرض باهلة: انظر العروض، بعده.

عِرض القويعيّة = عرض باهلة. انظر العروض، بعده.

العرفاء: كمؤنث الأعرف.

جبيل لاطىء في الأرض ممتد من الغرب إلى الشرق، يقطعه طريق (الحجاز ـ نجد) على (٣٠) كيلاً من الطائف، ورأسه الشرقي يقف في وادي شَرِب.

ولي عليه كلام في (معجم معالم الحجاز).

عِرْقُ سُبَيع: العرق، في عرفهم، الرمل المنقاد، وسُبيع القبيلة المعروفة[١].

هذا الرمل كان يدعى رمل بني عبد الله بن هلال، وورثت سبيع ديار بني هلال ـ معظمها ـ فتحول اسم الرمل إلى هذا الاسم، إذا سال وادي تربة فتجاوز الخرمة (وادي الخرمة) فإنه يدفع في عرق سبيع، وينشب هناك.

وهو رمل كثيف يصعب اجتيازه بالآليات.

العَرَمَة: أوله عين مهملة، ثم راء فميم فهاء التأنيث، محركاً.

---

(١) انظر معجم قبائل الحجاز.

سلسلة جبلية تقع إلى الشمال الشرقي من الرياض، ربما مرت من شرقيه ليكون الجبيل امتداداً لها، ولو أن أصله منقطع عنها، وتمتد شمالاً تباري طُويقاً من الشرق، ولكنها أقصر منه مدى، تسيل منها أودية مشهورة، من أهمها: وادي الترابي ذو الروافد المتعددة، ينحدر من العرمة غرباً، والمسعودي، والجافي، وغيرها كثير تتجه شرقاً إلى الدهناء. كنت معيِّداً عيد الفطر سنة (١٣٨٦هـ) عند أرحامي سبيع في الصياهد من أكناف الدهناء الغربية، فسالت تلك الأودية فحبستنا أياماً.

العروض: جمع عِرْض، بكسر العين المهملة، وراء مهملة ساكنة، وضاد معجمة.

إذا سرت على الطريق بين مكة والرياض فإن الغالب على الأرض السهول الجرداء، وقد تكون الحزوم هنا وهناك، إلَّا أن كل ما بين الطائف والعروض، على هذا الطريق، قليل الحثر، فإذا وصلت إلى سلسلة رَغْبَاء ـ وقد ذُكرت ـ بدأتَ في العروض، وهي منطقة جبلية يسير فيها هذا الطريق السريع إلى منطقة (الجله)، وقد ذُكرت، وتذهب شمالاً إلى الطريق القديم بين شقراء وعفيف، وجنوباً إلى عروق الرمل التي تقع على يمين طريقنا هذا الذي نسير عليه بين ظلم والرياض.

وجاء في معجم عالية نجد(١): وبلاد العرض، تقع غرب اليمامة، يحف بها من الشرق رمل نفود السر ـ جراد قديماً ـ ، وهي بلاد جبلية، جبالها سلاسل سوداء عالية يوازي بعضها بعضاً، تمتد من الشمال إلى الجنوب تتخللها أودية كثيرة، تنحدر من المرتفعات الوسطى شرقاً.

ويؤخذ من النص الذي لم نستوفه: أن أودية الصرداح، أو السرداح، وحلبان، وبرك، والرين، والعمق كلها تسيل من العرض، وأن هذا العرض كثير القرى، وأكبر بلدة فيه هي (القويعيَّة)، وقد ذُكرت،

---

(١) مادة عرض.

وأكثر سكان العرض (بنو زيد) ومعهم من بني خالد وقحطان، وتسكن بطون من عتيبة العرض (جهاته الغربية)، والسهول[1]، وغيرهم.

ويقول ابن جنيدل[2]: كانت باهلة تسكن معظمه الأوسط، وإن أحياء من بني عامر كانت تشاركهم في جنوبه وغربه.

قلت: وكان هذا العرض يعرف بعرض باهلة، وسواد باهلة، وهي قبيلة شهيرة، لا زالت بقاياها موجودة في نجد، كان يطلق على شماله الغربي عرض شمام، ويجمع مع عرض اليمامة وما حوله فيقال العروض، ولذا فتقرأ في كتب الأولين (نجداً والعروض).

عُروة: بلفظ العروة التي تخاط في الثوب.

قرية غربي قرية مويسل، تقع على فرع من فروع وادي (غُنَيغاء).

غنيغا: بغينين معجمتين، مأخوذ من خريطة الفارسي ولا أعلم صحته.

العَرِين: بفتح العين المهملة، وراء مهملة أخرى، والعرين لغة: هو شجر الطرفاء، ولكنه لا ينبت في مثل هذه الأماكن المرتفعة.

والعرين هذه: قرية لقحطان تقع شرق طريب، بين وادي طريب ورأس وادي تثليث، وارتفاعها كارتفاع طريب القرية، فجو هذه المنطقة معتدل صيفاً، وصالح للاصطياف.

عَسِير:

إقليم في المملكة العربية السعودية، يحده شمالاً إمارة الباحة،

---

(١) انظر كتابي الرحلة النجدية

(٢) بتصرف من معجم عالية نجد لابن جنيدل ص ٩٢٩ وما بعدها.

وجنوباً الجمهورية اليمنية، وغرباً البحر في جنوبه الغربي وإمارة مكة المكرمة في شماله الغربي، وشرقه الرمل (الربع الخالي).

وهو مقاطعة كبيرة له إمارة قاعدتها (أبها) وقد مر وصفها بأنها، وما جاورها، من أحسن المصائف في الدنيا.

ولم أجد من ذكر (عسير) في كتب الجغرافيا من المتقدمين، إلَّا ما ذكره الهمداني على أن عسير قبيلة، فقال: (عسير يمانية تنزرت)[1] أي قحطانية من قبائل اليمن انتسبت إلى نزار بن معد بن عدنان.

وقبيلة عسير لا زالت قائمة معروفة[2]، وهم سكان حيز كبير من مقاطعة عسير، فلعل أصل التسمية (بلاد عسير) أي بلاد قبيلة عسير، ثم أسقط أحد المضافين كعادتهم فقيل: عسير.

عُشَيرة: كتصغير عُشَرة.

بلدة في شرقي مكة، كان الطريق من مكة إلى السيل الكبير يأخذ يساراً فيمر بعشيرة متجهاً إلى الرياض.

وجاء في معجم معالم الحجاز:

بلدة شرق مكة يمر بها الطريق الشمالي من مكة إلى نجد، ولها طريق إلى الطائف الذي تقع شماله عدلاً بحوالي (٦٥) كيلاً، تقع في صدر وادي العقيق المعروف الآن بها. وقد تخاصم عندها أناس من عتيبة ـ انظر «عقيق عُشيرة» ـ فحُيِّدت القرية، كانت أعمر منها الآن عندما كان الطريق الرئيسي يمر بها، ثم تقهقرت بعد أن صار يمر بالطائف، ثم يأخذ جنوبها إلى الرياض.

ولكن طريق مكة إلى الطائف المار بنخلة اليمانية هو الآن تحت

---

(١) صفة جزيرة العرب: ٢٥٦ تحقيق الأكوع.

(٢) في كتابي (بين مكة وحضرموت) أتيت على أنساب وأخبار قبيلة عسير وفروعها.

التعبيد، ولا شك أن عُشَيرة ستستفيد منه وخاصة إن جُعل الطريق إلى نجد من السيل إلى عُشَيرة فالمويه، وهو الطريق القديم. وفي عُشيرة مدرسة وإمارة تابعة للطائف، وتبعد عُشيرة شرق مكة (١٥٩) كيلًا، على طريق الزيمة فالسيل.

المؤلف: كتب هذا النص، ومعجم معالم الحجاز يطبع، ولكن الطريق لم يمر بعشيرة، فقد تركها يساراً وسار إلى الحوية، وقد وصفناه في متن هذه الرحلة، وحددنا مفرقها.

عُصَيل: أوله مهملة وثانيه، ثم مثناة تحتية فلام.

وادي عُصَيْل: هو أعلى وادي حلبان، أي أن وادي حلبان: أعلاه عُصيل، وأسفله حلبان.

عطفة الحنفة: العطف عند أهل هذه الديار هو منحنى الوادي.

وهذه قرية صغيرة تجاور قرية (بادية) من الشمال، ومن قرى هرجاب أحد فروع بيشة.

العَطْيَان:

إحدى القرى المحيطة بالحِلَّة: قاعدة بني تميم بالحوطة (حوطة بني تميم).

العُطَيْن: كتصغير عَطَن.

قرية يسار الطريق من الطائف إلى الرياض، يفرق طريقها إلى اليسار على قرابة (٢٠٥) أكيال من مكة، ولم نقس طريقها من الطائف، ولكنه يقرب من (١٢٠) كيلًا تقريباً.

عفيف: بفتح العين المهملة وكسر الفاء، ثم ياء مثناة من تحت وفاء أخرى، بلفظ العفيف من الناس.

مدينة عامرة على الطريق القديم بين مكة والرياض.

جاء في الرحلة النجدية:

عفيف: أخذنا نصعد في هذه المنطقة الجبلية[1]، التي لا يكاد شعراء العرب يتركون منها شيئاً إلا خلدوه في شعرهم، فأشار أبو راشد إلى جبل يضرب إلى الحمرة تبدو نعوفه وقننه من وراء الأجبل الأقل ارتفاعاً، فقال: «ذيك جبلة» وسكّن الباء، والمعروف «جَبَلَة» بثلاث فتحات: من أشهر جبال شرف نجد، وفيها للعرب أيام، وتقع يمين الطريق بين البجادية وعفيف[2]. وبعد (١٧٩) كيلاً من الدوادمي وصلنا إلى عفيف؛ وكان قد فرق قبلها بأربعين كيلاً طريق الجمانية إلى الجنوب. وعفيف: بلدة كانت على بئر مورداً للبادية ومحطة في هذه الصحراء القاحلة، وكانت تعرف ببئر عفيف، تقع على السفوح الغربية لتلك السلسلة الجبلية الممتدة من الجنوب إلى الشمال، والتي من أشهرها جبال: النير، وثهلان، وجبلة، وروى لي شيخ معمَّر أنه أدرك عفيف هذه وليس بها شيء من العمار يذكر، ثم تقدمت في العهد السعودي فصارت سوقاً تباع فيها الإبل والأغنام وكل ما يحتاجه الناس، وجعلها بعدُها عن المدن الآهلة مجلبة لكل بضاعة، ومقصداً لكل طالب حاجة. (وانظر الرحلة النجدية ص ١١٣).

العَقِيمي: كالمنسوب إلى العقم، والعَقْم في عرف زراعي الجزيرة سد ترابي يروض الماء للانتفاع به للزراعة.

والعَقِيمي هو وادٍ فحل يسيل من الجهات الشرقية لحوطة بني تميم ثم يمرُّ من شرقيها، ثم يتجه شمالاً حتى يصب في الخرج، يمينه البياض، ويساره الطريق من الخرج إلى الأفلاج.

العِلْبَة: إما بلفظ الوعاء المعروف، أو مؤنث العِلب، وهو الغابة الكثيفة في وسط الوادي.

---

(١) أي من جهة الدوادمي باتجاه مكة.

(٢) انظر عنها كتابي على ربى نجد.

قرية عامرة على الطريق المزفَّت الخارج من بلدة تربة جنوباً، على (٤٦) كيلاً. فيها مدارس ومساجد، ونزلها كثير.

العَلَم: بلفظ العلم الذي هو البيرق، أو الجبل الضخم.
مجموعة جبال عالية، تشرف على بلدة الخاصرة القديمة من الشمال.

عُلَيَّة: من العلو بالتضعيف.

قُلَّةٌ من قلل جبل طُويق، إذا سرت على الجادة الرئيسة بين الخرج وحوطة بني تميم تراها غرباً، أشمخ ما في هذه الناحية.

العَمَار:
إحدى القرى المحيط بمدينة لَيْلى، في الأفلاج.

عُمان: بضم العين والميم مخففة، وآخره نون.
إقليم مشهور من أقاليم جزيرة العرب، ظل على مر العصور دولة مستقلة ما عدا فترات نادرة، يحده من الغرب حضرموت والربع الخالي، ومن الشرق والجنوب مياه البحر العربي وخليج عمان، ومن الشمال المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة.

عاصمته مسقط: مدينة ساحلية جميلة، ونوع الحكم سلطنة ملكية، وأهله ديِّنون، يحكِّمون الشريعة، وهذا فخر لهم وخير كثير، في الوقت الذي تنكَّر لشرع الله الكثيرون.

العمائر: كجمع عمارة.

أرض زراعية بأسفل وادي رنية، استصلحت للزراعة فسميت العمائر، لقوم من سُبيع.

عَمْقٌ: عين مهملة مفتوحة وميم، وآخره قاف.

وادٍ يعترض الطريق المزفت الخارج من بلدة تربة جنوباً، على (٥٢) كيلًا، وجنوب قرية العلبة بستة أكيال.

وهو من الأودية المنقضَّة من السراة، ثم يذهب مشرقاً فيصب في وادي تربة.

العواقر: جمع عاقر = العاقر، وقد تقدم.

العوجاء: عين مهملة وبعد الواو جيم ممدودة.

شعيب يصب من يعايم، بين رنية والخرمة.

العَيْثَمَةُ: فيعلة من العثم.

قرية لمُخَلَّف من حرب، من نواحي المدينة، إذا سرت على الطريق بين المدينة والقصيم فتجاوزت عرجاء، كانت العيثمة على يسارك، لا يمر بها الطريق، تبعد عن عرجاء (٣٥) كيلًا شمالًا شرقياً، وعن النقرة (٢٥) كيلًا غرباً إلى الشمال.

ويقول أهلها[١]: إنها كانت عداً ترده البادية، ثم إن بطحي بن صندل المخلَّفي استوهبها من الملك فيصل بن عبد العزيز فوهبها له، فأسَّسَ بطحي فيها هجرة. وأميرها اليوم ابنه، وتتبع إمارة حائل.

فيها مركز إمارة، ومدرستا بنين: ابتدائية ومتوسطة، ومدرسة بنات ابتدائية. ويقول أهلها أيضاً: إن الحاج كان إذا خرج من النقرة يردها.

وكان تأسيسها كتجمع سكاني بعد (١٣٨٠ هـ) أي في أول الثمانينيات.

العَيْن: بلفظ عين الماء أو عين الإنسان.

---

(١) قابلت أخا أميرها واسمه معزّي بن بطحي المخلفي: في الرياض، انظر: أيام في الرياض من متن هذه الرحلة.

قرية قديمة في وادي هُمَيص، أحد مثاني وادي هِرجاب، فيها مزارع ومدرسة ومسجد، ويسمى الوادي عندها (المُسَيْرق).

عيون الأفلاج: جمع عين، والأفلاج عرِّفت في مادتها.

خسوف ذات فوهات ضخمة، تقع جنوب مدينة ليلى على قرابة (٢٠) كيلًا. الحديث عنها في نجد كالقول: (تسمع بالمعيدي خير من أن تراه)[١]، وقد أوفيتها الوصف بالمشاهدة في متن هذه الرحلة، فعد إليه إن شئت.

---

(١) مثل عربي مشهور.

حرف الغين

الْغَاط = لغاط:

الغَافَة: غين معجمة، وبعد الألف فاء ثم هاء، مخفف.

إذا سرت على الطريق وأنت آتٍ من بيشة، فإذا وصلت إلى (٩٧) كيلاً على المزفتة فرق إلى اليسار طريق (الغَافَة): قرية في أعالي وادي رَنْية، فوق الأملح، سكانها من سُبيع.

آل غُبَيْش: من آل خُليف. انظرها.

الغُرَاب: بلفظ الطائر المعروف، وقد يقال (غراب) بلا تعريف.

منطقة زراعية جنوب بلدة تربة، وقريبة من الخرمة، ذات سكن ومدارس ومساجد.

الغَرِيف: فعيل من الغرف، ومثل هذا الاسم ومشتقاته تعني عندهم قرب الماء إلى وجه الأرض.

مثناة من وادي تربة بين (تربة البقوم) والخرمة - انظرهما - فيه مزارع ومياهه وفيرة، وفيه قرية كبيرة بهذا الاسم، تبعد عن الخرمة (٤٠) كيلاً جنوباً مع ميل قليل إلى الغرب، فيها مدارس ومساجد، وسكانها بني عمر من سبيع، وفي الغريف مركز إمارة يتبع بلدة الخرمة، وقد حرَّفه أهل الخرائط تحريفات كثيرة (انظر المتن).

الغزالة: بالتخفيف.

قرية من توابع تثليث، غربيها عن قرب، لآل جَمَل من قحطان.

الغُزَيْزُ:

رمل ذكر في ذويبان.

الغَضَاة: أوله غين معجمة، ثم ضاد معجمة أيضاً، وآخره هاء.

قرية على الطريق بين تثليث وخميس مشيط، تبعد عن تثليث (٩٠) كيلاً، وهي عامرة، وجوها بديع صالح للاصطياف.

الغُطغُط: بتكرار الغين المعجمة المفتوحة أو المضمومة (لغتان) والطاء المهملة، أولاهما ساكنة، والثانية معربة.

مدينة عامرة في وادي قرقرى، إذا خرجت من الرياض على طريق الحجاز السريع فأقبلت على نفود قنيفدة، كانت الغطغط على يمينك لا يطؤها الطريق، وإذا خرجت نفس المخرج على الطريق القديم قبل أن تتجاوز ضرما، كانت الغطغط على يسارك، ولا يمر بها هذا الطريق أيضاً، وهي غرب مدينة المزاحمية وانظر ـ إن شئت ـ كتابي الرحلة النجدية.

غُطَيط: بغين معجمة، وطائين مهملتين، وبينهما مثناة تحتية.

جبل ذو رأسين، إذا خرجت من قرية المَضَّة تؤم الخميس رأيته على يسارك، تراه وترى زيداً، والرأسان أحمران يدعى أحدهما غُطيطاً، والآخر المطوي.

وادي الغُول: بلفظ الغول الذي تُحكى حوله الأساطير.

وادٍ يسنيل من المرتفعات الواقعة بين خميس مشيط وبين طَرِيب، ثم يتجه شمالاً، ثم يجتمع مع وادي طريب فيصبان معاً في وادي تثليث، فيه زراعة، وجوه معتدل صيفاً.

الغَيْل: بفتح الغين المعجمة، بلفظ الماء الذي يجري، وهو دون النهر.

منطقة ذات زراعة وأهل، شمال غربي ليلى، على وادٍ يدعى عشيرب من أودية الأفلاج التي تصب قرب ليلى.

حرف الفاء

الفَرْشَة: حيث ينفرش ماء الوادي في الأرض الواسعة.

أرض واسعة، شرق قاعدة رنية، وشمال الروشن ـ قاعدة بيشة ـ يجتمع فيها سيل وادي بيشة بوادي رنية، يحدها من الغرب العَدَام، ومن الشمال عرق سُبيع، ومن الجنوب بيشة بمزارعها وديارها، ومن الشرق (المهمل) أرض واسعة كالفرشة، ثم تفيض سيول الفرشة والمهمل إلى وادي الدواسر.

الفَرِيدة: كمؤنث الفريد، مفتوح الأول.

جبل بارز يدخل الطريق السريع بينه وبين دَمخ. انظره.

الفريشة: تصغير الذي قبله.

قرية من قرى الأفلاج، قرب ليلى.

فَلَج: فاء ولام وجيم، محرك.

بلدة قديمة، هي أم إقليم الأفلاج، ولكثرة ما كان فيها من العيون الجارية (الأفلاج) سمي الإقليم إقليم الأفلاج، ولما كبرت مدينة لَيْلَى صارت هي القاعدة، وصار اسم الأفلاج يشمل الإقليم كله، وذهب اسم فَلَج، ولا يستبعد أن تكون مدينة ليلى هي فلج القديمة، لها ذكر في المعاجم والرحلات القديمة.

الفيصلية:

من القرى المحيطة بمدينة ليلى، في الأفلاج.

حرف القاف

القاسم:

إحدى قرى الأفلاج قرب مدينة ليلى.

وادي القاع: والقاَع: الأرض الطينية التي لا تنبت شيئاً.

ووادي القاع: أحد مثاني وادي هرجاب يمر فيه الطريق بين خيبر وبيشة.

قَحْقَحٌ: بالقاف المفتوحة والحاء المهملة، وتكرارهما (قح قح).

وادٍ من روافد وادي السُّرَّة، من أودية عرض القويعية.

القَدِّيَّة: كالمنسوبة إلى القد، قاف فدال مهملة.

هي العقبة الكأداء التي يصعدها الطريق السريع ثم يهبط منها إلى الرياض من طريق الحجاز، منحدرها الغربي إلى وادي (لحاء) والشرقي إلى وادي حنيفة، ومسلكها في جبل طويق الشامي إذا حاذى مدينة الرياض من الغرب.

القرائن: كجمع قرينة.

هضاب عالية إلى يمين الطريق من بيشة إلى رنية، تلي هضاب أم وشام من الشمال.

القَرْعاء: كمؤنث الأقرع.

أرض أو منطقة جنوب شرقي أبها، طيبة الهواء حسنة المناظر، خطط قسم منها ليكون مصيفاً، تبعد عن أبها (٤٠) كيلاً، جوها جميل رائع، ما زرتها في فصل الصيف إلاَّ والمطر يهطل، وهذه الرحلة جرى لنا ما جرى فيها، فراجع متن الرحلة.

قَرْقَرى: على وزن فَعْلَلَى.

نهي يتوسط إقليم نجد، يقبل من الشمال الغربي، حيث يأتي بجلِّ مياه إقليم الوشم: شقرا وأُشيقر، وغيرها، ثم يتجه اتجاهاً مشرقياً تدريجياً حتى يمر بضرما والغطغط والمزاحمية، فيفزر جبل طويق قسراً فيجعله جنوبياً وشمالياً، ثم يسمى «لحاء» حتى يصب في حائر سبيع، فيجتمع بوادي حنيفة، ثم تجتمع هذه بواديي الأوسط ونساح، فتصب جميعها في الخرج، فإذا اجتازت الخرج سمي (وادي السهبا) فيضيع في رمال الدهناء، ويقول أهله: إذا كثر ماؤه فزر الدهناء وأبحر.

القَرنين (القرنان):

قرية بين قرية تمرة ومدينة الخماسين، من وادي الدواسر.

القرهاء: كالقرعاء، بابدال عين القرعاء هاءً. وهي لغة كالقلحاء والجرباء، ونحو ذلك.

قرية جنوب أحد رفيدة، على الطريق بين خميس مشيط ونجران، ليست بعيدة من أحد رفيدة.

قريش الأعاضيد:

الاسم لقبيلة، هي فرع من قريش، لها قرية في وادي المبعوث، تبعد عن الطائف نحواً من (٨٠) كيلاً[١].

القُصورية: كالمنسوبة إلى القصور، جمع قصر.

---

(١) انظر معجم قبائل الحجاز.

قرية مجاورة لقرية طُحي، وقد ذكرت طُحي.

قضَّة المباريش: بفتح القاف وتشديد الضاد المعجمة، من قض الشيء يقضه.

قرية في أعالي وادي هِرجاب، شمال خيبر عسير، على الطريق منه إلى بيشة، شمال الحامض بثلاثة أكيال فقط، فيها زراعة ونخل.

قَطَرٌ: أوله قاف وطاء مهملة وراء: بالتحريك.

إقليم ودولة على الشاطىء الغربي للخليج الإسلامي العربي، أرضها شبه جزيرة داخلة في الخليج، وعاصمتها مدينة الدوحة، وقطر عضو مجلس التعاون الخليجي.

القطين:

إحدى قرى الأفلاج، قرب ليلى.

قُنَيْفِدَة: بالتصغير، كأنها أنثى القنفد.

نفود تعترض الطريق الخارج من منطقة (الجِلْه) باتجاه الرياض، على نحو من تسعة وسبعين كيلاً من القويعية، وهي سلسلة حبال رمل تمتد من الشمال إلى الجنوب، تتخللها شقائق خالية من الرمل تنبت المرعى ويتخذ بعضها مزدرعاً.

القَوْزُ: قاف وواو، وآخره زاي: وهو في عرفهم: رمل منقطع كالأكمة.

مكان من أسفل وادي رنية، قرب العمائر.

القُوَيع: تصغير قاع.

قرية جنوب غربي القويعية على أحد فروع وادي الصرداح، يمين الطريق وأنت تؤم القويعية من جهة الحجاز، ذات زراعة ونخل.

القُوَيْع، أيضاً:

إحدى قرى حوطة بني تميم، ذات نزل وزراعة حسنة.

القُوَيْعِيّة: مصغر القاعية، وهو مشتق من القاع، وهي الأرض الطينية التي لا تنبت شيئاً.

مدينة صغيرة عامرة نظيفة متسعة، هي أعمر وأنظف ما بين الطائف والرياض، فيها كل ما في المدن من خدمات للمجتمع، مساجد ذات منارات شاهقة، ومدارس متعددة الطبقات، وبلدية نشطة، تقع على وادي (الصِّرداح) وإذا سرتَ فيها ظننتها مدينتين، لانعزال أو شبهه في وسطها، ولأنها أم هذه القرى سُمِّي العرض باسمها فقيل (عرض القويعية)، تبعد عن حلبان (١١٠) أكيال، وعن الرياض (١٧٠) كيلاً.

قَهَاوي السُّوَطَة:

جمع قهوة أي (مقهى) والسوطة قبيلة معروفة(١).

محطة جنوب شرقي الطائف على الطريق إلى الباحة(٢).

القُهْبان: كجمع أقهب، وهو لون معروف في البادية.

سلسلة جبل أعرف فزره الطريق، فجعل جلَّه يميناً، وهي تتصل بسلسلة المظهور، فكأنهما سلسلة واحدة، تبعد عن ظلم نحواً من (٨٠) كيلاً شرقاً.

القَهَر: أوله قاف، وبالتحريك.

سلسلة جبيلة بين تثليث ومدينة الخماسين قاعدة الدواسر، على يسار من أمَّ تثليث على ذلك الطريق، أولها مما يلي وادي الدواسر على

---

(١) انظر معجم قبائل الحجاز.

(٢) انظر كتابي (بين مكة وحضرموت).

(٥٣) كيلًا من الخماسين، ثم تسايرك إلى أن تقبل على تثليث، أي مسافة تزيد على (١٠٠) كيل، ثم تترك الطريق وتجنب حتى تسامت شمال شرقي خميس مشيط. وهذه غير القهر، السراة المعروفة جنوب إقليم عسير.

قِيا: قاف مكسورة، ثم مثناة تحتية مقصور.

بلدة في فضاء من الأرض، عامرة على الطريق بين الطائف والباحة، شمال الجبوب. وانظر إن شئت (بين مكة وحضرموت).

القَيْرَة: بفتح القاف وسكون المثناة تحت، مؤنثاً.

نزل سيتحول إلى قرية، في وسط خبت (جبجب) تبعد (١٠٠) كيل عن مدينة الخماسين، على الطريق إلى تثليث.

القِيَعَةُ: وهي الطين المترسب من تكرار السيول، جمع قاع.

مكان شمال شرق بلدة الخرمة، بطرف عرق سبيع، إليه ينتهي سيل وادي الخرمة = تربة، وما فاض منه يمتصه الرمل.

حرف الكاف

كُتْنَة: كاف مضمومة، ثم تاء مثناة فوق ساكنة.

قرية في وادي هرجاب شمال قرية القاع، إذا مر بها وادي هرجاب سمي بها، فيها زراعة حسنة ومدرسة ومسجد.

الكُرَاع: بلفظ كراع الدابة.

حُرَيْرة تعترض الطريق بين رَنْيَة والخُرمة، على (٣٣) كيلًا من بلدة الروضة، روضة رنية.

الكِلَابُ: جبال إذا أقبلت على تثليث من جهة وادي الدواسر، رأيتها يسارك بعيداً وهي من قمم جبال القهر إذا شمخت في الجنوب.

قلت: لا يستبعد أنه (الكُلاب) المشهور الذي لجأت إليه بنو تميم، وكان فيه يومان للعرب.

كلَّان: انظر سنانير.

كَمَدَة: كمؤنث الكمد، وهو معروف.

أصل التسمية لجبل يسيل منه وادي تمرة، شرق بلدة الخماسين بما يقرب من (٥٠) كيلًا، ثم قامت هذه القرية قريباً منه فسميت كذلك.

الكواكب: كجمع كوكب.

مثناة متسعة من أسفل وادي الدواسر قبل وصوله إلى بلدة السُّلَيِّل،

فيها غابات مدلهمَّة من النخيل والحشوش التي تنمو عثرياً، وأرضها دمْثَة شديدة امتصاص الماء، إلّا أن خصوبتها ظاهرة من نباتها، وأنها صالحة كمنطقة زراعية.

الكوْرُ: بفتح الكاف، وسكون الواو، وآخره راء مهملة، وهو اسمه منذ الجاهلية.

جبل ضخم يقع جنوب غربي بلدة رنية (الروضة)، إذا أقبل وادي رنية من السراة فتق جبل الكور في مضيق يسمى الخَنَق، يفصل بين الأملح في صدر الوادي، والضُّرم بعد الخنق، ثم يدفع إلى الروضة.

ومن القدم كان يُقال: الكَوْر: جبل رَنْية. وإذا سألت سبيع اليوم، قالوا: الكور جبل الخنق، وإذا كنت في رنية ـ أي البلدة ـ ترى الكور مشرفاً عليها من الجنوب.

حرف اللام

لَبْخَة: وتُميَّز بلبخة صُويت.

قرية، هي إذا خرجت من القويعية تَوُمُّ الرياض فرق طريقها إلى اليسار على (٥٥) كيلًا تقريباً من القويعية.

لحاء: بلفظ لحاء الشجر.

وادٍ فحل من أودية اليمامة، يأخذ السيول التي تتجمع في سهل قرقرى، ثم يصب في حائر سبيع مجتمعاً بوادي حنيفة، وبقية الوصف في (قرقرى).

وجاء في الرحلة النجدية:

وادي لحاء: نهي عظيم يمر غرب الرياض وغرب وادي حنيفة المتقدم، يأتي من أطراف الوشم الشرقية وعليه كثير من مدن ذلك الإقليم، ثم يتجه جنوباً شرقياً بين سلسلتي طويق «عارض اليمامة»، ويأخذ روافده منهما من اليمين والشمال، ويمر ببلدة ضرمة ثم بديراب «دعاه ابن خميس أديراب»، ثم يجتمع مع وادي حنيفة في حائر سبيع.

وهو وادٍ واسع، كما أسلفنا، مستقيم ليست به عرج تذكر، ولذا تقل مياهه، وبالتالي يقل سكنه عن وادي حنيفة، ويأخذه طريق الحجاز منذ أن يهبط ديراب إلى بلدة مراة، وأعلى وادي لحاء كان يسمى قرقرى، له ذكر في كتب الأدب.

لُغَاط:

لام مضمومة، وغين معجمة، وبعد الألف مهملة، ولا يعرف اليوم

عند عامة الناس إلّا باسم (الغاط) بإدخال ألف في أوله، وسبب ذلك أنهم سكّنوا اللام، ثم ظنوا أن قبلها ألفاً، فحصل التحريف.

جاء في كتاب الرحلة النجدية:

لغَاط: بالتخفيف: بلدة صغيرة على (٣٧) كيلًا من الزلفى، بيوتها من اللبن ذات طبقة أو طبقتين، في وادٍ ضيق كثير النخل، ولضيق الوادي لم يجد الطريق مناصاً من هدم الكثير من بيوت الغاط حيث بدت الجدر المنهارة على قاعة الطريق. وكان واديها يمشي سرباً في ذلك اليوم، وفي الغاط مدرسة ومسجدان، وإمارة أحسبها تابعة للزلفى، ولضيق واديها تفكر الحكومة في نقلها إلى ظهر ذلك الحزم الذي ينحدر منه واديها، وتخطيطها تخطيطاً حديثاً، وواديها يتجه إلى سهل الزلفى مغرباً. ولأهل الغاط ـ على صغر بلدهم ـ ذكر غير خامل في نجد، ومنهم أمراء نواحي وكتاب وموظفون مرموقون، و «الناس مخابر وليسوا بمناظر!». ويقول الشيخ عبد الله بن خميس[1]: كان اسمه «لُغَاط»، وأورد لعمارة بن عقيل:

وعلا «لُغَاطَ» فبات يلغط سيله ويلجّ في لبب الكثيب ويصخب

ولعقبة بن قدامة الحبطي يمدح بني مازن:

هُمُ صعدوا بني قيس بن سعد على القصبات، بالبيض القصار
وردوهم غداة «لُغاط» عنهم بأكبادٍ وأفئدةٍ حرارِ

(عن كتاب الرحلة النجدية).

لَقْعَة: لام وقاف ثم عين فهاء.

قرية على الطريق بين حلبان والقويعية، على بعد (٧٢) كيلًا من حلبان. وقد شرحت ملابسات اسمها في متن هذه الرحلة.

---

(١) عن معجم البلدان: لغاط.

لَيْلَى: بلفظ اسم المرأة المشهور عند العرب (لَيْلى).

مدينة عامرة في جنوب نجد، هي قاعدة إقليم الأفلاج، وهي في فضاء من الأرض بين أرض البياض شرقاً، وجبل طويق غرباً، وفي منتصف المسافة تقريباً بين الرياض ووادي الدواسر، بحيث تبعد عن وسط الرياض (٣٥٠) كيلاً، وعن وسط الخماسين، قاعدة وادي الدواسر، (٣٥٠) كيلاً أيضاً.

أحياؤها كثيرة ونزلها كذلك، وأرضها زراعية كثيرة المياه، تحفُّ بها المزارع، ولها أسواق تجارية عامرة.

وأخذنا من معجم اليمامة ـ باختصار ـ[1]:

ليلى: قاعدة إقليم الأفلاج، ومن أكبر مدن الجنوب ـ أي جنوب اليمامة ـ وأكثرها تطوراً وقابلية للتطور.

ومدينة ليلى غنية بالتجارة، وحركة البيع والشراء.

ومن أشهر أحياء (ليلى): (غَصِيْبَة)، و(الخُرَيْمِي)، و(الجُفَيْدَرِيَّة)، و(الرَّابِعِي)، و(المَبْعُوثَة)، و(الحُصَيْنِيَّة)، و(المُبَرَّز)، و(حلة آل فالح)، و(الجَدِيْد)، و(الحزم)، و(الموقفة)، وأحياء أخرى قديمة وجديدة.

وفي (ليلى) قصور قديمة وحديثة تضاف إلى أهلها غالباً، فمنها: قصر (آل أبو راس) في (المُبَرَّز)، وقصر (آل بَازع)، وقصرا (القري) الشرقي والغربي، بني الأول في عهد الرديني والثاني في عهد فهد بن هضبة، وقصر (بهجة) لآل بازع، وقصر (آل مفلح) (الجَذَالِين) غرب (ليلى)، وقصر (الإمارة)، وقصر (العجالين)، وقصر (آل جابر)، وقصر (آل شجاع)، وقصر (الجفيدرية) لـ (آل حمدان)، وقصر (مُرْضي)، وقصر

---

(١) معجم اليمامة لابن خميس، ص ٢١٨.

(البَطْرَة) لـ (آل حامد)، وقصر (الجَبَّارِيْن)، وقصر (آل راشد)، وقصر (آل صقر)، وقصور (الشثور) غامرة؛ وتسمى الآن: (النقية).

انتهى.

لِيَّة: بكسر اللام، وتشديد المثناة تحت، وآخره هاء.

وادٍ فحل من أودية الطائف، سبق وصفه في المعجم الكبير (معجم معالم الحجاز) فأغنى عن التكرار.

حرف الميم

مَبْدَا النعام: من بدا يبدو، مضاف إلى الطائر المعروف.

وادٍ على قرابة (٧٣) كيلًا من بلدة الروشن، على الطريق منها إلى رنية، ينتهي سيله إلى وادي (خَدَّان) أحد الأودية التي تخترق هذا السهل الواسع، ثم في وادي (الدَّيَّة).

المَبْعُوث: كمفعول البعث.

وادٍ فيه زراعة ومياهه رهيَّة، غير أن عمرانه أقل من إمكاناته، هو مجمع أودية العرج وشرب والمهيد، فيصب في سهول ركبة في سيوح هناك، يقطعه طريق الطائف ـ المنجد على قرابة (٦٠) كيلًا، ويقول البعض: إن سيوله إذا كثرت تصب في عقيق عُشَيرة، جل سكانه اليوم من قريش، وقد قال لي أحدهم إنهم قريش المُدَنة، وليسوا الأعاضيد، ولكن هذا هو المستفيض عن الناس[١]، أي إنهم يسمون (الأعاضيد).

المَثْعَب: على زنة مَفْعَل أوله ميم ثم ثاء مثلثة.

وادٍ به نزل وزراعة، تراه على يمينك وأنت على الطريق بين الحوطة وليلى، ولكنه ليس بعيداً عن الحوطة.

المجامعة:

جبال المجامعة: سلاسل جبال تشرف على بلدة الروضة ـ في رنية ـ

---

(١) انظر عنهم: معجم قبائل الحجاز، مادة (قريش).

من الغرب والجنوب، والمجامعة فخذ من قبيلة سبيع (انظر معجم قبائل الحجاز).

المجازة: من جاز الشيء، أي تجاوزه.

وادي المجازة بناحية حوطة بني تميم، إذا اجتمع واديا بريك ونعام سمي الوادي وادي المجازة حتى يفضي إلى السهل جنوب الدلم، وهو كثير المياه والأهل، خضر نضر.

جاء في معجم البلدان: وادٍ وقرية من أرض اليمامة، ساكنه بنو هِزّان من عنزة بن أسد بن بيعة، وبها أخلاط من الناس من موالي قريش وغيرهم سكنوها بعد قتلة (مسليمة الكذاب) لأنها لم تدخل في صلح خالد بن الوليد لما صالح أهل اليمامة، وبها جبل يقال له: شَهْوان، يصب فيه نَعَام وبِرْك.

قلت: قوله يصب فيه نعام وبرك، لعل صوابه يصب منه نعام وبريك، لأن الجبل تصب منه الأودية لا تصب فيه، ولأن نعاماً وبريكاً يلتقيان في المجازة، كما تقدم، فشهوان، هذا فيما يبدو، هو الجبل الذي يفصل بين الواديين.

المحاني: كجمع منحنى.

وادٍ فحل يأخذ من حرة سُليم، فيقاسم واديساية الماء، ثم يذهب شرقاً حتى يصب في قاع النجيل[1].

مَحَائل:

مدينة متوسطة عامرة في تهامة عسير، تقع شمال غربي أبها، وشرق مدينة القنفدة، وتقع على فرع من فروع حلي، فيها إمارة تتبع إمارة عسير (أبها)، والمسافات بينها وبين مدن تهامة موضحة في كتابي

(١) انظر عنه كتابي (على ربى نجد).

(بين مكة واليمن)، وكذلك فصلت سكانها هناك وجغرافيتها، فأغنى عن الإعادة.

مُحَيْرِقة: كتصغير محرقة.

قرية بين مويسل والقويعية، من قرى عرض القويعية.

المَخَاتِمِيَّة: الخاء معجمة، والياء مشددة.

طعوس ونفود تعترض بين الفرشة ـ إذا اجتمع فيها سيل بيشة ورنية ـ ومطلع الشمس، فتعيق سيل الفرشة دون وادي الدواسر، فإذا عظم السيل تجاوزها.

المخيتيم: تصغير المختوم.

نفود صغير يعترض الطريق بين قرية الحوميات وحلبان.

المَدْسَم: كأنه من الدسم.

وادٍ يعترض الطريق من رنية إلى الخرمة، قبيل وادي الخرمة مما يلي رنية، ويجتمع مع وادي المشقر ووادي السدري.

مَدَقَّة: كأنّه المكان الذي يدق فيه.

جبل أسود منقاد في الأرض يشرف على قرية (رويضة العرض) من الجنوب الشرقي، بينهما الطريق العام.

المدينة: بلفظ المدينة المنورة.

قرية من قرى تثليث، جنوباً عن بلدة تثليث على الناحية الغربية من وادي طريب.

المُسَيْرِق: تصغير مَشْرق.

وادٍ زراعي يقع شمال خيبر الجنوب، على الطريق إلى بيشة.

مَرَّان: كتثنية مَرّ.

وادٍ يسيل من حرة كشب إلى الجنوب الغربي، فيه زراعة ومنازل مستحدثة للرُّوَقَة من عُتَيبة. كان عامراً في قديم من الدهر، يدل على ذلك ما وجده الروقيون من فلج عيون مندثرة، وأفواه آبار مطوية مجصصة قد اندفنت، وصار اليوم مأهولاً بهم ومياهه حسنة.

وقالت مويضى البرازية من مطير:

منازل الخفرات بيض المفارقْ   مَرّان مَشْهَى مِفْتِر الخَلْفِ ولْقَاحْ

الخلف: الخلفات من الإبل، ولقاح: جمع لقحة، وهي الناقة الحامل.

(عن معجم معالم الحجاز (مران))، وهناك بحث مطول.

المَرْدَمة: من الردم، وكأنها مكانه.

جاء في كتاب الرحلة النجدية:

وبينما كنا خارجين من عفيف ـ أي باتجاه مكة ـ كان إلى يسارنا جبل أسمر ململوم يسمى (المردمة)[1]، وهناك بقية النص.

مَرْوان: فعلان من المرو، وهو نوع من الحجارة معروف.

أرض فيها زرع ونزل، ومدرسة ومسجد، فرق طريقها إلى اليسار، أي جهة البياض، ونحن نسير بين عيون الأفلاج والبديع، وكلها بين ليلى والسُّليّل، من إقليم الأفلاج.

ولمروان جارتان، هما: سويدان، والرُزَيْقِيّة، تماثلانه في الوضع.

مُرَيْغان: تصغير فعلان من المراغ، وهو الطين المثار.

جبل تراه إذا أقبلت على تثليث جنوباً، هو آخر سلسلة جبال ربَّة المتقدمة، تراه بارزاً عما حوله في ديار قحطان.

---

(١) الرحلة النجدية ص ١١٥.

المُزَاحِميَّة: كالمنسوبة إلى مزاحم أو جمعه.
بلدة عامرة، غرب الرياض بما يقرب من (٨٠) كيلاً، عمرتها قبيلة المزاحمة من الروقة من عتيبة في القرن (١٣) الهجري.

مُزَعِل: كفاعل أزعل أي أغضب.
قرية غرب القويعية من قرى عرض القويعية.

المساهِر:
من جبال سلسلة صِهر التي ترى من بلدة الروضة - في رنية - شرقاً إلى الجنوب.

المِسَلَّة: وكأنه باسم الآلة التي تشبه المخيط أو نحوها.
جبل يشرف على بلدة الجوهرة من الغرب، شمال خميس مشيط.

المشاعلة: وهو جمع مشعل، جمع قلة، وكل جمع مؤنث.
قرية، إذا خرجت من الرياض فرق طريقها إلى اليمين قبل أن تصل إلى نفود قنيفدة.

المَشْقَر: كأنه مكان الشقر، وهو في عرفهم مفرق الطرق.
وادٍ يعترض الطريق وله جسر، على (٢٤) كيلاً من وادي الخرمة (وادي سبيع) باتجاه رنية.

وهو ووادي السدري يجتمعان ثم يفرغان في وادي سبيع (وادي الخرمة) من ضفته اليمنى، بعد أن يجتمع بهما وادي المدسم.

آل مُشيط: باسم الأسرة الذين أسسوا سوق خميس مشيط.
قرية تقع جنوب خميس مشيط.

المصارير: ميم وصاد، وبين الرائين المهملتين مثناة تحتية.
قرية للدواسر، إذا سرت من تمرة إلى الخماسين كانت على يسارك.

المَضَّة: ميم وضاد معجمة مشددة، ثم هاء.

قرية في فضاء من الأرض متسع، على الطريق بين تثليث وخميس مشيط، تبعد، عن تثليث (٨٤) كيلاً، هي عامرة نسبياً.

المَطْوي: انظر (غطيط).

مُظَلَّلَة: بلفظ الموضوع في الظل.

قرية زراعية جنوب شرقي الطائف. انظر إن شئت (معجم معالم الحجاز).

المَظْهُور: بلفظ ما أظهر على غير قياس.

سلسلة جبلية، بل جبيلات حمر كالخيام متقاطرة من يسار الطريق إلى يمينه، مبعدة عن الطريق الجديد بين مكة والرياض، تبعد عن ظلم قريباً من (٧٩) كيلاً من جهة الرياض.

وفي متن هذه الرحلة تعليل لسبب التسمية.

أم المَقَارِب: من القرب إلى الشيء.

جبل أسود بل أسمر، يفزره الطريق الجديد بين مكة والرياض، على قرابة (٤٠) كيلاً من ظلم شرقاً، مستطيل من الشمال إلى الجنوب يشبه العرفاء، وتسمية أم المقارب ذكرت في متن هذه الرحلة.

المِقْطَاع: كأنه باسم الآلة التي يُقطع بها.

قرية متوسطة، حسنة البناء والتنظيم، على فرع من فروع وادي ابن هشبل، بين الجوهرة وخميس مشيط، على (١٨) كيلاً من الأولى و (٥٠) كيلاً من الثانية من بلاد شهران.

آل مُقْطف:

قرية تجاور الشدقاء من الجنوب، بينها وبين أحد رفيدة، انظرهما.

المُقَيبِلِيّة: تصغير المُقْبِليَّة.

بئر إلى يمين الطريق شمال (ثملا)، تحيط بها هضاب عالية تدعى هضاب المقيبِليَّة، بين رنية وبيشة.

مُوَيْسِل: تصغير ماسل.

قرية غرب القويعية إلى الجنوب، وماسل: قرية أخرى أثرية شمال غربي مويسل، مويسل فرق طريقها إلى اليسار، بين طُحي والقويعية لمن أمَّ الرياض، وتقع على أحد فروع وادي الصرداح.

المُوَيْقِرة: تصغير موقرة.

جبال جنوب بلدة تثليث إلى الشرق، مياهها في وادي طريب، ووادي رخيمان، ووادي جالة.

المُوَيْه الجديد:

بلدة على الطريق بين مكة والرياض، آخذة في التقدم السريع، تبعد عن مكة بما يقرب من (٢٩٦) كيلًا، وعن رضوان مما يلي الرياض (٦٤) كيلًا، وتبعد عن الطائف (١٩٦) كيلًا. تحدثت عنها في متن هذه الرحلة، ص (١٦) وفي الرحلة النجدية، ص (١١٧).

وجاء في معجم معالم الحجاز:

المويه: بلدة قديمة في ديار عُتَيبة، كانت على الطريق القديم بين مكة والرياض، تبعد عن الطائف (٢٣٠) كيلًا في الشمال الشرقي.

كان الاسم لماء صغير هناك، ثم تقدم المنهل في العهد السعودي فأصبحت له إمارة ومحكمة ومدارس للبنين والبنات، وعندما شُقَّ طريق الأسفلت بين الطائف والرياض سنة (١٣٨٦ هـ)، عدل عنه جنوباً فتحولت بعض المقاهي ومتاجر المويه إلى مكان كان يُعرف بصمد «المحازة» ـ انظره ـ فتأسّس ما يعرف اليوم بالمويه الجديد، فأخذ ينمو على حساب القديم حتى أصبح، خلال السنوات السبع الماضية، بلدة

تطالب بجميع المرافق، فتأسَّست فيها مدرسة، وأخذت الدولة تفكر في نقل مرافق المويه إليها، وقد يموت ذلك المنهل القديم.

المَهْمَل: حيث تهمل الإبل، أي ترعى بلا راعٍ، والهملة: قلة المراقبة والرعاية.

والمهمل: حيث تكون الهملة.

والمهمل هذا: فلاة واسعة تقع بين أسافل وادي بيشة إذا تجاوز العمار والزروع وشمال وغرب وادي الدواسر، وجنوب عرق سبيع وما سامته شرقاً.

كانت الإبل تشرب من العدود التي بأسافل بيشة، وتصدر إلى المهمل.

وادي المِيَاه: كجمع ماء.

وادٍ يجاور وادي رنية من الجنوب الشرقي، يأتي من الغرب مما يلي السوادة وسفوح السراة، ثم يذهب في السهل الواسع بين رنية وبيشة، فيه عدود كثيرة لآل عمير من سُبيع، وليست فيه زراعة.

المِيقَات:

ورد هذا الاسم في المتن، والمواقيت المكانية هي مواقيت الحج. وقَّت رسول الله ﷺ للحج أربعة مواقيت: ذا الحُليفة لأهل المدينة، ويعرف اليوم ببيار علي، كرم الله وجهه، وميقات الجحفة: يقع شرق رابغ[1]، وميقات يلملم[2] جنوب مكة، وقرن المنازل وهو هذا، وهو السيل الكبير وقد تقدم، فانظره.

---

(١) انظر عنهما كتابي (على طريق الهجرة، ومعجم معالم الحجاز).

(٢) انظر عنه كتابي (بين مكة واليمن).

ثم وقَّت عمر رضي الله عنه لأهل العراق (ذات عرق)[1] شمال شرقي مكة، ثم غُيِّر ميقات يلملم في العشر الأول من هذا القرن الخامس عشر[2].

وهذه المواقيت لكل من مر بها حاجاً أو معتمراً، يحرم ويهل منها.

وقد أفتى بعض العلماء بأن المطارات التي يصل إليها الحاج جواً يجوز أن تتخذ مَحْرماً وميقاتاً، كمطار جدة.

وقال آخرون: بل لا بد أن يحرم من الميقات، فإذا كان على الطائرة يحرم على الخط الذي يحاذي الميقات. والطيارون اليوم إذا حاذت الطائرة الميقات نبهوا من يريد الإحرام.

أما من كان نازلاً دون المواقيت فيحرم من منزله، حتى أهل مكة يحرمون من بيوتهم.

---

(١) انظر كتابي (على ربى نجد) فهناك التوسع.

(٢) انظر عنه كتابي (بين مكة واليمن).

حرف النون

النَّاصِفَةُ: نون وصاد مهملة، ثم فاء وهاء.

شَعِيب الناصفة: أحد الأودية التي يطلق عليها النواصف، يعترض الطريق بين رنية والخرمة، يبعد عن رنية نيفاً وثمانين كيلاً. وانظر النواصف في آخره.

النَّايفِيَّة:

قرية بالأفلاج، جنوب غربي مدينة ليلى.

نَجْران: فعلان من النجر.

وادٍ خصيب في جنوب الجزيرة العربية، هو اليوم آخر المملكة العربية السعودية مما يلي اليمن، يبعد عن خميس مشيط قرابة (٢٥٠) كيلاً شرقاً مع ميل إلى الجنوب على طريق مزفت. أطلت في بحثه وتأريخه في كتابي (بين مكة وحضرموت) فرأيت الإعادة هنا قد تكون مملة، فراجعه هناك إن شئت.

نَخْبُ: نون وخاء معجمة، وآخره موحدة تحتية.

وادٍ من أودية الطائف، سبق وصفه في (معجم معالم الحجاز) فاغنى عن التكرار.

نَخْلَةُ: باسم النخلة شجرة الرطب.

هما نخلتان: نخلة الشامية يأخذها طريق العراق، ونخلة اليمانية يأخذها طريق اليمانية، أي طريق (نخلة اليمانية). تجتمع النخلتان فتكوِّنان وادي (مر الظهران)[1].

نُخَيْلان: تصغير نخلان، مشتق من النخل شجر الرطب.

قرية بين مويسل والقويعية، في عرض القويعية، يدعها الطريق يساراً وأنت تسير بين حلبان والقويعية.

نَدْيَان: أوله نون، على وزن فعلان من الندى، وهي الرطوبة التي تظهر على أوراق الشجر في الصباح.

وادٍ للشيابين من عتيبة، يقطعه الطريق بين قرية الحوميات وحلبان، وترى أرضه ندية، إما من الرطوبة، أو السبخاء.

نِسَاح: نون وسين مهملة، وآخره حاء مهملة أيضاً.

وادٍ فحل من أودية اليمامة، يسيل من جبل العارض (طويق) غرب الخرج، ثم يشرِّق فيصب في ذلك السهل الواسع الذي تقع فيه الهياتم والدلم ثم يذهب إلى السهباء.

نَعَامٌ: بوزن جمع نعامة.

وادٍ فحل من الأودية التي تنحدر من جبل طويق مُشَرِّقة، فيدخل حوطة بني تميم، وهناك يجتمع بوادي بريك، فيسيران معاً فيسمى وادي المجازة، وله روافد عديدة، وبه مياه وقرى وزراعة حسنة.

نَعَامٌ: أيضاً.

وادٍ يسيل من جبال الكلاب ـ المتقدم ذكرها ـ في منطقة تثليث، ثم يتجه شمالاً شرقياً فيجتمع بوادي حليمة، فيذهبان شرقاً مكوِّنَيْن وادي (سَمَارة).

---

(١) انظر عن هذا الوادي والنخلتين كتابي (أودية مكة) ومعجم معالم مكة التأريخية والأثرية.

نُفُود السُّرّ: النفود جمع نفد: هو ما تجمَّع من الرمال السافية، فيكون حبالاً ـ بالمهملة ـ متواصلة.

ونفود السر: إحدى السلاسل الكثيرة من هذا النوع في نجد.

هذه النفود تعترض الطريق الذاهب من الحجاز إلى الرياض بعد أن يتجاوز القويعية، وهي نفود مستطيلة من الشمال إلى الجنوب. وانظر متن هذه الرحلة.

النَّقِيع: بفتح النون باسم المنقوع.

أرض ذات زرع ونزل، على الضفة اليسرى لوادي بيشة، قرب الطريق، يمين المتجه إلى الطائف.

النِّماص: كأنه جمع نمص، وهو نبات يكثر في تلك البلاد.

مدينة على مرتفع من السراة، عامرة طيبة الهواء، باردة جداً في الشتاء، تقع على الطريق من أبها إلى الطائف، وعلى (١٧٠) كيل من أبها، وهي قاعدة إمارة تابعة لأبها، وسكانها: بنو عمرو وبنو شهر، من رجال الحجر من الأزد. وانظر كتابي (بين مكة وحضرموت).

نَمرَان: فعلان من (نمر) أوله نون، ونظائره بالتحريك، وقد تأتي بسكون الميم.

قرية كبير عامرة، تتناثر حولها قرى عديدة، تقع جنوب بلدة الروشن (قاعدة منطقة بيشة) على الضفة اليمنى لوادي بيشة النخل، وأهلها يُسكِّنون الميم فيقولون (نَمْران)، والطريق المزفّت يمر شرقها على مرأى منها.

النَّوَاصِف: كجمع ناصفة.

هذا مجمع سيول ما بين الخرمة ورنية، وهي تسيل من جهات حرة البقوم (حرة بني هلال قديماً) ثم تجتمع في مكان بطرف عرق سبيع (رمل بني عبدالله) فتضيع سيولها فيه، ولما أن هذه الأودية قد أُطلِق

عليها اسم النواصف فقد وهم بعض الجغرافيين فأطلقوا على حرة البقوم اسم (حرة نواصيف) فشاع في جميع الخرائط. ويظهر أن أول التحريف كان رُسَّام الخرائط الأجانب.

النُّوَيْصِفَة = البتراء. وهي إحدى النواصف المتقدمة.

النُّوَيْعِمة: تصغير ناعمة.

بلدة إذا دخلتها من جهة السليل شعرت أنك دخلت مدينة الخماسين قاعدة وادي الدواسر، ذلك أن معظم الورش والصناعات فيها، وعمرانها مشترك بعمران الخماسين، فهي حي منها، إلَّا أنها كانت قائمة بذاتها قبل اتساع العمران.

حرف الهاء

وادي هِبَة: بلفظ الهبة التي هي العطية.

وادٍ يسيل في وادي هرجاب من الشرق، على يمين المتجه إلى بيشة، فيصب في المكان المعروف بوادي القاع، وفي التقاء الواديين تقع قرية القاع، فيها زراعة حسنة ومسجد على الطريق.

الهَدَأَةُ: بعد الهاء دال مهملة، ثم ألف وهاء.

وهدة أرض (فرعة) في رأس جبل كرا، ذات مزارع وقرى لقبيلة ثقيف، ثم مر بها الطريق المزفَّت بين مكة والطائف، وهو غير طريق نخلة اليمانية، فعمرت وأصبحت اليوم مدينة تحيط بها القرى والمزارع، وقصبتها تسمى (المعالي)، وانظر غير هذا في معجم معالم الحجاز.

هِرْجَاب: بكسر الهاء، وسكون الراء المهملة، على وزن فِعْلال.

وادٍ فحل من روافد وادي بيشة، يزيد طوله على (١٠٠) ك، يأخذ من المرتفعات الواقعة بين وادي الثفن ووادي بيشة، ثم يذهب شمالاً حتى يدفع في وادي بيشة من ضفته اليمنى قرب بلدة الروشن، فيه قرى عديدة (مرَّ ذكرُها في هذا المعجم).

وهرجاب هذا اسمه من عهد الجاهلية مشهور ومتداول.

وادي ابن هَشْبَل:

وادٍ من أودية سراة خميس مشيط، هو رأس وادي بيشة، كثير

القرى كثير الزرع أهله شهران من منبعه إلى مصبه[1]، قاعدته بلدة الجوهرة على (٦٨) كيلًا من خميس مشيط بينها وبين تثليث.

هُمَيْص: هاء مضمومة ثم ميم مفتوحة، بتصغير الترخيم، من همصَ.

وادي هميص: أحد مثاني وادي هرجاب أثناء رحلته إلى الشمال.

الهياتم: كجمع هيتمة، بالمثنتين لا بالمثلثة.

قرية كبيرة بل مجموعة قرى ومزارع خضرة نضرة، على قرابة عشرة أكيال من قاعدة الخرج جنوباً غربياً، وهي إحدى مناطق الخرج الخصبة.

هِيْت: بكسر الهاء، وسكون المثناة تحت، ثم مثناة فوقية.

هو خَسْف في طرف جبل الجبيل الشمالي قرب الخرج، يُصعد له في الجبل، ثم تكون أمام فوهة واسعة، ينحدر الناس فيها في طرق للمشاة ثم تصل إلى الماء على عمق كبير. دعيت إلى نزهة هناك سنة (١٣٨٥ هـ) وذهب الناس يأتون بالماء، وكان عذباً، ولم أنزل، ولكني رأيت الماء عن بعد، ويبدو أنها ضربة نجم أو نتيجة انكسار لوجود مياه جوفية خلخلت الأرض فانخسف هذا المكان.

---

(١) عن شهران انظر كتابي (بين مكة وحضرموت).

حرف الواو

وادي ابن هشبل: ذكر في (هشبل):

وادي الدَّوَاسِر: منسوب إلى جمع دوسر، وهم القبيلة المعروفة.

وادٍ على شكل نهي واسع، تجتمع فيه سيول أودية كبار عظام، مثل: وادي بيشة، ووادي رنية، ووادي تثليث، وغيرها أصغر منها، وقد ذكرت هذه الأودية فيما تقدم، فإذا تجمعت فيه مياه هذه الأودية الفحول فاض سيله إلى السُّليل ثم إلى البياض ثم إلى الربع الخالي، وسكانه قبيلة الدواسر المشهورة، فيه زراعات حسنة ومياه غزيرة، ومدن وقرى ومعاهد ومدارس، وجوامع يذكر فيها اسم الله، وله إمارة تعرف بإمارة الوادي.

وقد أفاض ابن خميس في ذكر هذا الوادي واستطرد، فوجدت من المفيد اقتطاف بعض ما ذكر. قال[1]:

الدواسر قبيلة شهيرة قحطانية أزدية، ويلتحق بها بطونٌ وافخاذ وأسر عدنانية جمعتهم الدوسرية بالحلف، وهذه القبيلة انحدرت من سرواتها إلى جنوب نجد فملأت حيِّزاً كبيراً منه.. وغيرها من القبائل الأغلب أن يكونوا بدواً رحلاً يتتبعون مساقط الغيث ومراعي الماشية ويقطنون المناهلَ في القيظ.. أما الدواسر، فهم بدوٌ من ناحية يملكون الإبل والماشية ويعطون البداوة حقها، وحاضرة من ناحية أخرى، لهم

---

(١) معجم اليمامة: ٤٤٦ مادة (وادي).

النخيلُ والمدن والمزارع والبث والحرث، وبلادهم من أخصب جزيرة العرب وأكثرها مياهاً، وأصلحها انتاجاً، وأطيبها مرعًى، وأوسعها رقعةً.. فحدودهم من الشرق الدهناء، ومن الشمال الشرقي تمتد حدودهم حتى تأخذ قسماً من العرمة.. ومن الخرج تذهب مغربة مارة ببرك فالدبيل فالسوادة إلى الهضب، هضب آل زايد، ومن الغرب مدافع بيشة وتثليث، ومن الجنوب تستدخل حدودهم قسماً كبيراً من الربع الخالي وأسفل نجران.. فهي بلاد مترامية الأطراف واسعة الأرجاء.

إلى أن يقول:

وأصل هذا الوادي كان ينحدر من السروات ومن عدة روافد كبيرة، ويمر ببلدان ومناطق، وكل منطقة يمر بها يأخذ اسمها، فإذا جاوزها أخذ اسم المنطقة التي تليها، وهكذا فهو إذا أنجد وادي (تَثْلِيْث)[1] وإذا أصحر (وادي العَقِيْق) (عقيق عقيل) وإذا انحدر مجتازاً (تَمْرَة) و(الكَوَاكِب الآن)، يمر (بمنطقة السُّلَيِّل)، ثم يدفع في مغائض ومدافع دون الربع الخالي، ثم يتلقفه حضن الربع الخالي.

وكان قديماً يدعى (عَقِيق جَرْم)[2]، وهو غني بمعادن الذهب منذ القدم، وهو مصداق لقوله عليه السلام فيما يروى: (مطرت أرض عقيل ذهباً...).

وأنجبت الوادي رجالاً هم مضرب المثل في الكرم والشجاعة ومكارم الأخلاق.

الوديان: كجمع وادٍ.

إذا أطلق هذا الاسم في منطقة ما شرق الطائف وشمال عسير فهو يعني أودية: بيشة ورنية والخرمة = تربة.

---

(١) أي إذا اصعد في السراة.

(٢) أي قبل عقيل.

وربما أضافوا وادي الدواسر ووادي تثليث، غير أن وادي الدواسر شهرته في نجد (الوادي).

وَرِكٌ: بلفظ الورك من الإنسان أو الحيوان.

قمة بارزة من هضب يقابل هضب (صهر) من الشمال، والطريق المزفَّت بينهما تراها من روضة رنية شرقاً ليس بينك وبينها شيء. وقصة التسمية في متن الرحلة.

وَسِيلَةُ: بعد الواو سين مهملة مكسورة، ثم مثناة تحتية فلام مفتوحة، وصيغة التأنيث.

إحدى قرى الأفلاج، قرب ليلى. وانظر المتن.

أُمُّ وِشامٍ: على لفظ الوشام الذي تضعه النساء للتزين.

هضاب بوارز إلى يمين السائر من بيشة إلى رنية، يفرق طريقها يميناً على قرابة (٤٤) كيلو من بلدة الروشن، و (٨) أكيال من (جمعور).

الوصيم: بالصاد المهملة، وآخره ميم.

هضيبة مليساء إلى جوار مفرق طريق الغافة على (٩٧) كيلًا من بيشة إلى رنية، حائزة في الخبت عما حولها.

وَقْفٌ: بلفظ الوقف الذي يوقف من المال.

قمة تشبه النصب الممثل، في هضب يقع إلى الشمال من هضب صهر، يجاور آخر يسمى وَرِكاً، تراه من الروضة ـ في رنية ـ شرقاً وهو الذي فيه يقول لبيد بن ربيعة العامري، رضي الله عنه:

لهند بأعلى ذي الأغَرِّ رسومُ ... إلى أُحُدٍ كأنهنَّ وشومُ
(فَوَقَفٌ) فَسُلَّيٌّ فأكنافُ ضَلْفَع ... تربّع فيه تارةً وتُقِيمُ

وقد تقدم (السُّليُّ)، وتراه من وقف شمالاً رأى العين. وقد ترى ضلفعاً شرقاً على بعد.

وهذه ديار بني عامر، ولا زالت ديار قبيلة «سُبَيع» العامرية[1].

---

(١) انظر عنها: معجم قبائل الحجاز.

حرف الياء

يَحَامِر: يَفَاعِل من الحمرة.

جبل على الطريق بين بيشة ورنية، على (٦٠) كيلاً من بلدة الروشن، تراه يمينك وأنت تسير على المزفَّتة، وهو على شكل سلسلة تماشي الطريق.

يعايم: هما يَعُومَة ويُعَيِّمة، ثم يجمعونهما.

أجبل متناثرة يمر الطريق من رنية إلى الخرمة بينها، تقع في خبت واسع، تقع شمالاً غربياً من الكراع ـ انظرها ـ.

اليَعْرَى: أوله مثناة تحت، مقصور.

قرية متطورة ذات عمران، وبها كثير من مرافق المجتمع، على (١١٨) كيلاً من تثليث إلى خميس مشيط، وواديها يدعى وادي يعرى، فلعل الاسم أصلاً للوادي.

يَعُومَة = يعايم. أوله مثناة تحتية.

يُعَيِّمة = يعايم، أوله مثناة تحتية.

اليمامة: باسم طائر معروف من نوع الحمام.

إقليم واسع من أقاليم نجد. فمن الناحية الإدارية كان، في العهد العباسي، يعين والي اليمامة، ويكون مقره (حَجْر) وهي نفس مدينة الرياض اليوم، ويتبع والي اليمامة كل المنطقة المعروفة باسم نجد.

أما جغرافيا فإن الباحثين يوسعونها ويضيقونه دون الاعتماد على نصوص واضحة، على أنه من الثابت من أيام (طسم وجديس)، وهم من

العرب البائدة، أن العرض وحجراً والخرج والأفلاج، كلها داخلة في إقليم اليمامة.

وأردت أن يكون الحديث عن اليمامة على عهدة أحد أبنائها، فهذا كبير من كبار كتابها، ومن أماتها بحثاً وتأريخاً عدنا إليه، فإذا في معجمه (معجم اليمامة) ما يأتي[1]:

اليمامة: بفتح الياء، والميم ممدودة، فميم مفتوحة، فهاء.. قلب جزيرة العرب، بين سراتها وعروضها، وبين رملها الكبير (الربع الخالي) وقصيمها، وبلاد (طيء) منها.. ذات السلسلة الجبلية الطويلة والأنوف والهضاب والأودية والرياض والرمال والقيعان والحزون.. بلاد النخيل والحبوب، ومنابت الشيح والقيصوم والعرار،.. قرارة الأرومات الكبيرة من (قحطان) و (عدنان)، وحاضرة أمهات العرب البائدة من (طسم وجديس).. تتالت على أقاليمها حضارات، وتتابعت على رياضها أمم وتركت آثاراً من العمران خالدة وصوى من التاريخ متأبية، وأشعاراً وأخباراً وأياماً وعظات وعبراً..

وهذا تقريظ ومديح من مواطن لوطنه، وقبل أن نقول له: أحسنتَ، أو بالغتَ! ينبهنا قائلاً:

لا أراك تتهم هذه العبارات بالمبالغة إذا استعرضت هذا المعجم وزاملته زمناً، وعشت من تضاعيفه مع مادة تقررها المشاهدة وتواكبها أمانة النقل.

ثم يقول:

وما (اليمامة) أصلاً إلا الحمامة أو نوع من جنسها، انتقل هذا الاسم إلى هذا الجزء من قلب (جزيرة العرب) الذي كان يسمى قديماً (جواً).

---

(١) معجم اليمامة: ٤٧١، وما بعدها.

ثم يعدُّ ابن خميس من الديار التابعة لإقليم اليمامة حسب العرف اليوم، فيعد منها:

١ - إقليم الرياض (حجر قديماً):

ومن البلدان التابعة له: الشعيب، والمحمل، والخرج، والفُرَع، وضرما، والدرعية، أي (عرض بني حنيفة).

٢ - إقليم سُدير: وقاعدته المجمعة

٣ - إقليم الزلفى: وقاعدته مدينة الزلفى[١].

٤ - إقليم الوشم: وقاعدته (شقراء).

٥ - إقليم الأفلاج، وقاعدته (لَيْلَى).

٦ - إقليم وادي الدواسر: وقاعدته مدينة الخماسين، وأكبر مدنه (السُّلَيِّل).

انتهى بتصرف من معجم اليمامة.

ومن هذه الأقاليم يؤخذ أن إقليم اليمامة في العرف السائد اليوم = (١١٠٠) كيل طولاً من الشمال إلى الجنوب في عرض يتراوح بين (٤٥٠) و (٥٠٠) كيل.

أي أن هذا الإقليم الواسع الشاسع، تبلغ مساحته قريباً من (٥٥٠,٠٠٠) كيلاً مربعاً، أي نحو نصف مليون كيل، تعادل ربع مساحة المملكة.

فإذا نظرت إلى سهوله الواسعة وما حباه الله من مياه جوفية تجل عن التقدير، أقول، إذا نظرت إلى هذا علمت أنه يتسع إلى ما لا يقل

(١) انظر عن هذه المدن كتابي (الرحلة النجدية).

عن عشرة ملايين نسمة، يستوعبهم زراعياً ورعوياً وصناعياً، وما يخدم هؤلاء، وأن على أهله ـ بعد المشاهدة ـ من هذه الفئات المتقدمة واجبات لم يقوموا بكثير منها، رغم هذه الثروة السايلة، ورغم استثمار كثير منهم أموالهم في مواطن كثيرة إلَّا بلدهم الذي هو مأمنهم ومأرزهم عند النوازل.

شكر وتقدير

لا يفوتني، في هذا المقام، أن أنوِّه بمجهود أخويْن لي، بل هما أخ وابن، قاما بالمساهمة في طبع هذا الكتاب، وهما: سعود بن غانم الجمران، وابنه فيصل بن سعود الجمران، العجميان، من قبيلة العجمان، المتفرعة من يام، المتفرعة من هَمْدان[1]، هَمْدان الخيار الأخيار. همدان التي قال فيها علي كرم الله وجهه:

لو كنت بواباً على باب جنة   لقلتُ لهمدان: أدخلي بسلام

وقد تم الفراغ من تبييضه ـ بحمد الله تعالى ـ ضحوة يوم الثلاثاء العشرين من شوال سنة ١٤١٣ هـ في مكة المكرمة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) عن همدان ويام والعجمان، انظر كتابي (بين مكة وحضرموت).

الخاتمة

كان كتابك هذا كتاب مشاهدات، وقفت فيه على كل مكان قدمته لك، ولم أهتم كثيراً للرجوع إلى المراجع، لسبب بسيط هو أنني ذكرتُ لك ما رأيت وسمعت، فإذا احتجت إلى مراجعة غيره فهو متيسر موجود، ومع هذا فقد عدت عند الحاجة الماسة إلى عشرات المراجع لا ناقلاً في كثير منها، إنما مستأنساً بها ومطابقاً بعض ما رأيت، فإليك بعض منها.

المراجع

١ ـ الكتب الدينية :

أ ـ القرآن الكريم

ب ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم

جـ ـ تفسير الطبري

د ـ تفسير القرطبي

هـ ـ تفسير ابن كثير

و ـ صحيح البخاري

ز ـ صحيح مسلم

ح ـ سنن أبي داوود

ط ـ موطأ مالك

ي ـ مجمع الزوائد

ك ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث

٢ ـ المعاجم الجغرافية :

أ ـ معجم البلدان — ياقوت الحَمَوي

ب ـ معجم عالية نجد — ابن جُنَيدل

جـ ـ معجم ما استعجم — البكري

د ـ معجم معالم الحجاز — البلادي

هـ ـ معجم معالم مكة — البِلادي

و ـ معجم اليمامة — ابن خَميس

٣ ـ كتب جغرافية ورحلات:

أ ـ بلاد العرب	لغدة الأصفهاني أو الأصمعي
ب ـ بين مكة وحضرموت	البِلادي
جـ ـ بين مكة واليمن	البِلادي
د ـ سفرنامة	ناصر خَسرو
هـ ـ الرحلة النجدية	البِلادي
و ـ صفة جزيرة العرب	الحسن الهَمْداني
ز ـ صورة الأرض	ابن حَوْقل
ح ـ شبه جزيرة العرب/ عسير	محمود شاكر
ط ـ على ربى نجد	البِلادي
ي ـ الرحلة اليمانية	شرف البركاتي

٤ ـ كتب الأنساب:

أ ـ جمهرة أنساب العرب	ابن حَزم
ب ـ أنساب الأشراف	البلاذري
جـ ـ الاشتقاق	ابن دُريد
د ـ جمهرة النسب	ابن الكلبي
هـ ـ كنز الأنساب	ابن حُقيل
و ـ نسب حرب	البِلادي
ز ـ كتاب النسب	ابن سَلاَم
ح ـ معجم قبائل الحجاز	البِلادي
ط ـ معجم قبائل العرب	رضا كحالة
ي ـ قبيلة شهران	عبد الكريم آل طالع

٥ ـ كتب التأريخ:

أ ـ السيرة النبوية	ابن هشام

ب ـ إتحاف الورى	ابن فهد
جـ ـ سمط النجوم العوالي	العصامي
د ـ تأريخ الرسل والملوك	الطبري
هـ ـ تأريخ اليعقوبي	اليعقوبي
و ـ العقود اللؤلؤية	الخزرجي
ز ـ أخبار الأمم المبادة في القرآن الكريم	عاتق البلادي

٦ ـ كتب اللغة العربية والأدب:

أ ـ لسان العرب	ابن منظور
ب ـ القاموس المحيط	الزبيدي
جـ ـ المخصص	ابن سيده
د ـ المقتضب	المبرد
هـ ـ ديوان لبيد العامري	
و ـ ديوان عمرو بن كلثوم	
ز ـ ديوان عمرو بن معدي كرب الزبيدي	

الدليل العام

للأعلام والمواضع والقبائل والأمم

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

-ح-

ـ خ ـ

ـ د ـ

ـ ذ ـ

- ص -

- ض -

- ط -

- ظ -

- ع -

- غ -

ـ ك ـ

- ل -

- م -

ـ هـ ـ

- و -

- ي -

دليل الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *

كتب للمؤلف

١ - **معجم معالم الحجاز**: كتاب جغرافي تأريخي، يقع في عشرة أجزاء.

٢ - **الأدب الشعبي في الحجاز**: كتاب أدبي، يقع في ٤٥٠ صفحة، ط ٢.

٣ - **نسب حرب**: كتاب تأريخ ونسب، يؤرِّخ لقبيلة حرب، ط ٣.

٤ - **معجم قبائل الحجاز**: كتاب عن أنساب القبائل التي قطنت الحجاز من فجر التأريخ إلى يومنا هذا، ط ٢.

٥ - **على طريق الهجرة**: كتاب رحلات ومشاهدات لمنطقتي مكَّة والمدينة، ط ٢.

٦ - **معالم مكَّة التأريخية والأثرية**: معجم عن أماكن مكَّة وما حولها، ط ٢.

٧ - **رحلات في بلاد العرب**: رحلات ومشاهدات في شمال الحجاز والأردن، قبائلها وجغرافيتها ونبذ من تأريخها، ط ٢.

٨ - **الرحلة النجديّة**: رحلة طويلة في أرجاء نجد الواسعة، أنساب قبائلها، وصف كثير من المدن والقرى، ط ٢.

٩ - **طرائف وأمثال شعبية**: (من الجزيرة العربية)، ط ٢ ونفد.

١٠ - **بين مكَّة وحضرموت**: رحلات ومشاهدات في بلاد: عسير، نجران، الربع الخالي، قبائل اليمن وحضرموت، أنسابها وتأريخها.

١١ - **المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**: معجم يحوي جميع المواضع التي وردت في كتاب السيرة النبوية.

١٢ - **بين مكَّة واليمن**: رحلات ومشاهدات للمنطقة الممتدة من مكَّة جنوباً بين البحر والسراة: قبائلها، جغرافيتها، تأريخها...

١٣ ـ **أخلاق البدو**: (في أشعارهم وأخبارهم).

١٤ ـ **على ربى نجد**: رحلات ومشاهدات في مناطق ما بين مكة والقصيم وعالية نجد.

١٥ ـ **قلب الحجاز**: أشهر أودية الحجاز، روافدها وقراها وسكّانها. . الخ.

١٦ ـ **أودية مكّة المكرّمة**: وبه ثلاثة ملاحق: جغرافية مكّة: أوديتها وجبالها وسكّانها والمعالم.

١٧ ـ **أمثال الشعر العربي**: يستقصي الأمثال الشعرية منذ نشأة الشعر العربي حتى نهاية القرن التاسع.

١٨ ـ **فضائل مكّة، وحرمة البيت الحرام، ط ٢.**

١٩ ـ **فضائل القرآن.**

٢٠ ـ **معجم الكلمات الأعجمية والغريبة في التأريخ الإسلامي.**

٢١ ـ **آيات الله الباهرات.**

٢٢ ـ **أخبار الأمم المبادة (في القرآن الكريم)**: كتاب يتحدَّث عن الأمم التي كذَّبت الرسل فدمَّرها الله تدميراً، كعاد وثمود ومن جاء بعدها.

٢٣ ـ **في قلب جزيرة العرب**: (رحلات ومشاهدات) وهو هذا الكتاب.

رقم الايداع : ١٤/٠٢٨٨
الرقم الدولي : ٦ ــ ٠١ ــ ٦٨٤ ــ ٩٩٦٠